ابن الريوندي
في المراجع العربية الحديثة
(المجلد الاول)

ابن الريوندي

في المراجع العربية الحديثة

(مع الذيل الأول على « تاريخ ابن الريوندي الملحد »)

جمع وتحقيق وتقديم

الدكتور عبد الأمير الأعسم

دكتوراه في الفلسفة - كمبردج
أستاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة بغداد

المجلد الأول

دار الآفاق الجديدة



(الطبعة الاولى)

١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٨ م

تمهيد

عندما دفعت بمخطوطة كتابي « تاريخ ابن الريوندي الملحد » (١) الى الناشر في ربيع ١٩٧٤ ، اشرت في مقدمتي الى ان هناك مادة ممتازة تتعلق بابن الريوندي لا زالت غير مجموعة ضمن الكتاب . وهي متناثرة في كتب مطبوعة ومخطوطة ، كان من العسير علي ، وكنت وقتها في جدة ، تهيئتها للنشر . فوعدت قراء العربية بأن الحق كتابي القادم « ابن الريوندي في المراجع العربية الحديثة » بذيل استقصي فيه ما فاتني ذكره ، او النص والتعليق عليه ، من المصادر المحددة بألف عام في كتابي الأول (٢) . ومن هذا يعرف ان الجهود المبذولة في نشر هذا الكتاب انما هي استمرار واضح للجهود التي بذلت في نشر الاصل . وتبقى الحلقة الاخيرة في هذا الجمع الهام لكل ما يتصل بابن الريوندي ، تاريخه واخباره وفلسفته ، فستتحدد بظهور كتابي الثالث الذي ازمع ان أجمع فيه كافة النصوص الاوروبية التي اكتشفتها في مباحث الاساتذة العرب والشرقيين والمستشرقين ، فيما يقرب من مائة عام او يزيد (٣) .

---

(١) انظره الان ، من منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٥ .

(٢) ص ١٢ من المقدمة العربية ، ص ٣١٤ من المقدمة الانكليزية .

(٣) تراجع قائمة المراجع الاوروبية عن ابن الريوندي في كتابي :
Ibn ar-Riwandi's Kitab Fadihat al-Mu'tazilah, Ph. D Dissertation (no.8019). Cambridge U.L., 31 July 1972, ch. IX.

ولا اكتم على القارىء انني كنت اتمنى نشر هذه الكتب الثلاثة مرة واحدة ، كمقدمة ضرورية لنشر رسالتي التي تقدمت بها لنيل الدكتوراه من جامعة كمبردج عن ابن الريوندي وفلسفته ، عام ١٩٧٢ . غير ان ظروف المحنة التي يمر بها لبنان منذ ربيع ١٩٧٥ وحتى كتابة هذه السطور ، ادى الى تأخر تسليم مخطوطة « المراجع العربية الحديثة » الى الاستاذ زهير بعلبكي ، الناشر ، في موعده المقرر من العام الماضي ، كما تعثرت طباعة اطروحة الدكتوراه المذكورة (بالانكليزية) منذ صيف ١٩٧٥ ، بالرغم من الجهود الشاقة التي يبذلها الاستاذ أحمد عويدات ، الناشر ، ليخرجها من أزمتها الطباعية تجاوزا لحدود المحنة في لبنان . ومن المناسب هنا ، أن اتمنى لاصدقائي من الناشرين اللبنانيين السلامة والعزة . كما أتقدم بشكري وامتناني الى الاستاذ الدكتور طه ابراهيم العبد الله ، رئيس جامعة بغداد ، الذي يدين له المؤلف كثيرا في افساحه المجال القانوني لظهور رسالة الدكتوراه من الطبع خلال ١٩٧٦ ، بعد ان انتهى الاذن بتعضيدها من الجامعة في أواخر ١٩٧٥ . ومن تحصيل الحاصل ، ان اقول ان اعداد كتابي عن المراجع الاوروبية قد تلكأ هو الآخر ، فارجأته الى ما بعد عام ١٩٧٧ .

ومما يبعث الثقة بالنفس ، مقرونة بالتواضع ، ان المنشور من اعمالي في ابن الريوندي ، وما هو تحت الطبع ، او ما أزمع نشره في المستقبل، اقول: كل ذلك اثار، كما يحلو لي أن أزعم، استحسان العديد من الاساتذة الباحثين . ففي اثناء اعمال مهرجان الفارابي ببغداد ، من ١٠/٢٩ الى ١١/١ ، عام ١٩٧٥ ، وجدت من بعض المؤتمرين التشجيع على مواصلة نشر كل ما يتصل بابن الريوندي ، نصوصا وتاليفا وتحقيقا : ان من خلال كل الاعمال هاتيك يستطيع الباحث المعاصر ان يخرج بشيء جاد وجديد فيما يتصل بفلسفة واضحة لهذا المفكر العظيم . واذكر من هؤلاء العلماء ، على سبيل المثال ، من العراقيين المغتربين : الاستاذ الدكتور محسن مهدي، استاذ الدراسات الشرقية بجامعة هارفارد. ومن العرب : الاستاذ الدكتور علي سامي النشار ، استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة الرباط في المغرب ، والاستاذ الدكتور ماجد فخري ، استاذ الفلسفة الاسلامية بالجامعة الامريكية في بيروت . ومن المستشرقين : الاستاذ جوزف فان اس ، استاذ الدراسات الشرقية بجامعة توبنكن ، والاستاذ روجيه ارنالديز والاستاذة غواشون من جامعة باريس . يضاف الى كل هؤلاء ، وجدت الكثير من

التشجيع من اساتذتي واصدقائي بجامعة بغداد ، اخص منهم بالذكر : الاستاذ الدكتور كامل مصطفى الشيبي ، والاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ ، والاستاذ الدكتور جعفر آل ياسين ، والمرحوم الاستاذ الدكتور جواد علوش . علاوة على كل هذا وذاك ، فان اهتمام الناشر في اخراج كتابي « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، كان حافزا هو الآخر لاستكمال نشر هذا الكتاب ، ولما يمض وقت طويل على المشقة التي بذلها ومساعدوه في طبع الاول .

★★★

اما بعد ، فان الخطة التي اتبعتها في نشر نصوص هذا الكتاب تتلخص في تقسيمه الى مجلدين . أقدم هنا المجلد الاول منه وهو يحتوي على قسمين وملحق :

القسم الاول ـ يحتوي على « الذيل الاول على تاريخ ابن الريوندي الملحد» . وفيه يتحدث ثمانية عشر مصدراً جديدا عن ابن الريوندي استدراكا على ما احتواه الكتاب الاصل من المصادر الاثنين والستين . ولم ار ان اضمن هذا (الذيل) اشارات ، وردت في بعض المصادر ، الى بعض اشعار ابن الريوندي ـ منسوبة او غير منسوبة اليه ـ . فلقد اكتفيت بنشر النص الكامل لبحثي عن (الشعر المنسوب الى ابن الريوندي) (٤) في موضعه المخصص من هذا الكتاب . وفيه يجد القارىء المستزيد مصادر شعره كافة . ومن المناسب هنا ، ايضا ، ان اذكر لصديقي الاستاذ ناجي محفوظ مسعاه الكريم في تنبيهي على مواضع تشير الى شعر لابن الريوندي في مخطوطتين محفوظتين في خزانته العامرة ، ومما لم استطع ذكره في بحثي المذكور لتعرفه عليه متاخرا . كما انني اعترف بانني لم اتمكن من الاطلاع (ثانية) على نصوص ابن شاكر الكتبي في كتابه « عيون التواريخ » ، والصفدي في كتابه « الوافي بالوفيات » ، والذهبي في كتابه « سير اعلام النبلاء » ، والعيني في كتابه « عقود الجمان » ، بخصوص ابن الريوندي ، في المخطوطات المحفوظة في اسطنبول ـ بعد ضياعها مني بعد عودتي من

---

(٤) مجلة كلية اصول الدين ، بغداد ١٩٧٥ ، ص ١٦٨ ـ ٢٠٩ .

انكلترا عام ١٩٧١ ـ . فالبرغم من الجهود الطيبة التي بذلهـا السيد طارق الجنابي ، طالب الدكتوراه في كلية الآداب بجامعة بغداد ، للحصول عـلى صور تلك المواضع من المخطوطات ، الا ان سعيه لم يثمـر لأسباب عرضت له في خزائن تركيا . أما ما أفادني به صديقي الاستاذ جوزف فان اس من أن ابن مفلح (أبا عبد الله ، محمد بن مفلح بن محمـد بن مفرج ، الفقيه شمس الدين المقدسي) ، المتوفى سنة ١٣٦٢/٧٦٣ (٥) يذكر ابن الريوندي في كتابه « الآداب الشرعية الكبرى » (٦) ، فهو ما لم أستطع العثور عليه .

القسم الثاني ـ وفيه خمسة وأربعون مرجعا للنصوص ، منها المطول المهم ، ومنها الاشارة القصيرة ، والمحددة بمطلع القـرن العشرين وبحسب سنوات صدور الكتـاب او البحث (لا سنوات الوفيـات كما اتبعنـا فـي الاصل وفي ذيله) . وهو حصيلة البحث في « المراجع العربيـة الحديثة » ، أصلا او ترجمة ، بعد الاستئذان من المؤلفين الافاضل ، والاحياء منهم بوجه خاص . ولا بد أن أتقدم الى هؤلاء الأفاضل الذيـن كرمونـي بالسماح باقتباس النصوص من مؤلفاتهم ، اما اولئك الافاضل مـن المؤلفين الذين لم استطع معرفة عناوينهم ، او أنهم لم يكتبوا الي ، فلهم كالـذي استجاب ، الشكر والامتنان .

الملحق ـ وهذا يحتوي على مقال الاستاذ باول كراوس الـذي ترجمه الاستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي تحت عنوان « ابن الراونـدي » ، ضمن كتابه « من تاريخ الالحاد في الاسلام » (القاهرة ١٩٤٥ ، ص ٧٥ ـ ١٨٨) . وأصل البحث ، كان نشره الاستاذ كراوس بالالمانية تحت عنوان :

Beitrage zur islamischen Ketzergeschichte: das Kitâb az-Zumurrud des Ibn ar- Râwandî

في مجلة الدراسات الشرقية بروما ، عـام ١٩٣٤ ، المجلـد الرابـع عشر

Rivista degli Studi Orientali, Roma, 1934, vol. XIV, pp. 93f., 335f.

ولقد فكرت مرارا في ان انشره في كتابي هذا ترجمة عـن الانكليزية ، تلـك الترجمة الامينة التي عملها خصيصا لي صديقي وزميلي السيد آدم الـود

---

(٥) انظر : الزركلي ، الاعلام ، ٢٢٧/٧ ـ ٢٢٨ .

(٦) جـ ٢ ، ص ١٢٠ ، من المطبوع (أ) .

Adam Eleöd من كلية كرايست ، في كمبردج عام ١٩٧٠ . غير ان تشجيع الاستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي لشخصي في التحري عن ابن الريوندي ، أثار في نفسي الرغبة في نشر ترجمة الدكتور بدوي ، اكبارا له كرائد في البحث المنهجي في ابن الريوندي ، في المراجع العربية الحديثة ، واعترافا بفضله في ما نقله الى العربية بخصوص ابن الريوندي اولا وبالذات . وقد حاولت ان لا أتدخل في ترجمته ، بل رأيت نشرها ملحقا مصورا بالاوفست ، امانة مني على سلامة النص بعد اصلاحه بموجب قائمة الاخطاء التي ذكرها الدكتور بدوي في آخر كتابه المذكور .

وهكذا ، سالحق هذا المجلد بمجلد ثان أتمم فيه الذيل ونصوص المراجع الحديثة ، واكمله في الأخير ، بفهارس عامة (عربية واوروبية) مع مقدمة بالانكليزية ، كما فعلت في « تاريخ ابن الريوندي الملحد » .

وفي الاخير ، لا بد لي من الاشارة الى ان هناك تلميحات الى ابن الريوندي في بعض المراجع، قد لا يحتويها هذا الجمع هنا، لعدم أهميتها وقلة الانتفاع بها ، مما يجعلني والقارىء اللبيب في غنى عن الالتزام بها في هذا الكتاب .

دكتور عبد الأمير الأعسم

الروشة/بيروت

السبت ١٣ آذار ١٩٧٦ م

١٢ ربيع اول ١٣٩٦ هـ

القسم الأول

الذيل الأول على

«تاريخ ابن الريوندي الملحد»

« الارقام في أعلى النصوص تشير الى القرن ، وداخل القوسين تشير الى تسلسل النصوص بعامة ، مضافا اليها تسلسل طبقة كل قرن » .

نصوص القرن الخامس

٥ (١/١)

القاضي عبد الجبار ، قاضي القضاة عبد الجبار بن احمد الهمذاني (ت ١٠٢٤/٤١٥) :

ــ تثبيت دلائل النبوة ،
نشرة الدكتور عبد الكريم العثمان ،
بيروت ١٩٦٦ [؟] ،

الجزء الاول ، ص ٥١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٩٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ .

الجزء الثاني ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٥٠٨ ، ٥٢٩ ، ٥٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٧ .

(١)

[ص ٥١]

[وبخصوص قصة الاسراء] ... لتعلم كذب الحداد ، وابي عيسى الوراق (١) ، والحصري ، وابن الراوندي (٢) . وهؤلاء علماء الامامية

---

(١) علق الدكتور العثمان هنا « ابو عيسى محمد بن هارون الوراق ، المتوفي سنة ٢٤٧ هـ ، منهج المقال ٣٢٨ » .

(٢) كتب الدكتور العثمان هنا « هو احمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي ، ذكره القاضي في الطبعة [= الطبقة] الثامنة من رجال الاعتزال ، وذكر انه الحد وخرج عن الدين ، كما ذكر انه يقال بانه تاب آخر عمره . من كتبه التاج في الرد على الموحدين ، والدامع [= الدامغ] في الرد على القرآن ، والفريد في الرد على الانبياء . المنية والاصل [= الامل] ، ٩٢ » .

ورؤساؤهم ، وعليهم يعولون ، والى كتبهم يرجعون . ولكل هؤلاء كتب يطعنون فيها على الانبياء ، ويدعون على قريش والعرب الجهل والبلادة والغباء ، وان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خدعهم وسخر منهم .

وهذه الكتب منقوضة ، قد نقضها غير واحد من المعتزلة، والمطاعن على الانبياء ، كلهم ، انما هي من جهة هؤلاء الشيع (٣) ، والامامية تواليهم وترجع الى أقوالهم . فاعرف هذا فانه من العجائب ، وبك الى معرفته اشد الحاجة .

فمن كتب الحداد في هذا الشأن كتابه « الجاروف » (٤) ، وكتابه « الاركان » . وكتاب الحصري « في تسوية اصحاب الكلام بالعوام » ، وكتاب « الزمردة » (٥) ، (٦ وكتاب « غريب المشرقي » ، وكتاب ابي عيسى الوراق ٦) ، وكتاب « حنين البهائم » ، وكتاب « التاج » في القدم (٧) لابن الراوندي ، و « الزمردة » و « الفريد » و « التصفح » (٨) ، وكتاب « نعت الحكمة » في الطعن في حكمة الله ، وكتاب « الدامغ » يطعن فيه في القرآن ، وغير ذلك من كتبهم .

[ص ٥٢] وفضيحتهم في هذه الكتب واضحة ، وليس لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ اعداء مثلهم ، والشيع (٩) تتولاهم لانهم عملوا كتبا لهم في الطعن في المهاجرين والانصار . فمن هذا العجب ان قوما يدعون

---

(٣) كذا في المطبوع ، ولم يصلحها العثمان ، ولعلها الشيعة (؟)

(٤) كذا (!) ، ولم نعثر على ما يؤيد صحة هذه القراءة .

(٥) لعل العثمان اخطأ في الاستنساخ ، فكتاب « الزمردة » لابن الريوندي ، كما سيذكره القاضي فيما بعد ، والا فاستقلال عنوان كتاب الحصري هذا يلجانا الى الشك اصلا في نسبة الزمردة اليهما معا !

(٦) هذه العبارة مغلوطة ، وصحيحها ان تقرا : (وكتاب ابي عيسى الوراق « غريب المشرقي » ...) .

(٧) الصحيح ، قدم العالم .

(٨) ينفرد القاضي بذكر هذا العنوان من بين مؤلفات ابن الريوندي ، ولا نعرف له اصلا (!) .

(٩) كذا (!) ، وصحيحه « الشيعة » ، ولم يفطن اليه العثمان .

انهم من المسلمين يوالون هؤلاء ويرجعون الى كتبهم ، فتبين ــ رحمك الله ــ الحال في ذلك ، لتعلم انه لا يطعن على المهاجرين والانصار الا من يطعن على الانبياء ــ صلوات الله عليهم ــ ، وانما تستر هؤلاء الملحدة والزنادقة بالتشيع والامامة ليستوي لهم الطعن على الانبياء وتشكيك المسلمين في الدين ، فاعلم ذلك .

(٢)

[ص ٦٢]

... وقد كانت الشيعة الاولى تفضل [ص ٦٣] ابا بكر وعمر عليه [= على علي] . قال (ابو القاسم البلخي) : وقال قائل لشريك بن عبد الله (١٠) :

ايهما افضل ؟ ابو بكر ام علي ؟ فقال : ابو بكر . فقال له السائل : اتقول هذا وانت من الشيعة ؟ فقال : نعم ، انما الشيعي من قال مثل هذا ، والله لقد رقى آمير المؤمنين هذه الاعواد ، فقال : الا ان خير هذه الأمة بعد نبيها ابو بكر وعمر ، افكنا نرد قوله ؟ افكنا نكذبه ؟ والله ما كان كاذبا .

ذكر هذا ابو القاسم البلخي في النقض على ابن الراوندي اعتراضه على ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، في كتابه « في نظم القرآن وسلامته من الزيادة والنقصان » . وينبغي ان تعلم ان الذين وضعوا هذا انما قصدوا به رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ واهل بيته لشدة عداوتهم له وتستروا بالتشيع ، وكان غيظهم على ابي بكر وعمر وعثمان وتلك الجماعة لانهم هم الذين اشتملوا على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في حياته ونصروه ، ثم كانوا بعد وفاته اشد نصرة في دينه منهم في حياته ، واحدقوا بأبي بكر فغزاهم ، وقتل مسيلمة ، واسر طليحة ، ورد الردة ، وغزا فارس والروم ، واذل اعداء رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكل مكان .

---

(١٠) ذكر العثمان هنا ان « شريك بن عبد الله ، هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي ، عالم الحديث والفقية [= فقيه] ، ولي القضاء للمنصور العباسي في الكوفة سنة ١٥٣ [هـ] توفي سنة ١٧٧ هـ . تذكرة الحفاظ ، ٢١٤/١ ، وفيات الاعيان ، ٢٢٥/١ » .

واستخلف عمر . فأزال ملك فارس وهو أشد الملوك ، وادخل ملكه في الاسلام ، والحق ملوك الروم بجبال الروم وخلجانها ، واخرجهم من الشام ومصر ومن الجزيرة ، وادخل هذه الممالك في الاسلام ، وقتل الشرك وأماته وأحيا الاسلام وبثه ونشره وبسطه وبناه وشيده وجعله عاليا على الاديان كلها وظاهرا على أمم الشرك جميعا . فغاظهم ذلك أشد الغيظ ، ولم يمكنهم المكاشفة بشتم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاشتفوا [ص ٦٤] منه بشتم هؤلاء وغروا من لا يعرفهم ، وقالوا لهم : ما هذا القرآن بشيء ، وهو مغير لا تقوم به حجة ، والاسلام مبدل ، والفقهاء جهال كفار ، الى غير ذلك مما هذا سبيله وشرحه يطول ، فاغتروا بهم وقبلوا منهم وصدوهم عن الاسلام فأوردوهم ما أصدروهم . وانت تجد كثيرا من ذلك في التفسير لابي علي (١١) ، وفي نقضه « الامامة » على ابن الراوندي ، وفي غيرهما من كتبه ، وفي كتب غيره من المعتزلة ، والله اعلم .

(٣)

[ص ٩٠]

وانظر الى قوله في سورة طه : « وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ، أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى » (١٢) . فتأمل هذا الاستعلاء على العدو والولي بأن من آياته وعلاماته ما في الصحف الاولى .

وكان مما طعن به ابن الراوندي في هذه الآية ان قال : « ان كان معرفته بهذا دلالة على نبوته فمعرفة اليهود بذلك دلالة على نبوتهم » . وهذا جهل من هذا الأحمق ، لان اليهود قد قرؤوا ذلك وكتبوه واخذوه عن آبائهم وشاهدوه فلا يكون حجة لهم ، وهذا ما قراه ولا كتبه ولا اخذه عنهم

---

(١١) ذكر العثمان في هامش هذا الموضع ما يلي :
« هو محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٢٣٥ ـ ٣٠٣ هـ) شيخ المعتزلة في عصره واليه تنسب الجبائية . نسبته الى (جبي) من قرى البصرة ، وتفسيره المذكور من اهم مؤلفاته ، استفاد منه من بعده القاضي عبد الجبار والحاكم ابو السعد والزمخشري . وفيات الاعيان ٤٨٠/١ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ٢٧٠/٦ » .

(١٢) القرآن ، طه ١٣٣/٢٠ .

ولا عن احد من الناس كما دلت عليه العقول ، فهو حجة عليهم وعلى غيرهم ، ولو ان انسانا ادعى النبوة ، وجعل دلالته بأن اخبرك عن كتاب معك ما قراه ولا وقف عليه ، وانما وقفت انت عليه فيما لا يقع بالاتفاق ولا بالحدس ، لكان ذلك دلالة في نبوته ، ولم يكن دلالة لك ، وكذلك اذا اخبرك عما اكلت وشربت وادخرت ، ولكن اشتبه على هذا الملحد لفرط جهله وبعده من التحصيل ، ولولا ان الاشعرية والرافضة والنصارى والزنادقة يرون هذا الرجل بعين المحصلين لما ذكرنا اسئلته لركاكتها ، ولكنه صنف شيئا للمشبهة ، [ص ٩١] وشيئا للمجبرة ، وشيئا للرافضة ، فسروا به لنقصهم ، وشهدوا له بالحذق لفرط غباوتهم ، وانهم لا يعرفون الاسلام واهله ، فمن اظهر لهم التصويب قبلوه لضعفهم وسوء احوالهم ، وقبله اليهود والنصارى وحذقوه ، لانه شتم محمدا رسول الله ، واظهر تكذيبه ، وهو فقد (١٣) شتم ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهارون ويحيى وعيسى وجميع النبيين ـ صلوات الله عليهم اجمعين ـ وكذبهم ، ولكن اليهود والنصارى بلا حجة ، ولا بصيرة في مخالفتهم المسلمين ، فمن عادى محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ تولوه ، وان كان عدوا لانبيائهم ، كما لا بصيرة لاهل بدع الاسلام من المشبهة والمجبرة والرافضة . وهذه السور مثل القصص وهود ويوسف من المكيات ، فاعلم ذلك .

(٤)

[ص ١٢٨]

فاعرف هذا ، فان هؤلاء الملحدة ، كأبي عيسى الوراق ، والحداد ، وابن الراوندي ، لما لم يجدوا في رسول الله (١٤) مطعنا أدعوا انه قد كانت له فضائح واكاذيب وحيل وقف عليها اصحابه واهله وكتموا ذلك لحبهم له ولئلا يفتضحوا باتباع كذاب ...

[ص ١٢٩]

وانظر الى الشعراء الذين هجوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١٣) كذا ، ولعلها في الاصل : و [اما] هو ، فقد (؟) .

(١٤) في المطبوع : « رسوله الله » ، وهو تحريف ، لم ينبه اليه العثمان .

من قريش ، ومن غيرهم ، ومن الكتب (١٥) التي وضعها الملحدة وطبقات الزنادقة ، كالحداد ، وابي عيسى الوراق ، وابن الراوندي ، والحصري ، وآمالهم في الطعن في الربوبية وشتم الانبياء ــ صلوات الله عليهم ــ وتكذيبهم ، فانهم وضعوها في ايام بني العباس وفي وسط الاسلام وسلطانه، والمسلمون اكثر مما كانوا اذ ذاك واشد ما كانوا ولهم القهر والغلبة والعز . والذين وضعوا هذه الكتب اذل ما كانوا ، وانما كان الواحد بعد الواحد من هؤلاء يضع كتابه خفيا وهو خائف يترقب ، ويخفي ذلك عن أهله وولده ، ولا يطلع عليه ألا الواحد بعد الواحد ممن هو في مثل حاله في الخوف والذل والقهر ، ثم ينتشر ذلك في أدنى مدة ، ويظهر حتى يباع في اسواق المسلمين ، ويعرفه خاصتهم وعامتهم ، ويتحدثون به ، ويتقولونه ويذكرونه وقد غمهم ذلك وساءهم ، وودوا ان ذلك لم يكن .

(٥)

[ص ٢٢٢]

واعلم ان هؤلاء يحتجون مذ زمن ابن الراوندي : ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نص عليه (١٦) نصا مكشوفا لا يحتمل التأويل ، فقال : « علي بن ابي طالب الخليفة عليكم من بعدي » ، وقال لهم : « سلموا عليه بامرة المؤمنين » (١٧) ، وان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قام فيه في مقام بعد مقام ، وفي عام بعد عام ، نحو مائة مقام مذ بعثه الله بمكة

---

(١٥) كذا في المطبوع ، والاصوب كما حقق العثمان اللفظة ب « وفي الكتب ...» لتعود الى « انظر » (؟) .

(١٦) الضمير من « عليه » يعود الى علي بن ابي طالب ، راجع الصفحة ٢٢١ ، وانظر النص بعد .

(١٧) كتب العثمان في هذا الموضع في تعليقاته ما يلي : « ان اكثر الاحاديث التي رويت في خلافة علي ضعيفة او موضوعة ، وعلى فرض صحتها فانها تشير الى الخلافة على اهله ــ صلى الله عليه وسلم ــ منها : (أن آخي ووزيري وخليفتي من اهلي وخير من اترك بعدي يقضي ديني وينجز موعدي ، علي) انظر تنزيه الشريعة عن الاخبار الشنيعة لعلي بن القرن الكتاني ، الجزء الاول ، ففيه الكثير من هذه الاخبار » [كذا !] .

والمدينة ، والسفر والحضر ، الى ان توفاه الله ، فينبغي أن لا تكلمهم الا في هذا النص المكشوف المعروف ...

(٦)

[ص ٢٢٤]

[في موضوع البراءة من ابي بكر وعمر وعثمان ، تبعا لراي هشام بن الحكم]

... وقد ذكر هذا ، ايضا ، ابن الراوندي في كتابه « الامامة » الذي نصر فيه قول الرافضة في البراءة من المهاجرين والانصار ، وحكاه عن هشام .

(٧)

[ص ٢٢٥]

وقد حكى عن هشام (بن الحكم) ، ايضا ، ابو عيسى الوراق ، وابن الراوندي ، وابو سهل بن نوبخت ، وهؤلاء كلهم رافضة .

والذين حكى هشام عنهم من الشيعة أن المنافقين ازالوا امير المؤمنين عن مقامه ، فقد غلطوا ايضا ...

(٨)

[ص ٢٣١]

وانما القى هذا الى الامامية فيما صنفوه لهم قوم من أعداء الانبياء ادعوا التشيع وتستروا بالرفض ، لينفروا الناس عمن شيد الإسلام وبناه ونصر الرسول في حياته وبعد موته ، ليخرجهم من الاسلام من حيث لا يشعرون . وكما صنفوا في تهمة المهاجرين والانصار فقد صنفوا ايضا في تهمة الانبياء [ص ٢٣٢] وشتمهم وتكذيبهم ، وانهم قد كانوا يتكلمون بالكذب وبالبهت بحضرة اممهم فيسكتون عنهم خوفا منهم ، وهذا (ما) (١٨) فعله بالانبياء عمر بن زياد الحداد ، وأبو (عيسى) (١٩) الوراق ، وابو

---

(١٨) « ما » ساقطة من المخطوط ولم ينتبه الى اضافتها العثمان في المطبوع .

(١٩) « عيسى » ساقطة من المطبوع .

الحسين بن الراوندي ، وابو سعيد الحسن بن علي الحصري ، وجابر بن حيان ، وهشام بن الحكم ، وامثالهم ، كما قد عرفه العلماء ، وكل هؤلاء الذين طعنوا على (٢٠) ابي بكر وعمر والمهاجرين والانصار لفضل غيظهم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ...

(٩)

[ص ٣٥٦]

واعلم ان أعداء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اجتمعوا وجمعوا كيدهم وقرؤوا كتابه ، فزعموا انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ابتداء امره وهو مقيم بمكة ما خالف قومه [ص ٣٥٧] ولا اغضبهم ولا اغاظهم ، بل كان مصوبا ومقاربا لهم ، الا ترون انه قال لهم : « وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين » (٢١) ، وانه قال لهم : « لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم » (٢٢) . قالوا (٢٣) : وانما توعد بالحرب وزال عن هذا حين صار بالمدينة وفي جماعة . وهذا يقوله ابن الراوندي حين اجتمع مع (ابن) لاوي اليهودي، وساعدهما امثالهما من الاشقياء حين نظروا ودبروا وكادوا المسلمين ، فانصرفوا عن الضرورات بالتأويلات وسموا الكتاب الذي ضمنوه هذا (الزعم) (٢٤) وأمثاله كتاب « الدامغ » (٢٥) .

(١٠)

[ص ٣٥٨]

فمن أبين فضيحة ممن طعن على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(٢٠) في المطبوع : « علي » ، وهو تصحيف .

(٢١) القرآن ، سبا ٢٤/٣٤ .

(٢٢) ايضا ، القصص ٥٥/٢٨ .

(٢٣) الضمير يعود الى (اعداء الرسول) في اول الفقرة ، فلاحظ .

(٢٤) اضافة ضرورية لم ينتبه اليها العثمان .

(٢٥) علق العثمان على هذا الموضع بقوله : « كتب في هامش الاصل : (كتاب ابن الراوندي) » وقد سبق ان عرفنا به ، انظر ص ٥١ من الكتاب » ، قارن النص رقم (١) ، قبل ، تعليق ٢ .

بمثل هذا بعد ان جمعوا كيدهم ، واستفرغوا وسعهم ، ولكنهم لشدة افلاسهم وقلة حيلتهم وخيبة [ص ٣٥٩] سعيهم لم يجدوا في الطعن عليه الا التكذب عليه والبهت له .

وهم الذين قالوا في قوله : « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم » (٢٦) ، قالوا : قد اظهر الشك في أمره ورجع عن قوله . وكل عاقل سمع اخباره يعلم باضطرار من قوله وقصده ان لا حق الا ما كان معه ومنه ومن عنده ومع اتباعه الى يوم القيامة ، يعلم هذا من قصده قبل العلم بنبوته . ولهذا نظائر مما يذكرونه ، وانما ذكرت هذا لك لتعرف مقدار كيد الخصوم وظهور فضيحتهم ، وهؤلاء هم الغايات في التجريد في طلب معايبه والتفرغ لذلك ، يمد بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا ، ولهم من يزيح عللهم بالاموال من (٢٧) اليهود والنصارى وغيرهم من أعداء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وممن يتستر بالتشيع ، فقد كانوا يأخذون ابن الراوندي وأمثالهم (٢٨) ، فيزيحون عللهم ، ويجمعون الكتب لهم ، ويأتونهم بمن يعينهم ويكتب عنهم ولهم .

(١١)

[ص ٣٧١]

... ولان الطاعنين على ابي بكر بمثل هذا هم الطاعنون على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما قدمنا وبأمثاله من الآيات التي يسألون عنها ، وجعلوا الطعن على ابي بكر وامثاله من المهاجرين والانصار وآكد الطرق الى تكذيبه ، والطعن عليه ، والايحاش منه ، والتنفير عنه ، وأيسرها التشكيك في صدقه ونبوته ، وهم : ابو شاكر الديصاني ، واصحابه : الحداد ، وابو عيسى (الوراق) ، وابن الراوندي ، والحصري . ولكلهم كتب في الطعن على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي نصرة الامامية وطبقات الرافضة ، ولان الطريق في العلم ببراءة ابي بكر والمهاجرين

---

(٢٦) القرآن ، الاحقاف ٩/٤٢ .

(٢٧) « من » مكررة في المطبوع .

(٢٨) هل سقطت بعض الاسماء بعد « ابن الراوندي » ، وقبل « وامثالهم » ؟ ان القراءة الصحيحة للعبارة يجب ان تكون « وامثاله » .

والانصار مما رموهم به ، كالطريق في العلم ببراءة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مما رموه به .

(١٢)

[ص ٣٧٤]

... وانظر الى الكتب التي صنفت في تكذيبه (٢٩) ، وفي الطعن عليه وعلى اخوانه من الانبياء ، (و) (٣٠) التي صنفت في دولة الاسلام ، واشد ما كان الاسلام شوكة وغلبة ، كالتي عملها الحداد والوراق وابن الراوندي والحصري والكندي والرازي وامثالهم ، وادعوا ان فيها الحجة والبرهان في ابطال الربوبية وتكذيب الانبياء . وانت تراها مبثوثة ظاهرة ، تباع في اسواق المسلمين ، لا يسقط منها حرف . والمسلمون كلهم قد كرهوا ذلك وغمهم ، وودوا انه لم يكن ، وانما كان يضعها الواحد بعد الواحد مستخفيا خائفا لا يظهر ادعاءها ، ولا يعلن وضعه لها ، بل يكتم اسمه ويكنى عن ذكره ، وانما يلقيه الى الواحد بعد الواحد من امثاله ، كما صنع ابو عيسى (الوراق) (٣١) بكتبه ، وترجمتها تصنيف « الغريب المشرقي » ، وهي من الظهور اليوم على ما ترى ، حتى انها لتبلغ مشارق الارض ومغاربها . فالعدو ينشرها للاحتجاج بها ، والمسلمون ينشرونها لنقضها والاجابة عنها ...

(١٣)

[ص ٤٠٧]

واما قصة احد ، فليس اذا انزل الله الملائكة يوم بدر وجب ان ينزلهم يوم احد ، وليس اذا عافى الله نبيه وقتا وجب ان يعافيه في كل وقت ، بل قد يمتحنه بالمرض في وقت ويكلفه الصبر ، وكذا ينصر (ه) (٣٢) وقتا بالملائكة ويخليه من ذلك وقتا آخر ، فتشتد محنته ويلزمه الصبر . وانما

---

(٢٩) الضمير يعود الى (الرسول) .

(٣٠) (الواو) ساقطة من المطبوع .

(٣١) اضافة ضرورية .

(٣٢) الضمير ساقط من المطبوع ولم ينتبه اليه العثمان .

يسال عن هذا من ادعى ان الله ينصر انبياءه في جميع مواطنهم بالملائكة ، وهذا سؤال يذكره ابن الراوندي ، بعد موافقته أبي (٣٣) عيسى الوراق ، وابن لاوي اليهودي وامثالهم (٣٤) من الملحدة وأعداء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا غاية كيدهم ...

(١٤)

[ص ٤١٣]

فذكر ابن الراوندي ان الوراق كان يقول: انما لم يتمنوا الموت ، (٣٥) لان اليهود والنصارى كانوا يؤمنون بموسى وغيره ممن كان يدعي النبوة ، وقد اخبر هؤلاء في كتبهم بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يقدموا على التمني لهذا .

فقيل له : فهذا يدل على نبوة اولئك ونبوة محمد جميعا ، فقد لزمكم القول بكتبهم اجمعين ، وانتم تنكرون ذلك كله .

قال : انما اخبار هؤلاء عن مجيء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يخبر المنجم عن ما يكون ، فيقولون ذلك .

قيل له : متى كان مثل هذا في اخبار المنجمين ان يخبروا عن مثل مجيء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي اي زمان يجيء ، وبأي شيء يجيء ، ومن اي بلد يجيء ، ومن اي جيل هو (٣٦) ، وابن من هو ، على التفصيل الذي جاء به ، مثل هذا لا يكون من اخبار حذاق المنجمين ولا ما يقاربه ولا ما يدانيه ، وانما يتفق لهم الاصابة في شيء مجمل قليل يسير

---

(٣٣) الاصوب لو قال « لابي » .

(٣٤) « وامثالهم » يجب ان تقرا « وامثالهما » .

(٣٥) الاشارة الى الايتين اللتين يناقشهما القاضي ، يراجع القران البقرة ، ٩٤/٢ ، الجمعة ٦/٥٨ .

(٣٦) قراها العثمان « جيل ، هو » ، وصحيحها ما اثبتناه .

بعد أن يكذبوا ويخطئوا (٣٧) في الف شيء، فيتفق ما يتفق لهم من ذلك بطريق التجارب والزجر ، كما يتفق للصبيان من الاصابة في اخراج الزوج والفرد وفي اللعب بالخاتم ، بل ما يتفق للصبيان من الاصابة ، اكثر واسرع واحسن وابدع ، وكذا ما يتفق للقوابل في ان الحمل ذكرا (!) او انثى ، وكذا ما يتفق لمن يزجر الطير ويضرب بالحصا ، وكذا ما يتفق للمتفائلين بالثعلب والمتطيرين بالبوم ولمن يزجر الطير ، فكذب المنجمين [ص ٤١٤] وخطئهم اكثر من كل كبير ، وهو شيء لا يستنكر ، وهم يعترفون بهذا ، فيقولون : لا تعجبوا من خطئنا ، ولكن اعجبوا من صوابنا ، وانما صوابهم كمجنون نطق بحكمة ، او صبي أتى بنادرة ، فان الناس يحفظون ذلك ويعجبون به لانه اتى من غير معونة ، ولا يحفظون ما يكون من المجانين والصبيان من الجهل والكذب ، فكذا ما يكون من المنجم ، يخطىء في الف شيء ويكذب في الف شيء فلا يحفظ عليه لان ذلك غير منكر منه ، فاذا اتفق له الصواب في شيء واحد تعجبوا وحفظ لقلته من مثله ولانه اتى من غير معدنه . وعلى ان الناس يكذبون المنجمين ويدعون لهم ما ليس لهم ولا في صنعتهم ، ويضايقون الانبياء ويتعنتوهم ، وقد تقدم قبل هذا شيء على المنجمين ، فارجع اليه (٣٨) .

(١٥)

[ص ٤٣١]

وقد طعن ابو عيسى الوراق وابن الراوندي في قصة المباهلة (على) (٣٩) انها مشاتمة ، وان القوم رفعوا انفسهم عنها ، وقال (٤٠) : وقولكم انه قال (النبي) (٤١) لهم : ان باهلتموني ، نزلت بكم النقمة ، ليس

---

(٣٧) في الاصل المخطوط « يكذبون ويخطئون » ، والتصحيح للعثمان .

(٣٨) ينظر الكتاب نفسه ، في الفصول السابقة .

(٣٩) زيادة يقتضيها السياق .

(٤٠) (قال) هنا مجردة لا تنص صراحة على اي من الاثنين : ابـي عيسى الوراق ام ابن الراوندي ، والسياق يقتضي المشاركة بالفعل ، فنقترح ان تقرأ « قالا » !

(٤١) كلمة ، على التقدير ، ساقطة من النص ، لم ينتبه اليها العثمان .

هذا في الكتاب ، وانما هو حديث من أحاديثكم (٤٢) .

(١٦)

[ص ٤٣٢]

وزعم ابن الراوندي ، ايضا ، انه ما دعا النصارى الى المباهلة واليهود الى التمني (٤٣) على وجه الاحتجاج بذلك للنبوة ، ولو كان الى هذا قصد لبادروا الى اجابته .

فقيل له : اما سمعته يقول : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا » (٤٤) ، فكيف تكون المحاجة الا كذا (٤٥) لولا حيرتك وانقطاعك وفضيحتك .

قيل له ايضا : كيف لا يكون متحديا ومحتجا بذلك على اليهود والنصارى وغيرهم ، وقد كان يدعي من اول أمره أنه لا يكذب فيما يأتيه عن الله – عز وجل – وان الكذاب لا يكون نبيا ، فاذا اخبرهم بأنهم لا يتمنون الموت ، فلو تمنوه لكان قد دل ذلك على كذبه وعلى خروجه من النبوة على حكمه بأن من كان نبيا لا يكذب فأي تحدي واحتجاج يكون أقوى من هذا ، وكذا الحال في قولهم في المباهلة .

فان قيل (٤٦) : كيف يحتج عليهم بالنساء والصبيان ؟

---

(٤٢) يراجع بحث الاستاذ ماسينيون في المباهلة ،

L. Massignon, Le Mubähala — Etude sur la proposition d'ordalie faite par le prohète Muhammad aux Chrétiens Balhärith du Nejrän en l'an 10 / 631 à Médine, Melun 1944; passim.

قارن ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي للبحث المذكور في كتابه « شخصيات قلقة في الاسلام » ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٥٨ – ١٨٢ .

(٤٣) في الاصل المخطوط « تمني » بلا « ال » ، وصححها العثمان ، وللاصل وجه في القراءة على « تمن » .

(٤٤) القرآن ، آل عمران ٢/٦١ .

(٤٥) لم يلتفت العثمان الى تصحيحها على «هكذا» ، فالهاء ساقطة من المخطوط بلا شك.

(٤٦) كذا في الاصل المطبوع ، ولم يلتفت العثمان الى تصويبها على (فان قال) ، فللحديث صلة بابن الراوندي ، فلاحظ .

قيل له : لم يحتج عليهم بهؤلاء ، وانما احضرهم لان مقدمهم يعز عليه ، وهم اقرب ارحامه اليه .

(١٧)

[ص ٥٠٨]

والذي اردنا من هذا ان مثل عمرو بن العاص قد تباهى في سب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتنفير عنه والصد عنه (٤٧) عند النجاشي .

... ومقام عمرو فوق يقظة هؤلاء السفلة من زنادقة زمانك كالحداد والوراق وابن الراوندي والكندي والباطنية ، وطبقات القرامطة ...

(١٨)

[ص ٥٢٨]

... وقد تقدم لك على بطلان دعاويهم (٤٨) ، وان اصحابه (٤٩) كلهم من اولهم الى آخرهم اطبقوا على ذلك قرنا بعد قرن ، ثم الذين يلونهم ثم التابعين لهم ، ثم الذين يلونهم في القرون والاعصار ، الى زمان هشام بن الحكم ، فانه ابتدع هذا القول (في عصمة علي) (٥٠) ثم [ص ٥٢٩] اخذ عنه الحداد ، والوراق ، وابن الراوندي ، وارادوا به كيد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وافساد دينه ، وتشكيك الناس في نبوته ، واحوالهم في شدة عداوته معروفة ، وقد تقدم لك بيان ذلك والبرهان عليه بما لا حاجة لك الى اعادته .

وقد ذكر ابو علي (الجبائي) (٥١) ــ رحمه الله ــ طرفا من ذلك في

---

(٤٧) تكرار (عنه) في الاصل فيه ركاكة ، لعل اصل العبارة (والتنفير والصد عنه) .

(٤٨) اي الرافضة .

(٤٩) اصحاب علي بن ابي طالب .

(٥٠) ضرورة يقتضيها السياق .

(٥١) زيادة يقتضيها السياق .

« التفسير » وفي « نقض الامامة على ابن الراوندي » ، وذكره غيره من العلماء .

(١٩)

[ص ٥٤٨]

ولقد قال ابو القاسم البلخي في كتابه الذي نقض به اعتراض ابن الراوندي على كلام ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في ان القرآن سليم من الزيادة والنقصان : ان قول امير المؤمنين : الا أن خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر [ص ٥٤٩] وعمر قد جاء مجيئا لا ينكره من له في العلم نصيب ، وذكر جماعة ممن رووا فضلهم ونبلهم وكثرتهم وجلالتهم ، ثم قال : ولكن عندنا ما أراد نفسه (٥٢) .

(٢٠)

[ص ٦٤٩]

كما يقول هشام بن الحكم وابن الراوندي وامثالهما في ابي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بأنه كان ناقصا وجبانا وجاهلا ومجنونا ، وانه ما بايعه احد ولا اطاعه كثيرا احد كما هو مذكور لهم ومشروح في كتب الامامية (٥٣) .

(٢١)

[ص ٦٥٧]

وابن الراوندي والحداد والوراق (٥٤) . . . .
رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس ممن يطعن عليه (٥٥) . .
ذلك عليه وتحت (٥٦) . . . .
على الشدائد من (٥٧) . . . .
من البلاغة فيجد (٥٨) . . . .

---

(٥٢) تراجع بقية اقوال ابي القاسم البلخي في هذا الخصوص ، اصل الكتاب ، الصفحات ٥٤٩ ـ ٥٥٠ .

(٥٣) يراجع رد القاضي على هذه الدعوى الباطلة ، في اصل الكتاب ، الصفحات ٦٤٩ ـ ٦٥١ .

(٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨) ذكر العثمان ان نقصا لحق المخطوط في هذه المواضع ، ويا للاسف !

واسع الحلم ، عنده من الصبر ما ليس عند غيره ، فلهذا ضبط نفسه من أول أمره وقبل أدعاء النبوة ، فما عرفوه الا بالنزاهة والطهارة والثقة والامانة ، فكان يعرف عندهم بمحمد الامين ، فبفضل العقل تم له ما تم ، واستترت عيوبه وحيله ، وأن لم نقطع عليه فنحن نجوزه ، فأخرجوا معشر المعتزلة هذا التجويز من قلوبنا وان كان ضعيفا .

ذكر هذا المعنى ابن الراوندي في (كتاب) (٥٩) « الفريد » في غير موضع منه ... (٦٠)

---

(٥٩) ضرورة يقتضيها السياق .

(٦٠) يراجع رد القاضي على هذا المعنى ، في أصل الكتاب ، الصفحات ٦٥٧ وما يليها .

٥ (٢/٢)

البغدادي ، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ١١٣٤/٤٣٩) :
ـ الملل والنحل ،
نشرة الدكتور البير نصري نادر ،
مخطوط الاوقاف ببغداد برقم ٦٨١٩ ، الورقات ٨٤/أ ، ١١٢/ب .
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٠٩ ، ١٤١ .

(١)

[ورقة ٨٤/أ = ص ١٠٨ ـ ١٠٩]

[ص ١٠٨] ومنهم من قال : الحركة كونان (١) يختلفان في [ص ١٠٩] الجسم ، أحدهما يحل فيه ، وهو في المكان الاول ، والثاني يحل فيه ، وهو في المكان الثاني . وهذا قول ابن الراوندي وابي العباس القلانسي . . .

(٢)

[ورقة ١١٢/ب = ص ١٤١]

[بشر المريسي] . . . قال في الايمان بقول ابن الراوندي ، وهو انه التصديق بالقلب واللسان ، وان الكفر هو الجحد (٢) والانكار . ورغم ان السجود للصنم ليس بكفر لكنه دلالة على الكفر . . .

---

(١) في المخطوط تحرفت على « لونان » ، والتصحيح لنادر .
(٢) الجحود .

٥ (٣/٣)

الكراجكي ، العلامة (من رجال القرن الخامس الهجري) :

ـ كنز الفوائد ،

ط. مشهد [ايران] ، ١٣٢٢/١٩٠٤ .

[ص ٥١]

فصل :

واعلم أن المعتزلة لها من الاغلاط القبيحة والزلات لفضيحة ما يكثر (١) تعداده . وقد صنف ابن الرأوندي كتاب فضائحهم (٢) فأورد (٣) فيه جملا من اعتقاداتهم وآراء شيوخهم مما ينافر العقول ويضاد شريعة الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ .

---

(١) كذا في الاصل .

(٢) يقصد : كتاب فضيحة المعتزلة .

(٣) في الاصل : فاورد .

نصوص القرن السادس

٦ (١/٤)

ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ثقة الدين الشافعي ، (ت ٥٧١/١١٧٥ ــ ٦) :

ــ تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبي الحسن الاشعري ،

نشرة حسام الدين القدسي ،

دمشق ١٣٤٧/١٩٢٨ .

(١)

[ص ١٢٨]

[ومن كتب الاشعري] (١) « الفصول » في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة كالفلاسفة والطبائعيين والدهريين واهل التشبيه والقائلين بقدم الدهر على اختلاف مقالاتهم وانواع مذاهبهم ، ثم رد فيه على البراهمة واليهود والنصارى والمجوس ، وهو كتاب كبير يشتمل على اثني عشر كتابا [ص ١٢٩] ، أول كتاب : اثبات النظر وحجة العقل والرد على من انكر ذلك ثم ذكر علل الملحدين والدهريين مما احتجوا بها في قدم العالم،

---

(١) انظر للمقارنة بين النصوص التالية :

Mehren, **Exposé de la réforme de l'Islamisme,** Leyden 1878.

وتكلم عليها واستوفى ما ذكره ابن الراوندي في كتابه المعروف بكتاب التاج ، وهو الذي نصر فيه القول بقدم العالم ...

(٢)

[ص ١٣١]

[قال الاشعري] والفنا كتابا على ابن الراوندي في الصفات والقرآن ... والفنا كتابا نقضنا به على البلخي كتابا ذكر انه اصلح به غلط ابن الراوندي في الجدل ...

(٣)

[ص ١٣٥]

[وللاشعري ، ايضا] ... كتاب على حارث الوراق في الصفات فيما نقض على ابن الراوندي ... ونقض كتاب التاج على ابن الراوندي ... وكتاب في النقض على ابن الراوندي في ابطال التواتر وفيما يتعلق به الطاعنون على التواتر ومسائل في اثبات الاجماع ... (٢)

(٤)

[ص ٣٦٤]

[فاما ما ذكره ... ابو علي الحسن بن علي بن ابراهيم الاهوازي]..

..... [ص ٣٩٤] فاما تشبيهه ابا الحسن (الاشعري) بابن الروندي ، فانه فيه غير مصيب عندي ، فقد ذكرت تسمية ما نقض عليه ابو الحسن من تواليفه وبين من فساد اقواله في كتبه وتصانيفه ، فكيف يقرن بينهما [ص ٣٩٥] في الالحاد مع ما كان بينهما من الخلاف والعناد..

---

(٢) قارن عنوانات كتب الاشعري تبعا للاستاذ S. W. Spitta في كتابه الممتاز Zur Geschichte abû 'l-Hasan al-Asch'ari, Leipzig 1876.

نصوص القرن الثامن

٨ (١/٥)

العلامة الحلي ، جمال الدين ابو منصور ، حسن بن يوسف بن مطهر (ت ١٣٢٨/٧٢٦) :

ـ انوار الملكوت في شرح الياقوت ،

[انتشارات دانشكاه تهران ٥٤٣] ،

بتصحيح وتحشيه ومقدمه : محمد نجمي ـ زنجاني ،

طهران ١٣٣٨ ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

[ص ١٤٩]

في ماهية الإنسان ... وذهب ابن الراوندي (١) الى انه جزء لا يتجزأ (٢) في القلب ...

[ص ١٥٠]

ثم ان الشيخ ابطل قول ابن الراوندي بأن ما عدى (٣) ذلك الجزء يكون ميتا ، اذ ماهية الانسان هي المدرك (٤) . وذلك اشارة الى الجزء

---

(١) في الاصل المطبوع : راوندي .

(٢) في الاصل المطبوع : يتجزى .

(٣) كذا (!) .

(٤) في قراءات اخرى للنسخ المخطوطة كما يشير زنجاني : « آلدراك » بتشديد الراء (!).

الذي لا يتجزأ (٢) فيكون ما عداه ميتا ، فلا يصح من المريض تحريك اليد . وفي بعض النسخ : والا لصح تحريك يد المريض منـــه ، ووجهه أن الانسان لو كان عبارة عن الجزء الذي لا يتجزأ (٢) في القلب لكـــان فعله في اطرافه بمجرد الاختراع ، فكان المريض المؤلف الذي انتهت حاله الى تعذر تحريك اليد قادرا اليه قادرا على (٥) ان يخترع في يده التحريك مـــن ذلك الجزء الذي لا يتجزأ (٢) ، والتالي باطل ، فالمقدم مثله . واظن ان الثانية اصح . .

(٥) كذا (أ) والعبارة مختلفة ومكررة ، والمقترح حذف (قادرا اليه) (؟) .

٨ (٦/٢)

العلامة الحلي :

ـ رجال العلامة الحلي [= الخلاصة] ،
نشرة محمد صادق آل بحر العلوم ،
ط ٢ ، النجف ١٣٨٢/١٩٦١ .

[ص ٢٦٩]

ابو عيسى مطعون فيه ، وقال السيد المرتضى ـ رحمه الله ـ في كتاب الشافي انه رماه المعتزلة (★) مثل ما رموا ابن الراوندي .

(★) في الاصل المطبوع : المنزلة ، وهو تصحيف .

٨ (٣/٧)

الايجي ، عضد الدين ، القاضي عبد الرحمن بن احمد ، (ت ٧٥٦/ ١٣٥٥) :

ـ المواقف في علم الكلام ،

نشرة ابراهيم الدسوقي عطية واحمد محمد الحنبولي ،

مطبعة العلوم ، القاهرة ١٣٥٧/١٩٣٨ .

(١)

[ص ١٥٣]

[في موضوع] كون القدرة مع الفعل ... قال ابن الراوندي : تتعلق القدرة بالضدين بدلا لا معا (١) ، واجمعت المعتزلة على انها تتعلق بالمتماثلات .

(٢)

[ص ٢٥٩]

في رواية مذاهب المنكرين لتجرد النفس الناطقة ، وهي تسعة :

الاول : لابن الراوندي : انه جزء لا يتجزا (٢) في القلب ، لدليل عدم الانقسام مع نفي المجردات .....

---

(١) في المطبوع : لامعا .

(٢) في المطبوع : يتجزى .

(٣)

[ص ٤٢٨]

الثومنية : اصحاب ابي معاذ الثومني . قالوا : الايمان هـو المعرفـة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار . وترك كله أو بعضه كفر ... بـه قال ابن الراوندي وبشر المريسي ، وقالا : السجود للصنم علامـة الكفر . فهذه هي المرجئة الخالصة (٣) ...

---

(٣) قارن ما رواه البغدادي ، قبل ، ص ٣١ .

٨ (٨/٤)

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت ٧٦٤/١٢٦٤) :

ـ كتاب الوافي بالوفيات ،

نشرة H. Ritter ،

ط . فيسبادن ١٢٨١/١٩٦١ (★)

جـ١ ، ص ١٠٩ ، س ١٢ .

[الفارابي ، ... ومن تصانيفه] ... الرد على ابن الراوندي في أدب الجدل .

(★) **Das Biographische Lexikon Des Salahddin Halil Ibn Aibak As-Safadi,** Herausgegben von Hellmut Ritter, Wiesbaden 1962.

٨ (٩/٥)

الكرماني ، شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد ، (ت ١٣٨٤/٧٨٦) :

ـ شرح المواقف ،
مخطوط المتحف العراقي ، برقم ١٥٥٥ ،
ص ٥٣٩ ، ٥٤٨ .
[= القسم الاخير من المخطوط ، نشرة سليمة عبد الرزاق ، تحت عنوان « الفرق الاسلامية » ، بغداد ١٩٧٣ ، ص ٢٧ ، ٣٠ ، ٨٦] (١) .

(١)

[مخ ٥٣٩ = مط ، ص ٢٧]
[في انفراد ثمامة بن أشرس النميري واصحابه ، مسائل ... منها]
التاسعة : ما حكى ابن الروندي (٢) عنه أن العالم فعل الله ـ

---

(١) وانظر ايضا هوامش الصفحات ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، فقد ورد اسم ابن الريوندي في تعليقات المحققة ، فلاحظ .

(٢) علقت المحققة هنا ، بقولها : « في الاصل (الروندي) ، وهو احمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي [كذا !] ، او ابن الراوندي ، ينسب الى راوند في اصفهان [كذا !] ، كان من متكلمي المعتزلة ، ثم تزندق والحد ، الف كتاب (= كتابا) في قدم العالم ونفي الصانع ، كتاب (= وكتابا) في الطعن على محمد (ص) ، و (فضيحة المعتزلة) و (التاج) ، ولابن الخياط ردود عليه في كتاب الانتصار ، قيل انه توفي سنة ٢٤٥ هـ ، وقيل سنة ٢٥٠هـ ، وقد عمر [كذا !] بـ (٤٠) سنة ، انظر وفيات الاعيان ، ابن خلكان ، ٩٤/١ ، الاعلام ٢٥٢/١ ـ ٢٥٣ » .

تعالى ـ لطباعه (٣) . ولعله اراد بذلك ما يقوله الفلاسفة من الايجاب (٤) بالذات لكي يلزم القول بقدم العالم . وكان ثمامة في زمان المأمون وعنده بمكان .

(٢)

[مخ ٥٣٩ = مط ، ص ٣٠]

[الجاحظ ... وله مسائل] ... ومنها : ما حكى ابن الروندي ، ان القرآن جسد يجوز آن ينقلب تارة رجلا وتارة حيوانا (٥) ، وهذا مثل ما يحكى عن ابي بكر بن الأصم (٦) ، انه زعم ان القرآن جسم مخلوق (٧) .

(٣)

[مخ ٥٤٨ = مط ، ص ٨٥]

[ومن فرق المرجئة ...] التومنية ، اصحاب ابي معاذ التومني (٨)

ـ زعموا آن الايمان ، هو المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار بما جاء به [ص ٨٦] الرسول (٩) ـ ومن ـ ترك خصلة واحدة منها كفر ـ ... والى هذا مال (١٠) ابن الراوندي وبشر المريسي ، وقالا : السجود للشمس والقمر والصنم ليس بكفر في نفسه ، ولكنه علامة كفر (١١) .

---

(٣) لقد ورد هذا النص في اقدم وثيقة لدينا ، وهو كتاب الانتصار « بطباعه » مرة و « طباعا » مرة اخرى ، انظر اطروحتي الشذرة ١٣ ، ١٩٣ و Ibid., ch. IV,

(٤) في المخطوط (الابحاث) ، والتصحيح لسليمة عبد الرزاق تبعا للشهرستاني ٩٦/١ .

(٥) راجع ما قلناه في « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(٦) تراجع طبقات المعتزلة ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٧) قارن الشهرستاني ١٠١/١ .

(٨) في المواقف « الثومنية ... الثومني » قارن ، قبل ، ص ٤٣ .

(٩) نقلت المحققة سليمة عبد الرزاق هذه العبارة من الشهرستاني ٢٢٩/١ بتصرف [كذا !] ، ولم ترجع الى « مواقف » الايجي ، قارن هذا النص ، قبل ص ٤٣ .

(١٠) في المخطوط (ميل) ، وصححت المحققة النص تبعا للشهرستاني ٢٢٩/١ .

(١١) ذكرت سليمة عبد الرزاق انه « ورد ذلك في البداية والنهاية ، ابن كثير ٢٨١/١٠ » .

نصوص القرن العاشر

١٠ (١/١٠)

ابن كمال باشا ، شمس الدين احمد بـن سليمان الرومي (ت ٩٤٠/ ١٠٥٥) :

ـ رسالة في تصحيح لفظ الزنديق ،

نشرة الدكتور حسين علي محفوظ ، تحت عنـوان « رسالة في تحقيق لفظ الزنديق » ، في مجلة كلية الآداب بجامعة بغـداد ، ١٩٦٢ ، [العـدد الخامس] ، ص ٥٣ ـ ٥٤ (١) .

[ص ٥٣]

... قال الجوهري في الصحاح : « الزنديق من الثنويـة » (٢) ، أو

---

(١) نشر استاذنا الدكتور محفوظ هذه الرسالة تبعا « للنسخة المخطوطة المحفوظة بخزانة بيت محمد علي الخندي بن الخليفة ، في مدينة الموصل » ، واشار الى معرفته بنسخة خزائن الاوقاف ببغداد في المجموع المرقوم ٤٧٢٣ ، اما نحن ، فبالاضافة الـى نسخة الاوقاف المذكورة اطلعنا على النسخة المحفوظة في خزانةجون رايلاندز في مانجستر برقم 811 (B) ؛ انظر : Mingana, p. 1117

(٢) ذكر الدكتور محفوظ ان النص المذكور في « الصحاح ، ج ٢ ، ص ٨٨ » ، تراجـع ط . مصر ١٢٩٢/١٨٧٥ .

علمه وحكمته ، كما في قول ابن الراوندي (٣) :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه   وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا (٤)
هذا الذي ترك الاوهام حائرة   وصير العالم النحرير زنديقا(٥)

يعني : لو كان للعالم (٦) صانعا حكيما ، لما كان العاقل ردي الحال ،
[ص ٥٤] والجاهل رضي (٧) البال .

---

(٣) علق الدكتور محفوظ في الموضع ، قائلا : « هو احمد بن يحيى المروزي : الشهير بابن الراوندي ، توفي سنة ٢٥٠ هـ ، وقيل ٢٤٥ ، وقيل ٢٤٣ . له ترجمة في : الكنى والالقاب ، ج ١ ص ٢٧٧ ـ ٩ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣٥ ـ ٦ ، ووفيات الاعيان ج ١ ص ٢٧ ـ ٨ ، وضبط الاعلام ص ٦٣ ، واعيان الشيعة ج ١٠ ص ٣٣٩ ـ ٤٩ ، ورياض العلماء ص ٤٠٥ ، ومجلة ارمغان ٧٣٥/١٢ ـ ٤٤ نقلا عن المقتطف » .

(٤) في الاصل المخطوط (الموصل) « وكم جاهل » ، وهو تحريف .

(٥) ذكر الدكتور محفوظ هنا : « جامع الشواهد ص ٢١٠ ، والغيث المسجم ج ٢ ص ٧٤ ، ورد عليه الشيخ صالح بن عبد الكريم الكرزكاني البحراني ـ المتوفي سنة ١٠٩٨ هـ [= ١٦٨٧ م] ـ قال :

ان الكريم الذي يعطي على قدر   يراه ذو اللب احسانا وتوفيقا
فذو الجهالة مرزوق لتكملة   وذو النباهة من ذا صار ممحوقا

راجع : انيس المسافر ج ٢ ص ٢١٥ ، وقد تصحفت وتحرفت فيه » . لزيادة المقارنة ، يراجع بحثي « الشعر المنسوب الى ابن الريوندي » ، مجلة كلية اصول الدين (ببغداد ١٩٧٥) ، ص ١٦٨ وما يليها .

(٦) في مخطوطة الموصل « لعالم » ، وتردد في الموضع المذكور استاذنا الدكتور محفوظ في قراءتها « لو ان للعالم » على الظن ، وهي القراءة الصحيحة تبعا لمخطوطة مانجستر .

(٧) وجد الدكتور محفوظ في هامش نسخة الموصل « رضي » تصحيحا لـ « رخي » الموجودة في الاصل ، وتردد في تصحيحها ، وهي القراءة الصحيحة تبعا لمانجستر .

نصوص القرن الحادي عشر

١١ (١/١١)

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، كاتب جلبي (١٦٥٨/١٠٦٨) :
ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ،
نشرة G. Flügel ، **لايبزيك ١٨٣٥ ـ ٥٨ (★) .**

(١)

[iii, p. 354]

الرد على ابن الراوندي ـ لابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري (امام أهل السنة) المتوفي (سنة ٣٢٤ اربع وعشرين وثلثمائة) .

(٢)

[iv, p. 446]

فضائح المعتزلة (١) ... لابن الراوندي احمد بن يحيى (البغدادي ، الملحد ، المشهور ، المتوفي سنة ٣٠١ احدى وثلثمائة) .

(★) تقارن طبعة اسطنبول ، ٨٢٨/١ ، ١٢٧٤/٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٢٣ ، ١٤٥٠ .

(١) يذكر حاجي خليفة في الموضع ، ايضا ، ان « فضائح المعتزلة لابي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفي سنة ٤٢٩ تسع وعشرين واربعماية ، وله فضائح الكرامية ... » .

(٣)

[v, p. 60]

كتاب التاج ـ لابن الراوندي احمد بن يحيى (المتوفي سنة ٣٠١ احدى وثلثمائة) .

(٤)

[v, p. 92]

كتاب الزينة ـ لابي الحسين احمد بن يحيى (الملحد) المعروف بابن الراوندي (المتوفي سنة ٣٠١ احدى وثلثمائة) (٢) . . .

(٥)

[v, p. 137]

كتاب القضيب ـ لابي الحسين احمد بن يحيى بن (٣) الراوندي (المتوفي سنة ٣٠١ احدى وثلثمائة) (٤) . . .

---

(٢) بعدها ، يذكر حاجي خليفة ان كتاب الزينة ، ايضا ، « لابي حاتم سهل بن محمد السجستاني (المتوفي سنة ٢٥٠ خمسين ومائتين) » .

(٣) في ط . تركيا « ابن » (ا) .

(٤) بعدها ، يذكر حاجي خليفة ان كتاب القضيب ، ايضا ، « لابي زيد سعيد ابن [= بن] اوس الخزرجي المتوفي سنة ... (كذا) » .

١١ (٢/١٢)

الخفاجي ، شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩/١٦٥٨) :

ـ ديوان الادب ،

مخطوط المتحف العراقي ، برقم ٥٨٥ ،

الورقة ٢٠٨/أ .

ابن الراوندي : احمد بن يحيى بن اسحق الراوندي ، رأس الملحدين، صاحب الزمردة والدامع (١) والتاج ، وغيرها من الكتب التي طعن بها في الملة وردها الجبائي (٢) وغيره .

وله شعر كقوله (٣) :

محن الزمان كثيرة ما تنقضي — وسرورها يأتيك كالاعياد

ملك الإكارم فاسترق رقابهم — وتراه رقا في يد الاوغاد

وقوله :

أليس عجيبا بأن امرءا — لطيف الخصام رقيق الكلم

يموت وما حصلت نفسه — سوى علمه أنه ما علم

(١) « الدامع » تصحيف للدامغ ، كتاب ابن الريوندي المشهور ، انظر كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، الصفحات ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ .

(٢) يقصد ابا علي الجبائي .

(٣) يراجع بحثنا « الشعر المنسوب الى ابن الريوندي » ، مجلة كلية اصول الدين (بغداد ١٩٧٥) ، ص ١٦٨ وما يليها ، حيث فصلنا القول في قراءة هذه المقطعات .

وقوله ، وهو من نسبة الكتبي لنصر الخزرزي (٤) :

سبحان من انــزل الأشياء منزلهـــا
وصـــير النـــاس مرفوضا ومرموقــا

كــم عاقــل عاقل (٥) اعيت مذاهبــه
وجاهل جاهــل (٦) تلقــاه مرزوقــا

هــذا الــذي تــرك الاوهــام حائــرة
وصير العاقـــل النحريــر زنديقــا

(٤) يراجع بحثنا المذكور ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ، فالقراءة الصحيحة هي « الخبز ارزي » ، قارن : القمي ، الكنى والالقاب ، ط .النجف ،١٨٥/٢ ـ ١٨٦ .

(٥) في المخطوط : فعاقل فطن ، وفيه تحريف .

(٦) في المخطوط : واحمق جاهل ، وفيه تحريف .

١١ (٣/١٢)

القهبائي ، عنايت الله (مـن رجال القـــرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي) :

ـ مجمع الرجال ،

ط. أصفهان ١٣٨٤/١٩٦٤ ،

٢/١٥٧ ـ ١٥٨ .

الحسن بن موسى النوبختي ، أبو محمد ... له ... كتـــاب النكت على ابن الراوندي ... (★)

(★) راجع ما قلناه في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ١١٥ .

نصوص القرن الرابع عشر

١٤ (١/١٤)

القنوجي ، السيد ابو الطيب ، صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني النجادي القنوجي (ت ١٣٠٧/١٨٩٠) :
ـ التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والاول ،
تصحيح وتحقيق : عبد الحكيم شرف الدين ، بومبي ، ١٣٨٣/ ١٩٦٣ ، ص ٢٩٨ برقم ٣٢٩ .

ابن الراوندي

احمد بن يحيى بن اسحاق ، العالم ـ الملحد المشهور ـ من اهل مرو الروذ (١) . سكن بغداد ، وكان (٢) من الفضلاء في عصره ، ومن متكلمي المعتزلة ، ثم فارقهم وصار ملحداً زنديقا . له نحو من مائة واربعة عشر كتابا ، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب . وكان (٣) يلازم أهل (٤) الالحاد ، فاذا عوتب في ذلك ، قال : انما اريد ان أعرف مذاهبهم ، ثم كاشف وناظر .

وذكر الطبري (٥) : انه كان لا يستقر على مذهب ، ولا يثبت على

(١) في الاصل المطبوع : مرد الروذ .

(٢) يقارن نص ابن خلكان من وفيات الاعيان ، من كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

(٣) يقارن نص ابن الجوزي من المنتظم ، من كتابنا السابق ص ١٥٣ .

(٤) في المنتظم : الرافضة واهل ...

(٥) يقارن نص العباسي من معاهد التنصيص ، من كتابنا السابق ص ٢٢٩ ، كذلك يقارن نص ابن حجر العسقلاني من لسان الميزان ، قبله ص ٢٢٠ .

حال . وقيل (٦) انه تاب عند موته مما كان منه ، واظهر الندم .

واختلف في زمان وفاته : قال ابن خلكان (٧) سنة ٢٤٥ ، وعمره اربعون سنة ، وقال ابن النجار (٨) : سنة ٢٩٨ . وفي كشف الظنون (٩) سنة ٤٠١ (١٠) .

ومن شعره (١١) :

اليس عجيبا بأن امرءا (١٢) لطيف الخصام رقيق (١٣) الكلم
يموت وما حصلت نفسه سوى علمه انه ما علم

وقوله (١٤) :

سبحان من وضع الإشياء موضعها
وفرق العز والأذلال تفريقا
كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الافكار (١٥) حائرة
وصير العالم النحرير زنديقا

---

(٦) تراجع قطعة البلخي من نص ابن النديم في الفهرست ، من كتابنا السابق ص ٨٨ .
(٧) يلاحظ نص وفيات الاعيان ، نفس الموضع .
(٨) يراجع نص العباسي من معاهد التنصيص ، الكتاب السابق ص ٢٣٤ .
(٩) يقارن قبل نص حاجي خليفة ص ٥٣ .
(١٠) كذا (!) ، وصحيحه ٣٠١ ، راجع نص حاجي خليفة ، قبل ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .
(١١) يراجع معاهد التنصيص ، نفس الموضع ، ولاحظ ما قلناه هناك بصدد ذكر هاذين البيتين .
(١٢) في الاصل : امرأ ، وهو غلط ، وتصويبه عن معاهد التنصيص .
(١٣) كذا في الاصل (!) ، وفي معاهد التنصيص : دقيق .
(١٤) يراجع تعليقنا على معاهد التنصيص ، في كتابنا السابق ص ٢٢٨ .
(١٥) في معاهد التنصيص : الاوهام .

١٤ (٢/١٥)

الخوانساري ، السيد محمد باقر (ت ١٣١٣/١٨٩٥) :

ـ روضات الجنات ،

ط . حجر ، طهران ١٣٠٧/١٨٨٩ ـ ٩٠ ،

ج ١ ص ٥٤ .

ابن الراوندي المتكلم المشهور

احمد بن يحيى بن اسحق الراوندي ، المعروف بابن الراوندي في مصنفات القوم . هو العالم المقدم المشهور ، له مقالة في علم الكلام ، وكان من الفضلاء في عصره ، وله من الكتب المصنفة نحو من مائة واربعة عشر كتابا ، كما قاله ابن خلكان ، فمنها : كتاب فضيحة المعتزلة ، وكتاب التاج، وكتاب الزمرد ، وكتاب القصب ، وغير ذلك .

وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه المتكلمون في تاليفاتهم . وكان يرمى ، عند الجمهور ، بالزندقة والالحاد ، وينسب اليه ، بزعمهم الفاسد ، القول بوجود النص الجلي على امامة علي (ع) ، واختلاقه لما يدل على ذلك من الروايات .

وعن ابن شهراشوب المازندراني ، في كتابه « المعالم » ، ان ابن الراوندي هذا مطعون عليه جدا . ولكنه ذكر السيد الاجل المرتضى في كتابه « الشافي في الامامة » انه انما عمل الكتب التي قد شنع بها عليه

مغايظة للمعتزلة ليبين لهم عن استقصاء نقصانها ، وكان يتبرأ منها ظاهرا وينتحي من علمها وتصنيفها الى غيره . وله كتب سداد مثل : كتاب الامامة والعروس. هذا، وعن الشيخ حسن بن علي الطبرسي، صاحب كتاب «الكامل البهائي » ، انه قال في كتابه الموسوم ب « اسرار الائمة » في ذيل كلام له : فان قيل هذه (الاقاويل) التي تروونها انتم معشر الشيعة في علي واولاده مما افتراه ابن الراوندي ، فالجواب : انه أورد الشيخ منتجب الدين ابو الفتوح في كتابه « نكت الفصول » ان ابن الراوندي كان يهوديا ثم اسلم منتصبا قائلا بامامة العباس بن عبد المطلب، فعلى هذا كيف يتصور ان ينصر الامامية ، ولو صدق هذا ، فالائمة الاربعة واضرابهم بهذه الاشياء اولى بالافتراء ، لان في ذلك نصرة اعتقاده وفي ابن الراوندي مخالفة عقيدة . (١) انتهى .

وعن ابن الجوزي ، انه قال : زنادقة الاسلام ثلاثة (٢) : ابن الراوندي ، وابو حيان التوحيدي ، وابو العلاء المعري (٣) .

وفي « الوفيات » (٤) انه توفي سنة خمس واربعين ومائتين برحبة مالك بن طوق الثعلبي ، وقيل بغداد ، وتقدير عمره أربعون سنة ، وان نسبته الى راوند ، بفتح الراء والواو وبينهما الف وسكون النون وبعدها دال مهملة ، وهي قرية من قرى قاسان بنواحي اصبهان . وهي غير قاشان التي بالشين المثلثة المجاورة لقم . ثم قال في ترجمة صاحب الغريبين ؛ الواقعة بعد هذه الترجمة في الوفيات : والفاشاني ، بالفاء والشين المعجمة نسبة الى فاشان ، وهي قرية من قرى هراة ، ويقال لها باشان ، بالباء الموحدة ، ايضا ، ذكره السمعاني . وقد تقدم في الذي قبله ذكر قاسان وقاشان ، وهي الاسماء الاربعة يقع بينها الاشتباه ، وهي على هذه الصورة ، ولا لبس بعد هذا . انتهى .

---

(١) يراجع بخصوص هذه الفقرة كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ص ٩٧ ، ١٥١ ، ٢٤٦ .

(٢) في الاصل : ثلثة .

(٣) يراجع نص السبكي ، من كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ص ٢٠٣ .

(٤) انظر نص ابن خلكان ، في كتابنا السابق ص ١٩١ ــ ١٩٢ .

وهو غريب في الغاية ، كما لا يخفى . ثم ان في « رياض العلماء » نسب (٥) صاحب « الكامل » (٦) اليه كتابا في « معجزات الائمة » ، وان الظاهر كونه غير ابن الراوندي المرمي بالزندقة والالحاد . وفي موضع آخر منه : وظني ان السيد المرتضى ، ايضا ، نص على تشيعه وحسن عقيدته في مطاوي « الشافي » ، او غيره .

---

(٥) في الاصل : « نسبته » .

(٦) الطبرسي ، المذكور في النص ، قبل .

١٤ (٣/١٦)

اسماعيل باشا البغدادي ، (ت ١٩٠١/١٣١٩) :

ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ،

نشرة اسطنبول ١٣٦٤ ـ ١٩٤٥/٦ ـ ٧ .

[١٩٩/٢]

فضيحة المعتزلة (١) ـ لأبي الحسين احمد بن يحيى بن اسحق الراوندي المتوفي سنة ٢٤٥ خمس واربعين ومائتين .

---

(١) في الاصل المطبوع : « المعتزله » .

١٤ (٤/١٧)

اسماعيل باشا البغدادي :

ـ هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين ،

ط . اسطنبول ١٩٥١ .

(١)

[١/٥٥]

الراوندي ـ احمد بن يحيى بن اسحق الراوندي ، ابو الحسين المتكلم البغدادي توفي سنة ٢٩٣ ثلاث وتسعين ومائتين . له من التصانيف : فضيحة المعتزلة ، قصب الذهب (١) ، كتاب التاج ، كتاب الدامغ ، كتاب الزمرد ، كتاب الزينة ، كتاب القضيب ، اللامع الفريد (٢) ، لغة الحكمة .

(٢)

[٢/٣٩]

الفارابي ... [له] ... كتاب الرد على ابن الراوندي في أدب الجدل ...

---

(١) كذا (!) ، وهو تحريف لقضيب الذهب . الذي سيذكره فيما بعد ، قارن كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ٨٨ ، ٢١٥ ، ٢٣٩ ، وانظر ص ١٩١ ، ٢٤٧ كذلك ص ١١٧ .

(٢) (اللامع الفريد) عنوان عجيب ، فهو مركب من تحريف « الدامغ » مع « الفريد » وكلاهما كتابان مستقلان . انظر العنوان محرفا ، في كتابنا السابق ، ص ٢١٥ ، وقارن الصفحات ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ (= الدامغ) . والصفحات ٨٨ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ٢١٧ (= الفريد) . وقد ورد على (الفرند) ، قارن الصفحات ٨٨ ، ١١٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٠ .

١٤ (٥/١٨)

محفوظ ، الشيخ علي (من رجال القرن الرابع عشر) :

ـ الابداع في مضار الابتداع ،

ط ٤ ، القاهرة (بلا تاريخ) ،

ص ٣٣٢ .

ومن البدع ان من رزقه الله عقلا وعلما يعتقد اذا راس من افاض الله عليه المال والجهل وضعف العقل ، انه أحق منه بافاضة المال . فيقول في نفسه : كيف منعني قوت يومي ، وانا العاقل الفاضل ، وافاض على هذا نعيم الدنيا ، وهو الجاهل الغافل ـ حتى يكاد يرى ذلك ظلما ، وهذا المعنى اعتراض على الله في قسمة الحظوظ بين الخلق . ومن ذلك قول ابن الراوندي الملحد :

كم عاقل عاقل ضاقت معيشته
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة
وصيّر العالم النحرير زنديقا

القسم الثاني

ابن الريوندي

في المراجع العربية الحديثة

الجزء الأول

« الارقام داخل القوسين تشير الى تسلسل نصوص الكتاب مضافا اليها تسلسل المراجع الحديثة » .

(١/١٩)

البرقوقي ، عبد الرحمن :

ضبط وشرح « التلخيص » [للقزويني] ،
القاهرة ١٩٠٤/١٣٢٢ ، ص ٧١ تعليـق [= ط . المكتبـة التجاريـة الكبرى ، بلا تاريخ ، ص ٩١ تعليق] .

[في التعليق على بيتي ابن الريوندي]

... فيوضع المظهر موضع المضمر (كقولـه : كم عاقـل ، الـخ) . فقوله في اول البيت الثاني هذا اشارة الى حكم سابق غير محسوس ، وهو كون العاقل محروما والجاهل مرزوقا ، فكان القياس فيه الاضمار بأن يقال هما مثلا . فعدل الى اسم الاشارة لكمال العناية بتمييزه ليري السامعين ان هذا الشيء المتميز هو الذي له الحكم العجيب ، وهو جعـل (الاوهـام حائرة) و (العالم النحرير زنديقا) ، فالحكم البديع هو الذي أسند للمسند اليه المعبر عنه باسم الاشارة .

والبيتان لاحمد بن يحيى بن اسحق الراوندي . و (عاقـل) الثانـي صفة لعاقل الاول ، بمعنى كامل العقل متناه فيـه ، و (أعيت مذاهبه) : اعجزته وصعبت عليه طرق معايشه (!) ، و (النحريـر) : الحاذق الماهر المتقن . كأنه ينحر العلم نحرا ، و (الزنديق) : الـذي لا يؤمن بالربوبية ولا باليوم الآخر . وكلام ابن الراوندي ، هذا ، احدى حماقاته ، وهـو بالجهال اليـق .

(٢/٢٠)

كيلاني ، كامل :

ــ رسالة الغفران للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعرّي ، القاهرة ١٩٢٣/١٣٤٢ .

[ص ٥٦ ، تعليق ٢]

اسمه احمد بن يحيى بن اسحق الراوندي ؛ كنيته ابو الحسين ، وهو ينسب الى راوند احدى قرى اصبهان ، مات في سن الاربعين في سنة ٢٤٥ هـ . وكان ابوه يهوديا فأسلم ، فكان اليهود يقولون للمسلمين : « ليفسدن عليكم هذا كتابكم ، كما افسد ابوه التوراة علينا » . [ص ٥٧ ، تعليق] وكان من متكلمي المعتزلة ، وانفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم ، قالوا : « ولم يكن في زمانه احذق منه بالكلام ، ولا أعرف بدقيقه وجليله » (١) ، وكان يلازم أهل الالحاد ، فاذا عوتب في ذلك ، ادعى انه يريد معرفة مذاهبهم ، ثم صار بعد ملحدا زنديقا .

وأوجز ما ننعته به ، انه رجل لا يستقر على مبدأ ، وليس للمبادىء قيمة عنده ، فقد كان مسلما (٢) ، ولكن ذلك لم يمنعه ان يصنف كتاب البصيرة لليهود ردا على الاسلام ، نظير اربعمائة درهم دفعوها له ، فلما

(١) يشار هنا الى « معاهد التنصيص ، ١/٧٦ ، ورسالة ابن القارح ، نشرة عائشة عبد الرحمن ، ط ٤ ، ص ٣٩ تعليق ٢ » .

(٢) يراجع للتفصيلات كتابنا Ibn ar-Rîwandî, ch.1

قبض المال رام نقضه ، فلما أعطوه مائة درهم اخرى عدل عــن ذلك . وكان من متكلمي المعتزلة ، فلم يمنعه ذلك من ان يؤلف كتابه الذي سماه فضيحة المعتزلة . وقد الف كتبا اخرى متناقضة ،ولكن أكثرها كان الحاديا شديد الجراة ، وقد نيفت كتبه على المائة ، ذكـر ابن القارح اهمهـا واشنعها ، في رسالته (٣) . وكان له ذوق خاص في تسمية كتبه ، فقــد اطلـــق اسم الزمردة على كتابه الذي دلل فيه على فساد الرسالـة والرسل ، وازدرى فيه بالنبوات ، وعلل هذه التسمية بأن من خاصية الزمرد : ان الحيــة اذا نظرت اليه ذابت وسالت عيناها ، كما يحدث لأخصامه (٤) حــين يقرؤون كتابه ، ومن زعمه فيه قوله : « انا نجد في كلام أكثم بن صيفي شيئا أحسن من (انا أعطيناك الكوثر) ، وان الانبياء كانوا يستعبدون الناس بالطلاسم ، الــخ » (٥) .

وقد ذكر في كتبه الاخرى (٦) آراء لا تقل عن هذه جرأة وشناعــة ، على الانبياء والدين ، فقد طعن على النبي (ص) في كتابه الفريد . وطعن على القرآن ، وعاب نظمه في كتابه الدامغ ، ومما ورد فيه قوله : « ان اللــه [ص ٥٨ ، تعليق] ــ سبحانه وتعالى ــ ليس عنده من الدواء الا القتــل ، فعل العدو الحنق الغضوب ، فما حاجته الى كتاب ورسول (٧) ... وقال في وصف الجنة (فيها انهار من لبن لم يتغير طعمه) وهو الحليب ، ولا يكاد يشتهيه الا الجائع ، وذكر العسل ، ولا يطلب صرفا ، والزنجبيل ، وليس من لذيذ الاشربة ، والسندس يفترش ولا يلبس ، وكذلـك الاستبـرق ، وهو الغليظ من الديباج ، ومن تخايل انه في الجنة يلبس هــذا الغليظ ، ويشرب الحليب والزنجبيل ، صار كعروس الاكراد والنبط » (٨) .

---

(٣) يراجع نص ابن القارح في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١١٦ ــ ١١٧ .

(٤) كذا في الاصل .

(٥) للتفصيلات ، ينظر بحث الاستاذ كراوس الملحق بهذا الكتاب .

(٦) في الاصل : الاخري .

(٧) يراجع نص ابن الجوزي في المنتظم من كتابنـا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ١٥٩ .

(٨) يراجع كتابنا السابق ، ص ١٦٣ .

وسيمر بك طرف من أخباره في فصل آخر من هذا الكتاب (٩) ، وفي رسالة أبن القارح ، فلنكتف بهذا القدر ، على ايجاز الآن .

(٩) تراجع ص ٧٤ من كتاب رسالة الغفران ، نشرة كيلاني ، في التعليق على (استعط) « اي ادخل السعوط في انفك لتفيق ، والسعوط هو ما يدخل الانف من مسحوق دقيق التبغ . ولابن الراوندي في هذا المعنى ، بيتان آخران اقل شناعة من هذين البيتين ، وهما :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا »

يراجع للتفصيلات بحثنا المنشور في هذ الكتاب في « الشعر المنسوب الى ابن الريوندي » ، فلاحظ ، بعد ، ص ٢١٦ ـ ٢٥٦ ، وبوجه خاص ص ٢٢٢ .

(٣/٢١)

نيبرك ، الاستاذ هـ. س. :

ـ مقدمة كتاب الانتصار للخياط ،

القاهرة ١٩٢٥ .

[ص ٢٢]

موضوع الكتاب وسبب تاليفه وترجمة ابن الروندي

لقد كانت المعتزلة في أوج عزهم في اول دولة بني عباس لا سيما في خلافة المامون والمعتصم والواثق ، فان هؤلاء استخدموهم ودعوهم الى مجالسهم واكرموهم وفضلوهم على سائر العلماء ، وكان [ص ٢٣] لاحدهم مكان راسخ عندهم وتأثير مستمر عليهم وهو احمد بن ابي داود القاضي ثم الوزير الذي زاد على علمه بالكلام علمه بالادب والبلاغة والمهارة السياسية ، فصارت المعتزلة الفرقة الفائزة في ذلك الزمان واخذوا يستعلون على خصومهم ويستولون عليهم حتى بالغوا وغالوا واطلقوا من محنة علماء أهل الحديث ما اطلقوا . ولكن هذا مع كونه الغاية القصوى التي انتهت اليها رياستهم فهو في الحقيقة ابتداء انحدارهم واضمحلال امرهم ، اذ لا فيض الا وبعده غيض ولا تجاوز للحدود الا ووراءه التقهقر . فلما توفي الواثق الذي سعى في تفضيلهم كل السعي واستولى على عرشه المتوكل الذي لم ينظر اليهم بعين الرضا والعناية كر خصومهم بعد فرهم وطعنوهم من كل جهة وحملوا عليهم من كل باب فصب على رؤوسهم بغض الطرفين أهل السنة

والحديث وأهل الرفض ، فلم يبق لهم الا الذب عن انفسهم والدفاع عن عرضهم . ويظهر ان مثل هذه التجارب مما دعا عمرو بن بحر الجاحظ أحد رؤسائهم وأعيانهم الى وضع كتابه الذي سماه « فضيلة المعتزلة » فان الغرض الذي رمى اليه الجاحظ بتاليفه لم يكن الثناء على المعتزلة وعد فضائلها فقط بل قصد أيضا الى الرد على الرافضة والطعن فيهم ووصف فضائحهم كما هو بين من جدول ابواب الكتاب الذي نقله الخياط في كتاب الانتصار [ص ٢٤] (ص ١٠٣ ــ ١٠٤) في ضمن كلام ابن الرونديوكما يلوح من القطع الباقية منه لفظا او معنى الواردة في المناقشة بين الخياط وابن الروندي . وكان الطعن في الرافضة من اهم ما كلفت المعتزلة نفسها به منذ ابتداء امرها ، لكنها كانت في ذلك الزمان في غاية الحاجة الى تجديد هذه المعاركة لاعلاء كلمتها واظهار حقها . فلا عجب ان راينا رئيسهم يلتفت الى مثل هذا المشروع ولم يقع منه بلا قصد . وكان الجاحظ عالما كبيرا وكاتبا بليغا مليحا أديبا ، فلا بد وأن يكون كتابه هذا توجهت اليه ابصار الخاصة والعامة وصار له بلا شك نفوذ وتأثير في الراي العام . فكان من المحتم ظهور ردود عليه من جهة الرافضة . ولقد ظهر جواب ذلك ، وهذا الجواب هو كتاب « فضيحة المعتزلة » لأحمد بن يحيى الروندي الذي كان قد انتسب الى المعتزلة وتعرف بمذاهبهم ثم انتقل الى الرافضة وصار من انصارهم .

كتاب « فضيحة المعتزلة » هذا لم يعرف منه فيما قبل الا اسمه وبعض جمله وعباراته ، اما الآن فقد ظهر وتجلى . ذلك ان كتاب الانتصار الذي بين يدينا انما الفه الخياط لمجرد الرد عليه فأجاب عن كل فصل فصل منه مدمجا نصه او ما يفيد معناه في كلامه ، فابقى منه قطعا طويلة تكفينا للاطلاع عليه والبحث فيه . ويتبين [ص ٢٥] عند ذلك ان كتاب « فضيحة المعتزلة» مخصوص للرد على الجاحظ ، ويشهد بذلك نفس اسم الكتاب الذي فيه من الايماء الى كتاب الجاحظ ما لا يخفى، ويشهد بذلك أيضا ما قاله ابن الروندي في (ص ١٠٣) من هذا الكتاب فراجعه . وهو من اشد ما حمل به على المعتزلة وابقاه اثرا في راي المتاخرين فيهم حتى يومنا هذا ، ذلك مع خفة روح مؤلفه وعدم ثباته وتقلبه من مذهب الى مذهب والحاده وطعنه في اركان الاسلام .

ومؤلف كتاب الفضيحة هو ابو الحسين احمد بن يحيى بن اسحاق الروندي ، قال عبد الرحيم العباسي عنه في كتاب معاهد التنصيص (١ :٧٦

من طبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ) : انه « من اهل مرو الروذ ، وراوند بفتح الراء والواو وبينهما الف وسكون النون وبعدها دال مهملة : قرية من قرى قاسان بالسين المهملة بنواحي اصبهان وهي غير قاشان التي بالمعجمة المجاورة لقم . سكن المذكور بغداد وكان من متكلمي المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحداً زنديقاً » وهذا ملخص ما تجده في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان (١ : ٣٨ ـ ٣٩ من طبعة بولاق سنة ١٢٧٥ هـ) . اقول : ورد في الكتب القديمة « الراوندي » و « الروندي » والثاني متغلب وهو ما يستعمل في هذا الكتاب وكتاب الفرق بين الفرق فحققته .

[ص ٢٦]

واذكر هنا حكاية طويلة نقلها صاحب معاهد التنصيص عن كتاب « محاسن خراسان » للبلخي وهو ابو القاسم البلخي الكعبي تلميذ الخياط المتقدم ذكره وهذا نصها (١ : ٧٦ ـ ٧٧ من كتاب معاهد التنصيص) :

« كان ابن الروندي هذا من المتكلمين ولم يكن في زمانه احذق منه بالكلام ولا اعرف بدقيقه وجليله ، وكان في اول امره حسن السيرة حميد المذهب كثير الحياء ، ثم انسلخ من ذلك كله لاسباب عرضت له . وكان علمه اكثر من عقله فكان مثله كما قال الشاعر :

ومن يطيق مزكى عند صبوته ومن يقوم لمستور اذا خلعا

وقد حكى جماعة انه تاب عند موته مما كان منه واظهر الندم واعترف بأنه انما صار اليه حمية وانفة من جفاء اصحابه له وتنحيتهم اياه من مجالسهم . واكثر كتبه الكفريات الفها لابي عيسى اليهودي الاهوازي وفي منزله هلك .

ومما الفه من كتبه الملعونة : كتاب « التاج » يحتج فيه لقدم العالم، وكتاب « الزمرذة » (كذا) يحتج فيه على الرسل ويبرهن على ابطال الرسالة ، وكتاب « الفرند (١) » في الطعن على النبي صلى الله عليه [ص ٢٧] وسلم ، وكتاب « اللؤلؤة » في تناهي الحركات ، وقد نقض هو اكثرها وغيرها . ولابي علي الجبائي وغيره ردود عليه كثيرة .

---

(١) في الاصل : الفريد .

فمما قاله في كتاب الزمرذة انه انما سماه بالزمرذة لان من خاصية الزمرذ ان الحيات آذا نظرت اليه ذابت وسالت اعينها . فكذلك هذا الكتاب اذا طالعه الخصم ذاب . وهذا الكتاب يشتمل على ابطال الشريعة الشريفة والازدراء على النبوات المنيفة .

فمما قاله فيه لعنه الله وابعده : انا نجد في كلام اكثم بن صيفي شيئا احسن من (انا اعطيناك الكوثر) ، وان الانبياء كانوا يستعبدون (٢) الناس بالطلاسم . وقال : ان قوله (يعني نبينا عليه الصلاة والسلام) لعمار رضي الله عنه : « تقتلك الفئة الباغية » كل المنجمين يقولون مثل هذا . ولقد كذب لعنه الله واخزاه وجعل النار مستقره ومثواه ، فان المنجم ان لم يسأل الانسان عن اسمه واسم امه ويعرف طالعه لا يقدر ان يتكلم على احواله ولا يخبره بشيء من متجدداته وخطؤه اكثر من صوابه . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بالمغيبات من غير ان يعرف طالعا او يسأل [ص ٢٨] عن اسم او نسب ، ولم يعهد عنه غير ما ذكر صلى الله عليه وسلم ، فبان الفرق .

وقال في كتاب الدامغ : ان الخالق سبحانه وتعالى ليس عنده من الدواء الا القتل ، فعل العدو الحنق الغضوب ، فما حاجته الى كتاب ورسول ؟ قال : ويزعم انه يعلم الغيب فيقول : (ما تسقط من ورقة الا يعلمها) ثم يقول : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم) وقال في وصف الجنة : (فيها انهار من لبن لم يتغير طعمه) وهو الحليب ولا يكاد يشتهيه الا الجائع . وذكر العسل ، ولا يطلب صرفا ، والزنجبيل ، وليس من لذيذ الاشربة ، والسندس ، يفترش ولا يلبس ، وكذلك الاستبرق ، وهو الغليظ من الديباج . ومن تخايل انه في الجنة يلبس هذا الغليظ ويشرب الحليب والزنجبيل صار كعروس الاكراد والنبط . ولعمري لقد أعمى الله بصره وبصيرته عن قوله تعالى : (وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين) وعن قوله عز وجل (ولحم طير مما يشتهون) ومع ذلك ففيها اللبن والعسل وليس هو كلبن الدنيا ولا عسلها ، وغليظ الحرير يريد به الصفيق الملتحم النسج وهو افخر ما يلبس .

---

(٢) كذا في الاصل المطبوع واظن الصحيح « يشعبذون » وهو يطابق ما نقله الخياط عن كتاب الزمرذ في كتابنا هذا (ص ٢ – ٣) [= الانتصار] .

ولو ذهبت اورد ما ذكره هذا الملعون وتفوه بـــه من الكفر والزندقة والالحاد لطال الامر ، والاشتغال بغيره اولى . والله تعالى [ص ٢٩] منـــزه سبحانه عما يقول الكافرون والملحدون علوا كبيرا ، وكذلك كتابـه ورسوله صلى الله عليه وسلم . ا هـ حكاية البلخي نقلا عن معاهد التنصيص .

ثم وردت نبذة اخرى من حكاية البلخي في قطعة مـن كتاب الفهرست مطبوعة في الجـزء الرابع مـــن المجلـــة النمساوية في معرفـــة الشرق (WZKM) التي لا تزال تظهر في (فينا) وتـرى ترجمـة ابن الروندي في (ص ٢٢٣) منه ويرد في كتـــاب الفهرست بعض مـــا ورد في معاهـد التنصيص واختصر صاحب الفهرست في بعض وزاد بعض اشيــاء لا توجـد في معاهد التنصيص ، فالظاهر ان كل واحدة من الروايتين مختصرة مـــن مصدر واحد . ومما زاد صاحب الفهرست بعض اخبار عن كتبه فسأذكرها فيما بعد ، ويصرح بأن كنية البلخي المنقول عنه الرواية هـي ابـو القاسم ، فهذا دليل قاطع على ان البلخي هو ابو القاسم الكعبي تلميذ الخياط .

وقال ابن المرتضى في كتابه المذكور (ص ٥٣) ما نصه :

وكان ابن الراوندي المخذول من اهل هـــذه الطبقة (اي الثامنة) ، ثم جرى منه ما جرى وانسلخ عـــن الدين واظهر الالحاد والزندقة وطردته المعتزلة فوضع الكتب الكثيرة في مخالفة الاسلام ، وصنف [ص ٣٠] كتاب « التاج » في الرد على الموحدين ، و [كتاب] « عبث الحكمة » (٣) في تقويـــة القول بالاثنين ، و « الدامغ » في الرد على القرآن ، و « الفرند (٤) » في الرد على الانبياء ، وكتاب الطبائع، والزمرذ، والامامة، فنقض اكثرها الشيخ ابو علي [الجبائي] والخياط والزبيري ، ونقض ابو هاشم كتاب الفرنـد (٤) . وصنف [ابن الروندي] كتابا سماه « فضائح المعتزلة » فنقضه ابو الحسين [الخياط] ويسمى النقض « الانتصار (٥) » . قال القاضي : ويقال : انـه تاب في آخر عمره . قال الحاكم : لكني رايت عن ابي الحسين انكار ذلك .

---

(٣) في الاصل المطبوع : « بعث » والصحيح ما ورد في كتاب الفهرست (ص ١٧٧ تحت ترجمة ابي سهل النوبختي) وسابحث عنه .

(٤) في الاصل : الفريـد .

(٥) وهو كتابنا هذا [= كتاب الانتصار] .

وكنية ابن الروندي ابو الحسين واسمه احمد بن يحيى .

واختلفوا في سبب الحاده ، فقيل : فاقة لحقتـــه ، وقيل : تمنـــى رياسة ما نالها ، فأرتد والحد . فكان يصنع هذه الكتب للالحـــاد وصنف لليهود والنصارى والثنوية واهل التعطيل . قيـــل : وصنف « الامامة » للرافضة واخذ منهم ثلاثين دينارا . ولما ظهر منه مـــا ظهر قامت المعتزلة في امره واستعانوا بالسلطان على قتله فهرب [ص ٣١] ولجأ الى يهودي في الكوفة، فقيل : مات في بيته . اهـ حكاية ابن المرتضى .

واما « القاضي » الذي حكى عنـــه توبة ابن الروندي فهو عبد الجبار المعتزلي المشهور ، وذكر توبته الكعبي أيضا ، فالبين ان عبـــد الجبـــار نقل شيئا من ترجمة ابن الروندي عن الكعبي . واما مـــا نقله ابن المرتضى عـــن الحاكم عن الخياط من عدم توبته فهو مطابق لما يفهم مـــن كتاب الإنتصار (راجع ص ٨٨) . واما ما جرى بينه وبين المعتزلة فان حكايـــة ابن المرتضى اقرب ما يكون الى ما نجده في كتاب الانتصار ، راجع مثلا (ص ١٠٢) حيث قال : « فكانت هي [اي المعتزلة] اشد الناس عليه حتى لقـــد هجره اكثرها فبقي طريدا وحيدا فحمله الغيظ الذي دخله على ان مال الـــى الرافضة اذ لم يجد فرقة من فرق الامة تقبلـــه ، فوضع لهم كتابـــه في الامامـــة وتقرب اليهم بالكذب على المعتزلة » . ويكثر ذكـــر مناسباته للمعتزلـــة في كتاب الانتصار كما سترى عند مراجعة الفهرس تحت اسم « ابـــن الروندي » . واما آخر امره فهي مسألة مشكلة نؤجل البحث عنها ، والآن ساورد بعض اخبار اخرى عن كتبه وحالاته .

قال ابن خلكان في وفيات الاعيان : « ابو الحسين احمد بـــن يحيى بن اسحاق الروندي العالم المشهور . له مقالة في علم الكلام [ص ٣٢] وكان من الفضلاء في عصره وله من الكتب المصنفة نحو من مائة واربعة عشر كتابا، منها: كتاب فضيحة المعتزلة ، وكتاب التاج ، وكتاب الزمرذ ، وكتـــاب القصب (كذا) وغير ذلك ، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام . وقد انفرد بمذاهب نقلها اهل الكلام عنه في كتبه » .

فهذه كتبه التي عندنا بها معرفة الآن ، ونبتدىء بالكتب التـــي صنفها في زمان صحبته للمعتزلة ، او كما قال البلخي في قطعة الفهرست : « التي من كتب صلاحه » :

(١) كتاب الإسماء والأحكام ، ذكره البلخي في القطعة .

(٢) كتاب الابتداء والاعادة ، ذكره البلخي في القطعة .

(٣) كتاب خلق القرآن ، ذكره البلخي في القطعة وورد ذكره في موضع آخر من الفهرست (ص ٣٨) .

(٤) كتاب البقاء والفناء ، ذكره البلخي في القطعة .

(٥) كتاب لا شيء الا موجود ، ذكره البلخي في القطعة .

(٦) كتاب الطبائع ، وهو مذكور في كتاب الانتصار وعند ابن المرتضى وهو على وفق مذهب معمر (راجع ص ٥٦ من كتابنا) فيظهر انه الفه وهو معتزلي .

[ص ٣٣]

(٧) كتاب اللؤلؤة في تناهي الحركات ، ذكره البلخي في معاهد التنصيص فقط ، فلعله أيضا من « كتب صلاحه » اذ كانت مسألة تناهي الحركات مناقش فيها كثيرا في مجالس المعتزلة وكان ابو الهذيل العلاف هو الذي انشاها .

ثم جرى بينه وبين المعتزلة ما جرى ، وبعد فراقه لهم الف الكتب الآتية :

(٨) كتاب الامامة وهو مذكور في كتاب الإنتصار وعند ابن المرتضى وهو الكتاب الذي تقرب به الى الرافضة بعد الفراق . وذكره البلخي في القطعة وعده من « كتب صلاحه » وينقص من كلامه شيء هنا فلا ندري ماذا قال فيه ، ويجوز أن يكون ذلك خطأ منه ، ويجوز ان يكون كتابا آخر .

(٩) كتاب فضيحة المعتزلة الذي رد عليه الخياط في كتاب الانتصار، وهو مذكور عند ابن المرتضى وابن خلكان ويذكر ايضا في كشف الظنون (٤ : ٤٤٦ من طبعة ليبسيك) ويسمى هنالك « فضائح المعتزلة » .

(١٠) كتاب القضيب ، قال البلخي في القطعة : « كتاب القضيب الذهب وهو الذي يثبت فيه ان علم الله تعالى بالاشياء محدث وانه كان غير عالم حتى خلق لنفسه علما ، تعالى الله وجلت [ص ٣٤] عليته. ونقضه عليه ابو الحسين الخياط ايضا » . والقول المذكور ماخوذ من مذهب هشام بن الحكم كما سترى في كتاب الانتصار (راجع الفهرس تحت « هشام بن

الحكم ») . ويذكر هذا الكتاب في كشف الظنون ايضا (٥ : ١٣٧) ، وذكره ابن خلكان ويسميه « كتاب القصب » .

(١١) كتاب التاج ، ورد ذكره في كتابنا ويشار الى بعض ما تضمنه (راجع الفهرس) ، وذكره أيضا البلخي في معاهد التنصيص وابن المرتضى وابن خلكان وصاحب كشف الظنون (٥ : ٦٠) ، ونقضه أبو سهل النوبختي بكتاب السبك (راجع كتاب الفهرست ص ١٧٧) .

(١٢) كتاب التعديل والتجوير ، قال فيه : ان من أمرض عبيده واسقمهم فليس بحكيم فيما فعل بهم ، وأنه ليس بحكيم من أمر بطاعته من يعلم انه لا يطيعه ، وأن من خلد من كفر به وعصاه في النار طول الابد سفيه غير حكيم وغير ذلك كما ترى في كتابنا (ص ٢) . ولا شك في ان هذا الكتاب هو المراد بكتاب « عبث الحكمة » له الذي رد عليه ابو سهل النوبختي (كتاب الفهرست ص ١٧٧) اذ هذا الأسم لعمري مطابق لموضوعه . وذكر البلخي في القطعة كتابا يسميه « نعت الحكمة صفة القديم تعالى وجل اسمه [ص ٣٥] في تكليف خلقه أمره ونهيه» واعترف ناشر القطعة بأن هذا الكتاب هو الكتاب المذكور في الفهرست (ص ١٧٧) بعينه . ويخطىء من سماه « عبث الحكمة » وأنا على خلاف ذلك ، ولا اشك في ان الوارد في القطعة خطأ صوابه : « كتاب عبث الحكمة سفه [فيه] القديم تعالى وجل اسمه في تكليف خلقه امره ونهيه » . واذا كان كذلك فالكتاب مذكور عند ابن المرتضى ايضا واسمه محرف كما تقدم . قال البلخي في القطعة : نقضه عليه الخياط .

(١٣) كتاب الزمرذ ، وهو مذكور في كتابنا مع اشارة الى موضوعه وعند البلخي وابن المرتضى وابن خلكان ، ونقل البلخي شيئا منه تجده في معاهد التنصيص . وقال في القطعة : نقضه على نفسه ونقضه الخياط .

(١٤) كتاب الفرند (٦) وهو مذكور عند البلخي وابن المرتضى وابن خلكان ، وهو في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم . ورد عليه ابو هاشم كما قال ابن المرتضى ، وقال البلخي في القطعة : نقضه الخياط .

---

(٦) يسمى في الكتب المطبوعة كلها « الفريد » وصححه ناشر قطعة الفهرست والتصحيح جميل ، والفرند هو وشي السيف او السيف نفسه .

[ص ٣٦]

(١٥) كتاب الدامغ في الرد على القرآن ، ذكره البلخي وابن المرتضى ونقل منه البلخي ، وقال البلخي في القطعة : نقضه الخياط وابو علي الجبائي ونقضه هو على نفسه . وقال الجبائي : انه وضع هذا الكتاب لليهود لما طلبه السلطان فهرب اليهم ، ثم مات بعد ذلك بقليل ، وسأورد النص فيما بعد .

(١٦) كتاب البصيرة ، ذكره ابو العباس الطبري كما سياتي وقال : انه صنفه لليهود رداً على الاسلام .

(١٧) كتاب في التوحيد ، ذكره الخياط في كتابنا (ص ١٣) وقال : انه الفه متجملا به عند اهل الاسلام لما خاف على نفسه ووضع الرصد في طلبه .

(١٨) كتاب الزينة ، وهو مذكور في كشف الظنون (٥ : ٩٢) .

(١٩) كتاب اجتهاد الراي ، نقضه ابو سهل النوبختي (كتاب الفهرست ص ١٧٧) .

ورد على ابن الروندي الإمام الاشعري ايضا بكتاب يذكر في كشف الظنون (٣ : ٣٥٤) .

ثم نورد بعض اخبار عن عمره وأخلاقه وامواله .

[ص ٣٧]

قال القاضي ابو علي التنوخي : كان ابو الحسين بن الروندي يلازم اهل الالحاد ، فاذا عوتب في ذلك قال : « انما اريد أن اعرف مذاهبهم » . ثم انه كاشف وناظر . ويقال : ان اباه كان يهوديا فأسلم ، وكان بعض اليهود يقول لبعض المسلمين : ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما افسد ابوه التوراة علينا ! » ويقال : ان ابا الحسين قال لليهود : قولوا : « ان موسى قال : لا نبي بعدي ! » ا هـ . نقلا عن معاهد التنصيص .

وذكر ابو العباس الطبري ان ابن الروندي كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على حال حتى انه صنف لليهود كتاب البصيرة ردا على الاسلام لاربعمائة درهم أخذها فيما بلغني من يهود سامرا ، فلما قبض المال رام نقضه حتى اعطوه مائة درهم اخرى فأمسك عن النقض ا هـ . نقلا عن معاهد التنصيص .

واجتمع ابن الروندي هو وابو علي الجبائي يوما على جسر بغداد فقال له : « يا أبا علي ، الا تسمع شيئا من معارضتي للقرآن ونقضي له ؟ » فقال له : « انا أعلم بمخازي علومك وعلوم أهل دهرك ولكن احاكمك الى نفسك ، فهل تجد في معارضتك له عذوبة وهشاشة وتشاكلا وتلازما ونظما كنظمه وحلاوة كحلاته ؟ » قال : [ص ٣٨] « لا والله ! » قال : « قد كفيتني ، فانصرف حيث شئت ! » اه . نقلا عن معاهد التنصيص .

ومن شعره :

محن الزمان كثيرة لا تنقضي وسروره يأتيك كالاعياد
ملك الاكارم فاسترق رقابهم وتراه رقا في يد الاوغاد

ومنه ، وقيل : انشده لغيره

اليس عجيبا بان امرءا لطيف الخصام دقيق الكلم
يموت وما حصلت نفسه سوى علمه انه ما علم

ولقد سرد ابن الجوزي من زندقته اكثر من ثلاث ورقات . كذا في معاهد التنصيص .

وننتقل الآن الى بحث آخر وهو البحث عن آخر امره وتاريخ موته وهي مسألة ملتبسة مشتبكة غامضة اذ اختلف المخبرون فيها اختلافا بعيدا . فسنسرد ما ورد فيها خبرا خبرا حتى يمكننا الأطلاع عليها ، وعسى ان نصل الى الصواب أو بالاقل الى ظن بالصواب .

قال المسعودي في مروج الذهب (٧ : ٢٣٧) بعد ذكر موت ابي عيسى الوراق وكان ذلك في سنة ٢٤٧ هـ : « وكانت وفاة ابي الحسين احمد بن يحيى بن اسحاق الروندي برحبة مالك بن [ص ٣٩] طوق ، وقيل ، ببغداد ، سنة ٢٤٥ هـ . وله نحو من اربعين سنة ، وله من الكتب المصنفة مائة كتاب واربعة عشر كتابا » نقل هذا ابن خلكان ايضا .

وقال ابن خلكان : « وذكر في البستان انه توفي سنة ٢٥٠ هـ ، والله اعلم ، رحمه الله تعالى » .

وعلى هذا كان ابن الروندي معاصرا لابي عيسى الوراق ومات بعده بقليل . ويفهم ذلك أيضا مما حكي في معاهد التنصيص عن ابي علي الجبائي ، وهذا نصه :

« ذكر ابو علي الجبائي ان السلطان طلب ابن الروندي وابا عيسى الوراق ، فاما ابو عيسى فحبس حتى مات ، واما ابن الروندي فهرب الى ابن لاوى اليهودي ووضع له كتاب الدامغ في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى القرآن الكريم ، ثم لم يلبث الا اياما يسيرة حتى مرض ومات » .

ويؤيد ذلك ما ورد في معاهد التنصيص عن طريق آخر وهو :

« وذكر ابو الوفاء بن عقيل ان بعض السلاطين طلبه وانه هلك وله ست وثلاثون سنة مع ما انتهى اليه من المخازي » . والاخبار كلها تدل على ان ولادته كانت فيما بين ٢٠٥ الى ٢١٥ هـ ، فكان [ص ٤٠] موته على قول ابن عقيل في وسط القرن الثالث اي في الزمن الذي مات فيه ابو عيسى الوراق .

ثم جاء في معاهد التنصيص خبر آخر يخالف الذي تقدم كل الخلاف: « ويقال : انه عاش اكثر من ثمانين سنة ... وقال ابن النجار : بلغني انه هلك سنة ٢٩٨ هـ » .

ثم قيل مرة بعد اخرى في كشف الظنون عند ذكر ابن الروندي : انه مات سنة ٣٠١ هـ (٤ : ٤٤٦ و ٥ : ٦٠ و ٩٢ و ١٣٧) .

فعندنا الآن قولان : احدهما انه مات حول ٢٥٠ هـ ، والثاني انه مات حوالي ٣٠٠ هـ . وبينهما بون شاسع لاجسر عليه للعبور ، واختلاف واسع لا قطع معه . فترجع المسالة الى البحث عن الاخبار والسعي في الحصول على الاشارة من كتاب الانتصار ، ووجدت عند ذلك ما يرجح القول الثاني وهو قول ابن النجار وآخرين . وها هو :

(١) ان صح ان ابن الروندي اجتمع مع ابي علي الجبائي فلا بد وان نقطع بانه عاش في النصف الاخير من القرن الرابع ، ويستحيل انه قد مات حول سنة ٢٥٠ هـ ، اذ الجبائي توفي سنة ٣٠٣ هـ .

(٢) عده ابن المرتضى من الطبقة الثامنة وهي طبقة الجبائي والخياط والكعبي .

[ص ٤١]

(٣) ثبت من كتاب الانتصار ان ابن الروندي ذكر ابا زفر وابا مجالد في كتابه « فضيحة المعتزلة » ونقض كلامهما (راجع ص ٦١ و ص ١٠٢ - ١٠٣) ، وابو زفر وابو مجالد من الطبقة الثامنة ايضا ، فكيف يمكن ذلك لو مات ابن الروندي حول سنة ٢٥٠ هـ اي قبل الجاحظ بقليل . اي في زمان أهل الطبقة السابعة ؟

وعلى فرض صحة القول الثاني فتبقى علينا مشكلات لا سبيل الى حلها وساذكرها :

(١) كيف يمكن ان يكون المسعودي قد اخطأ هذا الخطأ الظاهر وقد كان هو نفسه من الشيعة وعاش في النصف الاول من القرن الرابع ؟

(٢) كيف يمكن ان يكون ابن الروندي قد عاصر الجبائي واجتمع معه ومع ذلك فقد اخبر عنه الجبائي انه مات بعد موت ابي عيسى الوراق بقليل ؟ فان صح ما حكى به في موته بطلت حكاية اجتماعه معه ، وان صح اجتماعه معه بطلت حكايته عن موته . ثم ان بطلت حكايته عن موته فاما ان يكون الخبر مصنوعا عن الجبائي لم يخبر به قط ، واما ان يكون الجبائي كاذبا . فان كان الاول فالامر ظاهر ، ومع ذلك فاتفاقه مع خبر مؤرخ قديم مثل المسعودي [ص ٤٢] مدهش . وان كان الثاني فكيف كذب مثل هذا الكذب الذي هو غير معقول ؟ اذ لو فرضنا ان زيدا كان معاصرا لعمرو ثم حاول ان يكذب على عمرو بعد موته بقليل فما الفائدة في زعم زيد ان عمرا مات من خمسين سنة وكل واحد يعرف انه مات من شهر او سنة او سنتين؟ وهذا مما يضعف القول ببطلان الحكاية ويؤيدها. ثم اشير الى شيء آخر وهو ان خبر الجبائي لا موافقة بينه وبين الاخبار الاخرى عن محنة ابن الروندي بعد ظهور الحاده. قال الجبائي: طلبه السلطان فهرب الى ابن لاوى اليهودي ووضع له كتاب الدامغ ثم مات بعد ايام . ثم قال البلخي : ان اكثر كتبه الفها لابي عيسى اليهودي الاهوازي وفي منزله هلك . ثم قال ابو العباس الطبري : بل الف كتاب البصيرة لليهود ، ويظهر ان ذلك لم يكن في آخر عمره البتة . ثم قال ابن عقيل : طلبه بعض السلاطين ثم هلك عن ست وثلاثين سنة . ثم قال ابن المرتضى : لما ظهر منه ما ظهر قامت المعتزلة في

امره واستعانوا بالسلطان على قتله ولجأ الى يهودي في الكوفة ، ثم زاد : وقيل : مات في بيته ، فيظهر ان هذه الزيادة ليست من الحكاية الاصلية ، وحينئذ فلا يلزم البتة ان ننسبها الى آخر امره بل هي صريحة بان ذلك حدث عند ظهور ما ظهر منه ، اي في ابتداء الحاده . وهذا يوافقه ما ذكره [ص ٤٣] الخياط في كتابنا (ص ١٣) : « لقد الف هذا الماجن كتابا في التوحيد يتجمل به عند اهل الأسلام لما خاف على نفسه ووضع الرصد في طلبه » فيشير ذلك أيضا الى ابتداء الحاده . والقول بأن المعتزلة سعت في قتله عند ظهور امره واشتهار كفره أصرح وارجح بكثير من حكاية الجبائي . واذا كان ذلك كذلك جاز ان يكون الجبائي خلط واخطأ في حكايته لمجرد بعده عن ابن الروندي زمانا وعصرا ، ولغموض أحواله والتباس امره عليه ، فيؤيد ذلك قوله بأن ابن الروندي مات في زمن ابي عيسى الوراق ، اي حول سنة ٢٥٠ هـ . فلكل واحد من القولين سند ، لكن القول الثاني وهو ان ابن الروندي مات سنة ٢٩٨ هـ او ٣٠١ هـ عندي اوضح واسهل وابدر الى الفهم ، والله اعلم .

ومع هذا الاختلاف البعيد فاتفقوا جميعا على انه ولد فيما بين ٢٠٥ هـ الى ٢١٥ هـ فان من قال بانه مات سنة ٢٤٥ هـ قال : انه انتهى من عمره الى اربعين سنة ، ثم قال بعضهم : انه انتهى الى اكثر من ثمانين ، فاذا حققنا القول بأنه مات سنة ٢٩٨ هـ فيفضي بنا ذلك الى انه ولد في الزمان المذكور ايضا .

ولقد كان لكتاب فضيحة المعتزلة تأثير واسع بعيد في الاسلام وبقي صداه الى زماننا هذا، فانه قد اقتبس منه معظم أعداء المعتزلة [ص ٤٤] من اي مذهب كانوا لا سيما اهل السنة والحديث مع كفر مؤلفه ورغبتهم الشديدة عن الرافضة ، لان المعتزلة كانت من ابغض الناس اليهم ، ولا ترى في الدنيا خصمين الا ويجتمعان للورود على عدو يقاتلهما معا . ودليل ذلك ان البغدادي في تأليف كتاب « الفرق بين الفرق » أخذ اكثر ما نقله عن المعتزلة من كتاب ابن الروندي كما يرى عند مقابلة الكتابين ، وسنشير في التعليقات الى بعض مواضع تقطع بوقوف البغدادي على كتاب فضيحة المعتزلة . ثم الف هو نفسه كتابا سماه « فضيحة المعتزلة » (راجع كشف الظنون ٤ : ٤٤٦) ولم يبق منه الا اسمه ، لكن هذا الاسم فيه ايماء ظاهر الى

ماخذه . وترى في وصف ابن خلكان لابن الروندي من الاحترام وحسن الظن به ما لا يخفى .

واما الشهرستاني فقد ورد في كتاب الملل والنحل ما يدل على معرفته بكتاب « فضيحة المعتزلة » اذ ذكر ابن الروندي في بعض مواضع ونقل عنه اشياء تجد بعضها في كتاب الانتصار وهي :

(١) ص ٤٢ من كتاب الملل والنحل : « قال ابن الروندي : انهما (اي فضل الحدثي واحمد بن حائط) كانا يزعمان ان للخلق خالقين : احدهما قديم وهو الباري تعالى ، والثاني محدث وهو المسيح ـ عليه السلام ـ لقوله تعالى : (اذ تخلق من الطين كهيئة الطير) وكذبه [ص ٤٥] الكعبي في رواية الحدثي خاصة لحسن اعتقاده فيه » يقابل ذلك ص ١٥٢ من كتاب الانتصار ، والظاهر ان الخياط قد اختصر الحكاية .

(٢) ص ٥٠ منه : « وحكى ابن الروندي عنه (اي عن ثمامة) انه قال : العالم فعله (٧) الله تعالى بطباعه » يقابل ذلك في صفحة ٢٢ من كتاب الانتصار .

(٣) ص ٥٣ منه : « وحكى ابن الروندي عنه (اي عن الجاحظ) ان القرآن جسد يجوز ان يقلب مرة رجلا ومرة حيوانا » وهذا لم يرد في كتاب الانتصار ، ويجوز ان يكون من كتاب فضيحة المعتزلة .

(٤) ص ١٤١ منه : « حكى ابن الروندي عن هشام [بن الحكم] انه قال : ان بين معبوده وبين الاجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه » لم يرد في كتاب الانتصار ، ولعله ليس من كتاب فضيحة المعتزلة .

ومع ذلك فلم يبين الشهرستاني كلامه في المعتزلة على كتاب ابن الروندي كما بنى البغدادي كلامه فيهم عليه ، وورد في كتابه اشياء كثيرة [ص ٤٦] عن المعتزلة لا يقابلها في كتاب ابن الروندي وكتاب البغدادي شيء، او وردت بنص آخر يدل على مأخذ غير مآخذهما .

---

(٧) في الاصل : فعل .

(٤/٢٢)

خياطة ، سليم :

ـ ابن الراوندي ، فذلكة عنه .

مجلة المقتطف ، (القاهرة ١٩٣١) ،

ج ٤ ، م ٧٨ .

[ص ٤٥٢]

ابـــن الراونـــدي (١)

فذلكة عنـــه

« ولم يزل الالحاد في بني آدم على ممر الدهور »

ابـــو العـــلاء

« زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندي ، وابو حيان ، وابو العلاء »

الحافظ بـــن الجوزي

ولد ابو الحسين احمد بن يحيى بن اسحق الراوندي ، فيمـــا بـــين السنة ٢٠٥ هـ . و ٢١٥ هـ . اما موته فمختلف في تاريخه جـــداً . والضبط

(١) لخص هذا المقال من درس وضعه كاتبه الفاضل عن ابن الراوندي ، وهو يعـــده للنشر [ولم ينشر الاصل فيما بين ايدينا من المراجع المطبوعة] .

الذي يبدو اقرب الى المعقول من سواه هو انـه توفي في اثناء الفترة الممتدة بين سنتي ٢٩٨ و ٣٠١ هـ. (٢) . وهـو في الاصل مـن أهـل مرو الروذ ، وينتسب الى قرية من قرى قاسان بنواحـي اصبهان تقـع في جنوب فارس وشمالي شط العرب . لسنا نعلم عن نشأته الاولى شيئا ، غير ان المشهور عنه أنه ما عتم أن شب حتى ترك كورته ونزح الـى بغـداد ، دار السلام ومدينة عجائب الزمان التي جمعت بين طرائف العالم الإسلامي كلها . هذا ما أخبرنا به عبد الرحيم العباسي في كتابه « معاهد التنصيص » (٣) .

نترك ، اذن ، طفولة ابن الراوندي ونشأته الاولـى آسفين لجهلنـا اياهما ، اذ أن الباحث يهتدي الى الرجل بالطفل ، ونطفر راسا الـى تلـك الحقائق الجافة والروايات الضعيفة ، المضطربة ، المبثوثة في ما بقي لنا من المؤلفات التي خزنت في بطونها شيئا من تاريخ الفكر العربي .

ان كل ما نعرفه عن اسرة ابن الراوندي هو انها مـن أصل يهودي ، وان اباه كان يدين باليهودية ثم اسلم ، واليهود شعب لم يعرفه التاريخ الا بعباقرته (!). ونعلم كذلك انه كان لصاحبنا اخ وعم معتزليان استنادا الى ما ورد في كتاب « الانتصار » (٤) تأليف ابي الحسين الخياط حيـث قـال « وكما أن عم صاحب الكتاب (يقصد بصاحب الكتـاب ابـن الراوندي) واخاه معتزليان الخ . . . » .

ويظهر ان اباه ، يحيى بن اسحق ، كانت قد انفرست فيه بذرة مـن الثورة وحب الشغب [ص ٤٥٣] فأورثها ابنه . فقد روي انـه كان بعض اليهود يقول لبعض المسلمين بشأن صاحبنا : « ليفسدن عليكم هـذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا! » فكأني بعد هذا الحديث ارى يحيى ابا احمد الراوندي قد انشق لامر ما على اهل طائفته فأخذ يثير عليهم عجـاج الجدل

---

(٢) اتفق مؤلفو الراوندي على انه ولد فيما بين سنتي ٢٠٥ ـ ٢١٥ هـ . امـا وفاته فمن قائل انها وقعت سنة ٢٥٠ وله من العمر ما يدور حول الاربعين . ومن قائل انـه قبض حوالي سنة ٣٠٠ وعمره نيف وثمانون . ونحن نرجح مـع الدكتور نيبرج المستشرق الاسوجي انه توفي فيما بين سنتي ٢٩٨ ـ ٣٠١ هـ .

(٣) جزء ١ ـ ص ٧٦ من طبعة بولاق .

(٤) الانتصار ص ١٩٤ ـ طبع دار الكتب المصرية بعناية الدكتور نيبرج .

والمشاغبة كما كان ابنه يفعل فيما بعد ، فاذا لم يتم له ما اراد انقلب مسلما نكاية في بني دينه اليهود !

لا تذكر كتب التراجم شيئا البتة عن ابن الراوندي قبل زمن اعتزاله . ولذلك نبتدىء بحديثنا عنه من ذياك الحين . اما متى اعتزل ، فمسالة يحفها الغموض . وكيف وعلى من درس اصول الاعتزال ؟ فان هذا في الغموض صنو ذاك . ولكننا نرجح أن الزمان الذي كان فيه ابن الراوندي من اتباع المذهب الاعتزالي يمتد من تاريخ مجهول في شبابه ، من الثامنة عشرة او العشرين مثلا الى الخامسة والعشرين من سنيه كحد اقصى . اذن فلنرافق صاحبنا في سفرة حياته من مرحلة الاعتزال ، ولا ريب أننا تاركوه في الجحيم !

حذق ابن الراوندي اساليب المعتزلة في الكلام وتفنن في الاقتباس عنهم ، والاختراع على اصولهم ، حتى فاق اقطابهم في صناعتهم وهو لم يقطع بعد مرحلة الشباب الاولى . وقد بلغت به القدرة في الكلام، والاتساع في علوم الاعتزال ان شهد فيه كبير من علمائهم هو ابو القاسم البلخي الكعبي في كتابه « محاسن خرسان » هذه الشهادة الطيبة : « كان ابن الراوندي هذا من المتكلمين ، ولم يكن في نظرائه في زمانه احذق منه بالكلام ، ولا اعرف بدقيقه وجليله . وكان علمه اكثر من عقله ... » . ثم يقول البلخي عنه بعد هذا الكلام : وكان في اول امره حسن السيرة ، حميد المذهب كثير الحياء ، ثم انسلخ من ذلك كله لاسباب عرضت له .

ويقول عبد الرحمن (كذا !) العباسي في كتاب « معاهد التنصيص»: وكان (اي ابن الراوندي) من متكلمي المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحدا .

ويقول احمد ابن يحيى المرتضي في مؤلفه « المنية والامل » المطبوع في حيدر اباد سنة ١٣١٦ هـ . « وكان ابن الراوندي المخذول من هذه الطبقة (اي الثامنة) ، ثم جرى منه ما جرى وانسلخ عن الدين ، واظهر الالحاد والزندقة ، وطردته المعتزلة ، فوضع الكتب الكثيرة في مخالفة الاسلام .. »

ويقول ابو الحسين الخياط في « الانتصار » « ... فلعمري ان فضل الحذاء قد كان معتزليا نظاميا الى ان خلط وترك الحق ، فنفته المعتزلة

وطردته عن مجالسها ، كما فعلت بك لما الحدت في دينك ، وخلطت في مذهبك ، ونصرت الدهرية في كتبك . . . » .

ها انا قد سقنا اليك اربعة نصوص مقتضبة لاربع من القدماء عنوا بابن الراوندي ما بين [ص ٤٥٤] ترجمة ونقض وهجاء . وفي هذه النصوص الاربعة تجد سيرته هيكلا عظميا ، ينقصه ، حتى يصير انسانا سويا ، اللحم والدم والاصفران .

يجب ان يحتفظ دارس ابن الراوندي ، قبل خوضه في موضوعه بحقيقة عنه بارزة ، ليس في وسع انسان انكارها عليه . تلك الحقيقة هي سعة علم صاحبنا . ان ابلغ صورة نقدر ان نثبتها له هي التي يمثلها « انسيكلو بيديست » اغترف من كل علم نصيبا وفيرا . لقد ظهر واضحا من النصوص التي اوردناها فوق ان علم ابن الراوندي كان عظيما ، وسيع الافق ، حتى شهد له بذلك مخالفوه ، في الراي والعقيدة . ومن قرا كتاب الانتصار ، وقد وضعه ابو الحسين الخياط المعتزلي بمثابة نقض لكتاب « فضيحة المعتزلة » الذي نشره ابن الراوندي منتصرا فيه للرافضة ، يعرف منه مقدرة صاحبنا ومبلغ علمه وذكائه . نعم ليس لدينا اليوم مؤلف واحد لابن الراوندي مع ان ابن خلكان حسب له في كتابه « وفيات الاعيان » مائة واربعة عشر تصنيفا ، ولكن يكفي لان نقتنع بفزارة اطلاعه ، وقوة عارضته في الجدل ، وتدفقه في ايراد الحجة ، ان نلقي بنظرنا على بعض فقرات له في كتابه « فضيحة المعتزلة » اوردها ابن الخياط في « الانتصار » بقصد الرد عليها وانتقاصها من وجهة نظر معتزلي متعصب لاعتزاله .

لقد كان ابن الراوندي ملحدا في شبابه ولكنه كان اعرف باعجاز القرآن وسحره من اكثر المؤمنين . ولقد كان عدوا للمعتزلة بعدما هجرهم وحاربهم على انه كان في حربه لهم افهم لنظريات الاعتزال ومبادئه واعمق ادراكا لعلوم الكلام من المعتزلة انفسهم . ويكفي ان يقول عنه البلخي انه لم يكن في نظرائه في زمنه احذق منه بالكلام ، ولا اعرف بدقيقه وجليله . وجاء في « وفيات الاعيان » : ان له مقالة في الكلام ، وكان من الفضلاء في عصره وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام . وقد انفرد بمذاهب نقلها اهل الكلام عنه في كتبهم . واورد صاحب « الفهرست » هذه القصة (ولم اجدها في غير هذا الكتاب) قال : وحكى ابو الحسين

الراوندي ، قال : مررت بشيخ جالس وبيده مصحف وهو يقرأ « ولله ميزاب السموات والارض » فقلت : وما يعني « ميزاب السموات والارض ؟ » قال : هذا المطر الذي ترى . فقلت : ما يكون التصحيف الا اذا كان مثلك يقرأ يا هذا ! انما هو « ميراث السموات والارض » فقال : اللهم غفرا ! انا من اربعين سنة اقرأها ، وهي في مصحفي ، هكذا !..

وبينما كان هذا من أمر صاحبنا ، ملحد يصحح قراءة مؤمن ، اذا نحن نشيمه في الوقت نفسه بصنف معارضاته للقرآن الكريم ونقائضه على الانبياء والكتب المنزلة . جاء في معاهد التنصيص : انه قد اجتمع ابن الراوندي ، وابو علي الجبائي ، يوما على جسر بغداد ، فقال له : يا ابا [ص ٤٥٥] علي ! الا تسمع شيئا من معارضتي للقرآن ونقضي له ؟ فقال له : انا اعلم بمخازي علومك وعلوم اهل دهرك . ولكني احاكمك الى نفسك : فهل تجد في معارضتك له عذوبة وهشاشة وتشاكلا وتلازما، ونظما كنظمه، وحلاوة كحلاوته ؟ قال : لا والله ! قال : قد كفيتني فانصرف حيث شئت ! » .

بلى ، لقد كان ابن الراوندي محيطا بجماع علوم عصره وفلسفاته واديانه . وضع كتابا لليهود يرد فيه على المسلمين . ثم رام نقضه بنفسه فلم يفعل لسبب سيأتي ذكره . وضع « الامامة » للرافضة لقاء ثلاثين دينارا وكتبا غيره في الطعن على التوحيد واهله ، لكن نقضها بنفسه اذ وضع كتابا صنفه لاهل التوحيد . ولقد اتينا بنبذة عن مبلغ علمه في الاعتزال ولكنه وضع الكتب عليها يحقرها ، وينحت فيها من أثلتها ، واستخرج الحجج عليها من علومها واساليبها في الجدل وصياغة البرهان . وصنف الكتب ضد الانبياء جميعا ، وعارض نظم القرآن بنظم من صنعه . ووضع التآليف للرافضة ضد اهل السنة والاعتزال ، وللسنة ضد الآخرين ، وفي اول نشأته ، للاعتزال ضد المذاهب جميعا ! وعارض كتبه بنفسه ، فما كان ينشر الكتاب في غاية من غاياته ويصل اليها حتى يرمي الى الناس بنقض لما ورد في ذلك الكتاب . ويظهر انه كان في الغالب موفقا في الحصول على بغيته ، يصل اليها بسهولة عجيبة . ذكر ابو العباس الطبري « ان ابن الراوندي كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على حال ، حتى انه صنف لليهود كتاب « البصيرة » ردا على الإسلام لاربعمائة درهم اخذها فيما بلغني من يهود سامرا ، فلما قبض المال رام نقضه حتى اعطوه مئة درهم اخرى فامسك عن النقض !.. » (نقلا عن معاهد التنصيص) .

وكان كل كتاب ينشره يثير دويا بعيدا في الاوساط الدينية والفلسفية فلا يلبث ان يذيع حتى يسرع بعض الكتاب في نقضه ، والبعض في امتداحه، اذ ان ابن الراوندي كانت طريقته في حياته المذهبيـة التلاعب بالفرق والملل وباهل كل منها يمدح اليوم مذهبا ويحقر آخر ، فيحمى وطيس القتال بين أهل المذهبين حتى لينسونه لشدة ما يستولي عليهم من الحـدة وسورة النضال . ثم لا يمر زمن حتى ينقض كتابه بنفسه فيطري ما هجا ، ويهجو ما اطرى ، ويصغر ما عظم ، ويعظم ما صغر ، فلا يزال القتال مستمرا بين اهل الملتين وهم مدفوعون بكتابات صاحبنا وحججه التي يؤلبها جميعا تارة في هذا الجانب من الموضوع وتارة في الجانب الآخـر . جـاء في الفهرست : ومما الف (صاحبنا) من الكتب الملعونة ... كتاب يطعن فيه على نظـم القرآن ، نقضه عليه الخياط وابو علي الجبائي وسهل بـن نوبخت ، ونقضه هو على نفسه ! » فتامل ... لا شك في ان جميع هذا يدل عـلى ان ابـن الراوندي كان من افذاذ عصره علما بل من اعلام العصور كما انه يعد مـن اقطاب المشاغبين والخارجين .

[ص ٤٥٦]

اخذ صاحبنا في ايـام شبابه يلازم أهـل الالحـاد . فاذا موتب في ذلك احتج لعمله قائلا : انما اريد ان اعرف مذاهبهم !. وهـذا الجـواب لعمري حجة قاطعة اذ هو من قبيل : تعلم السحر ولا تعمل به . ولكنـه ليس بالحجة القانعة . ولقد اخذت الشبهات تنسل الـى قلوب اصحابه القدماء من المعتزلة وممن كانوا ذوي دين جميل ، وسيرة قويمة ، من حين هذه الملازمة ومثل هذا الجواب . ويظهر من هذا أن صاحبنا كان له رفقاء يشاركونه في آرائه ، وانه كان من عادتهم ان يجتمعوا الـى بعضهم فيدلون بأفكارهم ، ونتيجة اطلاعهم ، ويجدلون ويتناقشون في أمور ما كانت الجمعية لتسمح ببحثها والجدل في امرها . قـال صاحب الانتصار (ص ١٠٣) : وهذا القول كان لقوله الخبيث (صاحبنا) في آخـر صحبته للمعتزلـة . وصحبه على ذلك احداث ، فكلهم اظهر الحاده وانكشف كفره ... » .

ولقد كان ابن الراوندي ، كما يفهم من النصوص القديمة تلميـذا وصديقا لابي عيسى الوراق وابي حفص الحداد وغيرهما مـن مشهوري ملاحدة ذلك الزمان الذين تستروا بالرفض اتقاء لشرور المعتزلة واهـل السنة ومحاربة لهم قال ابن الخياط في الانتصار (ص ٩٧) : قـد كـان تعرضنا لنقض كتاب ساقط مثلك (يخاطب صاحبنا) ضربا مـن العنـاء .

ولكنا قد نقضنا على استاذيك ، ابي حفص الحداد وابي عيسى الوراق مع خساستهما وضعتهما ، فليس بمستكثر ان ننقض على من قاربهما من اتباعهما » وقال ايضا (ص ١٤٩) يخاطبه « وكما فعلت (اي المعتزلة) باخيك أبي عيسى لما قال بالمنانية ... » .

الحد ابن الراوندي فاخذ يخرج للناس كتب الالحاد بالعشرات . ولكن البحث العلمي حظه سيء ، اذ لم يصلنا من هذه الكتب مؤلف واحد ، بل انه لم يبق لنا من جميعها التي بلغت — على حساب ابن خلكان — المائة والاربعة عشر كتابا سوى عبارات متقطعة مبثوثة هنا وهناك في كتب التراجم العتيقة والرادين عليه . وكان قد صنف كتابا للرافضة ردا على « فضيلة المعتزلة » الذي الفه الاديب العربي الكبير ، الجاحظ ، ليبث به الدعوة الى الإعتزال وقد كان من رؤسائه ، فسماه « فضيحة المعتزلة » فوصلتنا من هذا المؤلف قطع مبعثرة في كتاب « الانتصار » الذي صنفه ابو الحسين الخياط ردا بدوره على « فضيحة المعتزلة » وهي تدل على ما بلغ اليه تفكيره من عمق وعلمه من غزارة ، وشكه من استهانة ومجونه من تلاعب بالفرق والشيع والاديان تلاعبا مزريا بها وبأهلها محطا من شانهم وشانها .

كم يلذ لي التحدث عن صاحبي هذا ! أنها لساعة من سحر تلك التي اقعد فيها الى مكتبي وامامي « علبة » لفافاتي الفاتنة لاتحدث الى نفسي او الى قارئي بخبره . ولكني قد رايت القلم قد جمح في هذه الفذلكة فأطال وانا لا اريدها ان تكون اكثر من امرار نظر والتقاط [ص ٤٥٧] بعض الحوادث من صفحات الرسالة التي وضعتها عليه . ها قد وصلت في مقالي الى ابتداء الامر بالحاد صاحبنا ولست ادري كيف انتهي وماذا اختار من الكلام والكلام كثير . ولكني اراني مرغما على الانتهاء هنا او بعد هنا بقليل ، اذ اريد قبل ان نسدل الستار ان اسوق الى القارىء بعض اقوال صاحبنا المأثورة عنه علها تساعد على فهم هذه النفس الغريبة الشاذة وعلى تصورها . قال البلخي : « ... ومما الفه من كتبه الملعونة: كتاب « التاج » يحتج فيه على قدم العالم وكتاب « الزمرذة » يحتج فيه على الرسل ويبرهن على ابطال الرسالة ، وكتاب « الفرند » في الطعن على النبي (صلعم) وكتاب « اللؤلؤة » في تناهي الحركات ...

« فمما قاله في كتاب « الزمرذة » انه انما سماه بالزمرذة لان من خاصة الزمرذ ان الحيات اذا نظرت اليه ذابت وسالت اعينها !.. فكذلك هذا الكتاب اذا طالعه الخصم ذاب ! وهذا الكتاب يشتمل على ابطال الشريعة الشريفة ، والازدراء على النبوات المنيفة . فمما قاله فيه ـ لعنه الله وابعده ! ـ انا نجد في كلام اكثم بن صيفي (الحكيم الجاهلي المعروف) شيئا احسن من « انا اعطيناك الكوثر » ! ! .. وقال : ان قوله (يعني نبينا عليه الصلاة والسلام) لعمار رضي الله عنه ـ « تقتلك الفئة الباغية » كل المنجمين يقولون مثل هذا ! » وكان يقول : ان الانبياء يشعبذون الناس بالطلاسم !

« وقال في كتاب « الدامغ » : ان الخالق ، سبحانه وتعالى ، ليس عنده من الدواء الا القتل ، فعل العدو الحنق الغضوب ، فما حاجته الى كتاب ورسول ؟ قال : ويزعم انه يعلم الغيب فيقول « وما تسقط من ورقة الا يعلمها » ثم يقول « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم » ... وقال في وصف الجنة « فيها انهار من لبن لم يتغير طعمه » وهو الحليب ولا يكاد يشتهيه الا الجائع . وذكر العسل ولا يطلب صرفا ، والزنجبيل وليس من لذيذ الاشربة ، والسندس يفترش ولا يلبس ، وكذلك الاستبرق ، وهو الغليظ من الديباج . ومن تخايل انه في الجنة يلبس هذا الغليظ ويشرب الحليب والزنجبيل صار كعروس الاكراد والنبط !... معاهد التنصيص نقلا عن البلخي .

جاء في الصفحة الثانية من كتاب الانتصار بقلم ابي الحسين الخياط الكلام التالي :

« ... ولكن كيف يتعجب من شتم صاحب الكتاب (يقصد الراوندي صاحب كتاب « فضيحة المعتزلة » الذي يرد عليه ابن الخياط) المعتزلة ، والكذب عليها ، ورميها بما ليس من قولها ، وقد الف عدة كتب في تثبيت الالحاد ، وابطال التوحيد ، وجحد الرسالة ، وشتم النبيين عليهم السلام والائمة الهادين . وهي كتب مشهورة معروفة ، فمنها كتاب يعرف بكتاب « التاج » ابطل فيه حدث الاجسام ونفاه ، وزعم انه ليس في الاثر دلالة على مؤثر، [ص ٤٥٨] ولا في الفعل دلالة على فاعل، وان العالم بما فيه و ... قمره وجميع نجومه قديم لم يزل لا صانع له ولا مدبر ، ولا محدث له ولا

خالق ، وان من ثبت للعالم خالقا قديما ليس كمثله شيء فقد احال وناقض. ومنها كتاب يعرف بكتاب « التعديل والتجوير » (ويسميه صاحب الفهرست بكتاب « عبث الحكمة ») زعم فيه انه من أمرض عبيده واسقمهم فليس بحكيم فيما فعل بهم ، ولا ناظر لهم ولا رحيم بهم ، كذلك من افقرهم وابتلاهم ، وانه ليس بحكيم من امر بطاعته من يعلم انه لا يطيعه وانه من خلد من كفر به وعصاه في النار طول الابد ... غير حكيم ولا عالم بمقادير العقاب على الذنوب !.. ومنها كتاب يعرف بكتاب « الزمرذ » ذكر فيه آيات الانبياء ، عليهم السلام ، كآيات ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، صلى الله عليهم ، فطعن فيهم و ... ، وان القرآن من كلام غير حكيم ... ومنها كتاب يعرف بكتاب « الامامة » يطعن فيه على المهاجرين والانصار ، ويزعم ان النبي ... فمن كان هذا قوله في رب العالمين ، وفي الأنبياء والمرسلين ، وفي سلف الائمة الصالحين المرضيين ، كيف يتعجب من شتمه المعتزلة وكذبه عليها وقد كذب على الله تعالى وعلى انبيائه المرسلين وعلى اصحابه الطاهرين ؟ الخ ... » .

ولصاحبنا شعر قليل لا تتعدى قطعته البيتين . وهي تساعد القارىء على البلوغ الى دخيلة نفس هذا الانسان الفريب ، الجريء ، المجنون ، المحبوب ، فمن شعره :

محن الزمان كثيرة لا تنقضي — وسروره ياتيك كالاعياد
ملك الاكارم فاسترق رقابهم — وتراه رقا في يد الاوغاد !

وقوله :

أليس عجيبا بأن امرءا — لطيف الخصام، دقيق الكلم
يموت وما حصلت نفسه — سوى علمه انه ما علم !..

واورد له ابو العلاء المعري في « رسالة الغفران » بيتين تهكمهما على الخالق عنيف شنيع وله بيتان آخران في هذا المعنى اقل مجونا من المذكورين ، وهما قوله المشهور :

كم عاقل عاقــل ، اعيت مذاهبه وجاهل جاهل، تلقاه مرزوقا!
هذا الذي ترك الافهام حائــرة وصير العالم النحرير زنديقا .

وبعد ، فنحن لا نود ان نختم هذه النظرة العجلى من غــير ان نسطــر افتخارنا واعجابنا بهذه المدنية الاسلامية السمحة التي كانت تأذن لامثــال صاحبنا ابن الراوندي بهذا الاجتراء على عقائدها ، وبهذا التهجم والتنقص من تفكيرها ودينها ، وهي ساكنة هادئــة تؤلف الكتب ردا عليــه ، ودحضا لما انهال به عليها من حامي اللطمات . وان تاريخ المدنيات القديمــة لا يروي لنا سيرة اي جريء متهور بلغ به تهوره الى الحد الذي بلغ بصاحبنا . (★)

(★) وردت اغلاط علمية كثيرة في المقال اعلاه ، غير انه مــن المهم الاشارة الــى المطبعية (على التقدير) والتي تغير مــن قصد الكاتب . ففــي ص ٩١ س ٢٠ يقــرا الاسم عبد الرحيم العباسي . وفي ص ٩٦ س ١٠ اصلحنا عنوان (كتاب الدامغ) الذي ورد في الاصل على (دافع) ، وفي نفس الصفحة س ٢٠ ورد اسم الخياط (ابي الحسني الخياط) ، فاصلحناه . وفي الصفحة ٩٧ س ٢ ورد عنوان (التعديــل والتجويــر) على (التحوير) في الاصل المطبوع .

(٥/٢٣)

الامين ، السيد محسن :

ـ اعيان الشيعة ،

ج ١٠ ، مجلد ١١ ، ط ١ دمشق ١٩٣٨/١٣٥٧ .

[قارن ط. بيروت ، ج ١٠ ، بيروت ١٩٦١]

[ص ٣٣٩]

(ابو الحسين احمد بن يحيى بن محمد بن اسحق الراوندي المعروف بابن الراوندي من اهل مرو الروذ في خراسان) .

ولد حدود سنة ٢٠٥ وتوفي سنة ٢٤٥ برحبة مالك بن طوق التغلبي وقيل ببغداد وتقدير عمره اربعون سنة كذا ذكر وفاته المسعودي وابن خلكان وحكى الثاني عن البستان انه توفي سنة ٢٥٠ وفي رسالة عندي في وفيات العلماء في كل فن لا اعرف مؤلفها أنه توفي سنة ٢٤٣ .

(والراوندي) نسبة الى راوند بفتح الراء والواو بينهما الف وسكون النون بعدها دال مهملة قرية من قرى قاشان بنواحي أصبهان بناها راوند الاكبر ابن الضحاك بيو راسب .

اقــوال العلمــاء فيـــه

قال ابن خلكان : كان من الفضلاء في عصره له مقالة في علم الكلام وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب نقلها اهل

الكلام عنه في كتبهم ا هـ . وفي تكملة فهرست ابن النديم من الطبعة المصرية : ابن الراوندي قال ابو القاسم البلخي في [ص ٣٤٠] كتاب محاسن خراسان ابو الحسين احمد بن يحيى بن محمد بن اسحق الراوندي من اهل مرو الروذ ولم يكن في نظرائه في زمنه احذق منه بالكلام ولا اعرف بدقيقه وجليله ا هـ. وهذه شهادة من ابي القاسم البلخي وهو من شيوخ المعتزلة وعداوة المعتزلة لابن الراوندي معروفة بسبب انه كان منهم ثم اظهر مذهب الشيعة خصومهم والف في الرد على المعتزلة وهجن مذهبهم كما ياتي وكان ابن الراوندي معاصرا لابي عيسى الوراق وعلى قول ابي الحسين الخياط انه كان من تلامذة ابي عيسى . وفي الرياض في ابي عيسى الوراق محمد بن هرون : قال بعض فضلاء أهل السنة في كتابه ان دعوى النص الجلي على خلافة علي مما وضعه هشام بن الحكم ونصره ابن الراوندي وابو عيسى الوراق الخ . وفي موضع آخر من الرياض كان ابن الراوندي بزعم العامة أول من ابدع القول بالنص الجلي على امامة علي عليه السلام ونقل الرواية عليه اهـ . وكان ابن الراوندي من المتكلمين المعروفين وكان في اول امره من المعتزلة والف كتبا على طريقة المعتزلة وتقرير عقائدهم ثم اظهر مذهب الشيعة الامامية والف كتبا على طريقتهم ككتاب الامامة وغيره وكتاب معجزات الائمة الآتي اليه الاشارة اذا صحت نسبته اليه واجاد في تأليف تلك الكتب وجمع فيها من الادلة وآراء الكلاميين لتأييد عقيدة الشيعة خصوصا في مسألة الامامة ما كان للشيعة منه مأخذ كبير في تلك الأيام . والف كتبا في الرد على المعتزلة ككتاب فضيحة المعتزلة [ص ٣٤١] وغيره ولما كان عارفا بآرائهم على الوجه الاكمل لانه كان منهم ومؤلفا لهم وكاتبا مجيدا جاءت كتبه في ذلك في نهاية الجودة .

القدح فيه

نسبت اليه كتب نسب بسببها الى الالحاد ورد عليها جماعة ونقض هو بعضها وسيأتي اعتذار المرتضى عنها ، ونقضه لها اما لانه من اول الامر لم يكن معتقدا بها او ظهر له فسادها او تاب منها وربما يؤيده حكاية خصمه ابي القاسم البلخي فيما سبق عن جماعة انه تاب عند موته مما كان منه وزاد في تحامل من تحامل عليه من المعتزلة وبعض الأشاعرة نصرته مذهب الشيعة بعدما كان من المعتزلة فنسب الى الزندقة والالحاد ووجد خصومه ما يقوي دعواهم ويعضدها من الكتب المنسوبة اليه والله اعلم

بحقيقة أمره . وعلماء الشيعة مختلفون في امره والذي دافع عنه في قبال المعتزلة هو السيد المرتضى في كلامه الآتي ويأتي قول ابن شهراشوب انه مطعون فيه والف ابو محمد الحسن بن موسى النوبختي وخاله ابو سهل اسماعيل بن علي كتبا في نقض بعض مقالات ابن الراوندي . واشار المرتضى في الشافي في باب الامامة الى نقض بعض ادلة ابن الراوندي . وفي تتمة كلام ابي القاسم البلخي المتقدم : وكان في اول أمره حسن السيرة جميل المذهب كثير الحياء ثم انسلخ من ذلك كله باسباب عرضت عليه [= له] ولان علمه كان اكثر من عقله وكان مثله كما قال الشاعر :

ومن يطيق مزكى عند صبوته ومن يقوم لمستور اذا خلعا

[ص ٣٤٢]

قال وقد حكي عن جماعة انه تاب عند موته مما كان منه واظهر الندم واعترف بانه انما صار الى ما صار اليه حمية وانفة من جفاء اصحابه وتنحيتهم اياه من مجالسهم واكثر كتبه الكفريات الفها لابي عيسى بن لاوي اليهودي الاهوازي وفي منزل هذا الرجل توفي اهـ .

قال المؤلف اما ان سبب تركه لمذهب المعتزلة واظهاره الاعتقاد بمذهب الشيعة وتأليفه لنصرة مذهبهم هو طرد المعتزلة له فاراد ارغامهم بنصرة مذهب الشيعة فلم يأت الا من جهة المعتزلة كابي القاسم البلخي وابي الحسين الخياط وغيرهما وقولهم في حقه غير مقبول فان الخصومة والعداوة تمنع قبول الشهادة وظاهر حاله أن رده عليهم وتأييده مذهب الشيعة ناشيء عن عقيدة على أن قولهم هذا ناشيء عن الظن والتخمين والاطلاع على السرائر متعذر لغير علام الغيوب . واما الكتب المنسوبة اليه فيأتي عن المرتضى العذر عنها وانه كان يتبرأ منها براء ظاهرا . وان جلها قد نقضه على نفسه وقد سمعت نقل البلخي عن جماعة انه تاب منها عند موته . وقد شنع المعتزلة على ابن الراوندي كثيرا منهم القاضي عبد الجبار بن احمد الاسدابادي الهمداني صاحب كتاب المغني الذي صنف السيد المرتضى كتاب الشافي للرد عليه فانه قال في مقام الرد على الشيعة في كتابه المذكور على ما حكاه عنه المرتضى في الشافي (١) . قال حاكيا عن شيخه ابي علي الجبائي : ان اكثر من نصر هذا المذهب كان قصده الطعن في الدين والاسلام

---

(١) ص ١٣ طبعة ايران .

[ص ٣٤٣] فجعل هذه الطريقة سلما الى مراده نحو هشام بن الحكم وطبقته ونحو ابي‌عيسى‌الوراق وابي‌حفص الحداد وابن الراوندي‌وبين‌شيخنا ابوعلي انهم تجاوزوا ذلك الى ابطال التوحيد والعدل (الى ان قال) واما حال ابن الراوندي في نصرة الإلحاد وانه كان يقصد بسائر ما يؤلفه الى التشكيك فظاهر وربما كان يؤلف لضرب من الشهرة والمنفعة الخ . قال المرتضى ونحن مبينون عما في كلامه من الخطأ والتحامل (الى ان قال) فاما ابن الراوندي فقد قيل انه انما عمل الكتب التي شنع بها عليه معارضة للمعتزلة ، وتحديا لهم لان القوم كانوا اساءوا عشرته واستقصوا معرته فحمله ذلك على اظهار هذه الكتب ليبين عجزهم عن‌استقصاء نقضها وتحاملهم عليه في رميه بقصور الفهم والغفلة ، وقد كان يتبرأ منها تبرأ ظاهرا وينتفي من عملها ويضيفها الى غيره وليس يشك في خطئه بتاليفها سواء اعتقدها أم لم يعتقدها . وما صنع ابن الراوندي من ذلك الا ما قد صنع الجاحظ مثله او قريبا منه ومن جمع بين كتبه التي هي العثمانية والمروانية والفتيا والعباسية والامامية وكتاب الرافضة والزيدية رأى من التضاد واختلاف القول ما يدل على شك عظيم والحاد شديد وقلة تفكير في الدين (اقول) وذلك لان كتاب العباسية في تأييد الشيعة الراوندية ونصرة بني العباس وان الامامة فيهم، وكتاب العثمانية في نصرة‌شيعة عثمان‌وانكار فضائل‌علي بن ابي طالب عليه‌السلام، وكتاب المروانية في نصرة آل [ص ٣٤٤] مروان والدفاع‌عن امامة بني امية وعداوة علي بن ابي طالب عليه السلام ، وكذا باقي كتبه وفي ذلك من التناقض ما لا يخفى. قال المرتضى وليس لاحد ان يقول ان الجاحظ لم يكن معتقدا لما في هذه الكتب المختلفة وانما حكى مقالات الناس وحجاجهم وليس على الحاكي جريرة ولا يلزمه تبعة لان هذا القول ان قنع به الخصوم فليقنعوا بمثله في الاعتذار عن ابن الراوندي فانه لم يقل في كتبه هذه التي شنع بها عليه انني اعتقد المذاهب التي حكيتها واذهب الى صحتها بل كان يقول قالت الدهرية وقال الموحدون وقالت البراهمة وقال مثبتو الرسل ، فان زالت التبعة عن الجاحظ في سب الصحابة والائمة والشهادة عليهم بالضلال والمروق عن الدين باخراج كلامه مخرج الحكاية فلتزولن ايضا التبعة عن ابن الراوندي بمثل ذلك . وبعد فليس يخفى كلام من قصده الحكاية وذكر المقالة من كلام المشيد لها الجاهد نفسه في تصحيحها وترتيبها ومن وقف على كتب الجاحظ التي ذكرناها علم ان قصده لم يمكن الحكاية وكيف يقصد الى ذلك من اورد من الشبه والطرق ما لم يخطر كثيرا منه

ببال اهل المقالة التي شرع في حكايتها وليس يخفى على المنصفين ما في هذه الامور . قال واما ابو حفص الحداد فلسنا ندري من اي وجه ادخل في جملة الشيعة لانا لا نعرفه منهم ولا منتسبا اليهم ولا وجد له قط كلام في الامامة وحجاج عنها الخ (الى ان قال) وان واحدا او اثنين ممن انتسب الى التشيع واحتمى به لو كان [ص ٣٤٥] في باطنه شاكا او ملحدا اي تبعة تلزم بذلك نفس المذهب واهله اذا كانوا ساخطين لذلك الاعتقاد ومكفرين لمعتقده والذاهب اليه الى آخر كلامه ، وهو دال على ان ابن الراوندي كان منسوبا الى التشيع وفي كتبه ما يدل على ذلك بخلاف ابي حفص الحداد. ويشير الى ما قاله المرتضى ما يأتي عند ذكر مؤلفاته من ان كتبه المطعون بها عليه جلها قد نقضها على نفسه فهذا يدل على أنه عملها لينقضها لا لاعتقاده بها وانه كان غير معتقد بها من اول الامر او رجع عنها لظهور فسادها له او أنه كان عملها عصيانا مع عدم اعتقاده بها ثم تاب منها ويؤيده حكاية خصمه البلخي عن جماعة أنه تاب عند موته مما كان منه كما مر . وفي روضات الجنات عن الشيخ حسن بن علي الطبرسي صاحب كتاب الكامل البهائي انه حكى في كتابه الموسوم بأسرار الائمة عن الشيخ منتجب الدين ابو الفتوح في كتاب نكت الفصول ان ابن الراوندي كان يهوديا ثم أسلم متنصبا قائلا بامامة العباس بن عبد المطلب ا هـ . وهذا مع انفراده به لم يسنده الى دليل وعن ابن الجوزي زنادقة الاسلام ثلاثة ابن الراوندي ، وابو حيان التوحيدي ، وابو العلاء المعري ا هـ ، وحشره في الزنادقة ليس الا لما نسب اليه من الكتب . ومع اعتذار المرتضى عنها المتقدم وتبرئه منها ونقل التوبة عنه عن جماعة لا يمكن الجزم بذلك . وفي معالم العلماء ابن الراوندي مطعون عليه جدا . وقال المرتضى في [ص ٣٤٦] كتاب الشافي انه عمل الكتب التي شنع بها عليه مغايظة او مغالطة للمعتزلة ليبين لهم عن استقصاء نقضها وكان يتبرأ منها براء ظاهرا وينتفي من عملها ويضيفها الى غيره وله كتب سداد مثل كتاب الامامة والعروس اهـ .

وزبدة القول في ابن الراوندي انه مخطىء في تاليفه لهذه الكتب التي هي من كتب الضلال سواء كان الفها معتقدا بها أو لاجل معارضة المعتزلة كما ذكره المرتضى في كلامه السابق الا انه مع نقضه لاكثرها وحكاية القول بتوبته منها لا يمكن الجزم بالحاده ويبقى حاله في مرحلة الشك وان جزمنا بخطئه والله العالم بسريرته .

بعض الحكايات عنه

في تكملة فهرست ابن النديم الملحقة بالطبعة المصرية : حكى ابو الحسين ابن الراوندي قال : مررت بشيخ جالس وبيده مصحف وهو يقرأ ولله ميزاب السموات والارض . فقلت : وما يعني ميزاب السماوات والارض ؟ قال : هذا المطر الذي ترى ، فقلت : ما يكون التصحيف الا اذا كان مثلك يقرأ يا هذا انما هو ميراث السماوات والارض . فقال : اللهم غفرا انا من اربعين سنة اقراها وهي في مصحفي هكذا اهـ .

مؤلفاته

قال المسعودي في مروج الذهب له ١١٤ كتابا وقال ابن خلكان [ص ٣٤٧] له من الكتب المصنفة نحو من ١١٤ كتابا وقال ابو القاسم البلخي فيما حكاه عنه ابن النديم في تتمة الفهرست مما الف من الكتب الملعونة (١) كتاب يحتج فيه على الرسل عليهم السلام ونقضه على نفسه ونقضه الخياط ايضا (٢) نعت الحكمة صفة القديم تعالى وجل اسمه في تكليف خلقه امره ونهيه ونقضه عليه الخياط (٣) كتاب يطعن فيه على نظم القرآن نقضه عليه الخياط وابو علي الجبائي ونقضه هو على نفسه (٤) القضيب الذهب وهو الذي فيه أن علم الله بالاشياء محدث ونقضه عليه ابو الحسين الخياط (٥) الفرند ونقضه عليه الخياط (٦) المرجان في اختلاف اهل الاسلام ونقضه ابن الراوندي على نفسه اهـ ونقضه لها على نفسه يدل على انه عملها لينقضها لا لانه يعتقدها كما مرت الاشارة اليه . قال ومن كتب صلاحه (٧) الاسماء والاحكام (٨) الابتداء والاعادة (٩) كتاب الامامة (اقول) مر نسبة المرتضى اليه هذا الكتاب . قال (١٠) خلق القرآن (١١) البقاء والفناء (١٢) كتاب لا شيء الا موجود وأمثالها من كتبه كثيرة اهـ . وجل هذه الكتب الفها ابن الراوندي في ايام كونه من المعتزلة وقرر بها عقائدهم ولهذا عدها البلخي من كتب صلاحه سوى كتاب الامامة فانه موافق لعقائد الامامية الفه حين ترك مذهب المعتزلة وتقرب به الى الشيعة ويقال انه اخذ عليه جائزة منهم ثلاثين دينارا (١٣) الطبائع (١٤) اللؤلؤة في تناهي الحركات (١٥) فضيحة المعتزلة في رد كتاب فضيلة المعتزلة تأليف [ص ٣٤٨] ابي الحسين الخياط وقد حمل فيه حملة شديدة على المعتزلة والجاحظ وشيوخ المعتزلة ودافع عن الامامية وقد رد عليه من المعتزلة ابو الحسين الخياط بكتاب سماه الانتصار وقد نقل كثيرا من مطالبه خصوم المعتزلة خصوصا الامامية والمتكلمون من

الاشاعرة (★) (١٦) العروس وهو محسوب من الكتب السداد (١٧) التاج في اثبات قدم العالم ورده عليه ابـو الحسين الخياط المعتزلي وابـو سهل اسماعيل ابن علي النوبختي الامامي وحكى ابن ابي الحديد في شرح النهج عن قاضي القضاة ان أحدا من العقلاء لم يذهب الى نفـي الصانع للعالم ولكن قوما من الوراقين اجتمعوا ووضعوا بينهم مقالة لم يذهب اليها أحـد وهي ان العالم قديم لم يزل على هيئته هذه ولا آله للعالم ولا صانع أصلا وانما هو هكذا ما زال ولا يزال من غير صانع ولا مؤثر قال (اي قاضي القضاة) واخذ ابن الراوندي هذه المقالة فنصرها في كتابه المعروف بكتاب التاج (١٨) كتاب السبك (١٩) كتاب نعت الحكمة (★★) أو عبث الحكمة (٢٠) كتاب الزمرد في ابطال الرسالة والطعن على القرآن ولعله أحد الكتب التي ذكرها ابو القاسم البلخي سابقا ، وأبو القاسم الكعبي نقل عن ابن الراوندي ان سبب تسميته هذا الكتاب بالزمرد ان الزمرد اذا قابل عين الحية اذابها وكذلك هـو يهلك الخصم ونقضه عليه الخياط ونقضه هو على نفسه (٢١) الدامغ في الرد على ترتيب القرآن نقضه الخياط وابو علي الجبائي ونقضه ابن الراوندي عـلى نفسه وكأنه أحد ما سبق (٢٢) كتاب [ص ٣٤٩] التوحيد (٢٣) كتـاب في اجتهاد الراي نقضه أبو سهل اسماعيل ابن عـلي النوبختي (٢٤) كتـاب في معجزات الائمة عليهم السلام .

ففي رياض العلماء ابن الراوندي ذكـره الشيخ حسن بـن علـي بـن محمد بن علي بن الحسن الطبرسي في اسرار الائمة ونسب اليـه كتابا في معجزات الائمة والظاهر انه غير ابن الراوندي المرمي بالزندقة عنـد العامة والخاصة وحمله على القطب الراوندي والسيد فضل الله الراوندي أبعد اه بل الظاهر انه هو المرمي بالزندقة لانصراف الاطلاق اليه .

(★) يلاحظ ان المؤلف مخطيء في زعمه ان « فضيلة المعتزلة تاليف ابي الحسين الخياط »، فهو لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، انظر كتابنا Ibn ar-Riwandi, ch.i .

(★★) لقد مر ذكر « نعت الحكمة » تحت رقم ٢ في قائمة المؤلف ، انظر قبل ، ص ١٠٤ س ١٣ ، وقارن كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ٨٨ تعليق ١٩ .

(٦/٢٤)

كراوس ، باول :

ـ رسائل فلسفية لابي بكر محمد بن زكرياء الرازي ،
القاهرة ١٩٣٩ ،
ص ١٨٢ ، ١٩٢ .

(١)

[ص ١٨٢ تعليق]

[والرازي] اما ما قذفه به صاعد [الاندلسي] (١) من الميل الى آراء البراهمة في ابطال النبوات ، فهذا مذهب نسبه الى البراهمة ابن الراوندي الملحد في كتاب « الزمرذة » واخذه عنه كثير من المتاخرين . (٢)

(٢)

[ص ١٩٢ تعليق]

قد دللنا في غير هذا الموضع (٣) على ان القول بموازنة العقل والشريعة وبابطال النبوات المنسوب عند المتأخرين الى البراهمة ليس غير « قصة أدبية » اخترعها ابن الراوندي الملحد .

---

(١) انظر طبقات الامم ، نشرة لويس شيخو ، بيروت ١٩١٢ ، ص ٣٣ .

(٢) علق الاستاذ كراوس على هذا الموضع ، « راجع ما قلته في R. S. O. جـ ١٤ (١٩٣٤) ص ٣٤١ وما يليها » .

(٣) كتب الاستاذ كراوس في هذا الموضع : « راجع ، ايضا » ، من فوق ص ١٨٢ .

(٧/٢٥)

كراوس ، الاستاذ باول :
ـ كتاب الزمرذ لابن الراوندي ،
مجلة الاديب (بيروت ١٩٤٣) ،
مجلد ٢ ، جزء ٩ .

[ص ٢٩]

منذ ان نشر كتاب « الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد » لابي الحسين الخياط المعتزلي (المتوفي سنة ٣٠١) (١) برزت شخصية ابن الراوندي الغريبة من الغموض الذي احاط بها الى ذلك الحين واتضح ـ الى حد ما ـ الدور العظيم الذي قدر لها على مسرح الحياة الاسلامية في القرن الثالث للهجرة . فبعد ان كانت اقتصرت معرفتنا بها على ما ورد في كتب التاريخ وكتب الطبقات من المعلومات السطحية « البرانية » اصبح الآن المعني بتاريخ الفكر الاسلامي يمسها مسا ويشهد تطورها المندفع الذي رفعها اولا على اعواد منابر الاعتزال وجعل منها رئيسا من رؤساء مذهبهم ، ثم ادت ثورة ابن الراوندي عليهم الى طرده من مجالسهم والى ردوده العديدة عليهم ، تلك الردود التي اصبحت « دار سلاح » لكل من قصد من المتأخرين الطعن في المعتزلة وتفضيح آرائهم ، ثم القى به تطوره في اوساط الشيعة على مختلف اصباغها ، حيث التقى بصديقه وشريكه في التزندق ابي عيسى الوراق الذي هداه الى الالحاد الصريح او الى التصريح بافكاره الحرة وخروجه على الديانات جميعا . « ذكر ابو علي الجبائي ان السلطان

---

(١) نشره المستشرق السويدي نيبرج في القاهرة ١٩٢٥ .

طلب ابن الراوندي وابا عيسى الوراق ، فاما ابو عيسى فحبس حتى مات واما ابن الراوندي فهرب ... ثم لم يلبث الا اياما يسيرة حتى مرض ومات » .

وقد روى لنا المسعودي في مروج الذهب ان موت الوراق وقع في سنة ٢٤٧ وان ابن الراوندي مات برحبة مالك بن طوق ، وقال غيره انه مات في سنة ٢٤٥ او سنة ٢٥٠ وعمره ست وثلاثون او اربعون سنة فقط، على ما كان له من الكتب المصنفة التي جاوزت المائة . (٢)

لم يكن الى الآن في ايدينا الا كتاب « فضيحة المعتزلة » لابي الحسين احمد بن يحي بن اسحاق الراوندي الذي رد الخياط عليه وأورد منه فصولا مطولة في كتابه الانتصار . وهذا المؤلف يمثل لنا الدور الثاني من حياة ابن الراوندي ، ان صح التقسيم الذي اقترحناه قبل . اما كتبه الالحادية ـ مع اهميتها لمعرفتنا بهذا التيار في التاريخ الاسلامي ـ فقد ضاعت كلها ومن بينها خاصة كتاب الزمرذ حتى ان بعض المحدثين ظن انها لم تؤلف وانما نسبها خصوم ابن الراوندي اليه او حرف معانيها لفضيحته والتشهير به .

[ص ٣٠]

ان للكتب حظوظا ! اثارت مصنفات ابن الراوندي هذه ضجة لا مثيل لها في اوساط المتكلمين والفلاسفة الذين عاصروه او جاءوا بعده ، فقد رد عليها يعقوب بن اسحاق الكندي وابو نصر الفارابي الفيلسوفان وابو سهل اسماعيل بن علي النوبختي رئيس الامامية (المتوفى سنة ٣١١) وابن اخته ابو محمد الحسن بن موسى النوبختي ، ومن المعتزلة الخياط وابو بكر الزبيري وابو القاسم البلخي الكعبي (المتوفى سنة ٣١٩) وابو علي محمد ابن عبد الوهاب الجبائي (المتوفى سنة ٣٠٣) وابنه ابو هاشم عبد السلام (المتوفى سنة ٣٢١) ، وكذلك ابو الحسن الاشعري وابو بكر محمد بن عبد الله البرذعي الخارجي وابن درستويه النحوي واخيرا ابو علي محمد ابن الحسن بن الهيثم الرياضي والفلكي المشهور (سنة ٤٣٠) الذي كتب مقالة عنوانها « في ايضاح تقصير ابي علي الجبائي » في نقضه بعض كتب

---

(٢) راجع ترجمته في مقدمة نشرة كتاب الانتصار وفي مقالتنا في Rivista degli Studi Orientali ج١٤ (١٩٣٤) ص ٣٧١ الخ .

الراوندي ولزومه ما الزمه اياه ابن الراوندي بحسب اصوله وايضاح الراي الذي لا يلزم معه اعتراضات ابن الراوندي (٣) ولم يبق لنا من مصنفات ابن الراوندي تلك ولا من الردود العديدة عليها الا واحد، حفظته لنا ظروف غريبة وسترته عن اعين الباحثين الى هذا الحين .

اذكر ايها القاريء تلك المكاتبة التي وقعت بين ابي العلاء المعري و « داعي الدعاة » في تحريم اللحوم التي عرفت خاصة بما اورد منها ياقوت الحموي في ارشاد الاريب . كان هذا الداعي الاسماعيلي الفاطمي الذي يحاول ان يكشف عن سر مقاصد المعري في كراهيته لأكل اللحم مجهولا أو كاد ، الى ان ظهرت شخصيته من المكتبات السرية التي احتفظت بها الطوائف الإسماعيلية البهروية القاطنة في الهند وفي اليمن وفي الشام ايضا. فاذا به ابو نصر هبة الله بن موسى بن ابي عمران الشيرازي المعروف بلقب المؤيد في الدين داعي الدعاة اي رئيس الدعوة الاسماعيلية الفاطمية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي ولي مصر من سنة ٤٢٧ الى سنة ٤٨٧ . وقد وصل الينا – بين كتب الخزائن الاسماعيلية السرية – ممن مؤلفات المؤيد الشيرازي هذا « سيرة » مطولة يصف فيها المؤلف حوادث حياته منذ ان ابتدأ دعوته في بلاد الفرس حتى ناداه خليفته وامامه الى مصر حيث تولى شؤون المذهب الفاطمي الدينية ورياسة « دار العلم » التي انشئت في جانب الازهر . وله ديوان يدل على شاعرية الرجل يمدح فيه المستنصر ويضبط فيه نكتا من مذهب الاسماعيلية ويعبر فيه عن سرية دعوته اذ يقول عن نفسه :

رضيت التستر لي مذهبا   وما ابتغي عنه من معدل

ولكن اهم مؤلفاته « مجالسه » او محاضراته التي القاها في دار العلم بالقاهرة وهي ثمانمائة مجلس في ثمان مجلدات كبار يتناول المؤيد الشيرازي فيها موضوعات اسماعيلية شتى – دينية كانت او سياسية او تأويلية او ادبية – وفي ثنايا هذه المجالس يتلو على سامعيه نص مكاتباته مع ابي العلاء المعري وكذلك نص رده على كتاب الزمرذ لابن الراوندي ذاكرا خلاله نبذا

---

(٣) راجع ابن ابي اصيبعة ج٢ ص ٩٧ .

مفصلة عن هذا الكتاب المفقود . (٤)

يشمل رد المؤيد الشيرازي على كتاب ابن الراوندي المجلس السابع عشر الى الثاني وعشرين من المائة الخامسة من المجالس المؤيدية وانا اورد لك بعض منتخبات منها تطلعك على مغزى كتاب ابن الراوندي وقيمته من الوجهة التاريخية .

يبتديء المؤيد مجلسه الـ ٥١٧ بعد حمد الله والصلاة على رسوله « معشر المؤمنين ، جعلكم الله بعلائق الدين متعلقين ومن خشية ربهم مشفقين » . انه وقع الى احد دعاتنا تصنيف صنفه ابن الراوندي عن السنة البراهمة في رد النبوات ، وابطال مراتب من اقامهم الله تعالى لتبليغ كلامه ورد الرسالات ، فاجاب عنه بما رماه فيه بقاصمة ظهره ، ابطالا لما اتى به من صريح الكفر . ونحن نقرؤه عليكم ونسوق فائدته اليكم بمشيئة الله وعونه .

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الناجي من استظل عليه بانبيائه فهم له مسلمون المستبصر من طلب الاستبصار من جهتهم اذ الملحدون عنهم عمون ، الموضح سبيل الهداية بهم ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، وصلى الله على من ختمت نبوتهم به خاصة وعليهم عامة ، وعلى التابعين لهم باحسان الذين لهم ذرية ايمان . (اما بعد) فانه وقعت الينا رسالة عملها ابن الراوندي وسماها « الزمرذة » ونسبها الى البراهمة في دفع النبوات ، وذكر فيها حججا يحتج بها مثبتوها في اثباتها وحججا يحتج بها نافوها في نفيها . فوقع الغنى عن اعادة قول المثبتين الذين هم اخواننا في الدين ووجب اقتصاص اقوال النافين والاجابة عنهم ، بما نستمد التوفيق فيه من رب العالمين .

« قال ابن الراوندي : ان البراهمة يقولون انه قد ثبت عندنا وعند خصومنا ان العقل اعظم نعم الله سبحانه على خلقه وانه هو الذي يعرف به الرب ونعمه ومن اجله صح الامر والنهي والترغيب [ص ٣١] والترهيب .

---

(٤) نشرت هذه المجالس مع شرح مطول في مجلة Rivista المذكورة ص ٩٢ ــ ١٢٩ وص ٣٣٥ ــ ٣٧٩ .

فان كان الرسول ياتي مؤكدا لما فيه من التحسين والتقبيح والايجاب والحظر فساقط عنا النظر في حجته واجابة دعوته . اذ قد غنينا بما في العقل عنه ، والارسال على هذا الوجه خطأ . وان بخلاف ما في العقل من التحسين والتقبيح والاطلاق والحظر فحينئذ يسقط عنا الاقرار بنبوته . هذا نص كلامه » .

لعلك تتعجب من جسارة ابن الراوندي في معارضته للانبياء وكيف يجرؤ ان يقدر قدرهم بمساحة العقل الانساني ، ذلك العقل الذي قال عنه بعض المتاخرين :

نهاية اقدام العقول عقال   واقصى مدى العالمين ضلال

ولكن لا تنس ان عصر ابن الراوندي كان عصر « تنوير » اعتمد فيه كل من سعى الى المعرفة على نور العقل وحده . ادى اصطدام الاسلام بثقافات الشرق القديمة والتي اصبح هو وارثها الى ازمة فكرية من خصائصها البارزة اقبال كثير من المثقفين الى القيم الثقافية المكتشفة حديثا .

لست في حاجة الى ان اذكرك بما كان لعلوم القدماء من الهند واليونانيين من الاثر العميق في تلك الثورة الفكرية والى اي حد وسعت النظريات الفلسفية والفلكية والطبية والطبيعية الكيمائية افق المعارف ومكنت المفكرين من تشييد نظرة جديدة عن العالم ولا حاجة لي ايضا الى ان اذكرك بما ادى اليه التقاء الديانات المختلفة تحت ظل الاسلام والمناقشة الحرة بين اصحابها التي كان خلفاء بني العباس الاول يسمحون بها او يشجعونها وما كان لها من الاثر في تشحيذ اسلحة المتكلمين وتصقيلها . لان ما هي تلك الظاهرة التي نسميها « الكلام » ولا سيما كلام اهل الإعتزال الذي بلغ ذروته في جيل ابراهيم النظام وابي الهذيل العلاف والمعمر بن عباد السلمي وغيرهم ، الا نصرة الاسلام امام حجج الفلاسفة الدهريين وانصار المذاهب الطبيعية المختلفة وتصورات فرق الزنادقة من انصار ماني وابن ديصان ومزدك وآراء اهل الملل القديمة التي استعدت منذ امد بعيد بعدة الاستدلالات المنطقية العقلية على صحة عقائدها . فقد اهتدى متكلمو الاسلام الى ان يستعملوا في مناظراتهم بل في مكافحتهم لمخالفيهم نفس

الاسلحة التي هوجموا بها وان يجعلوا العقل معيارا لجميع آرائهم ومحورا يدور حوله كل تفكيرهم ، حتى أنهم لم يقبلوا أمام انفسهم عقائد دينية تخالف العقل وصار الاسلام وجميع مظاهره مقيسا بهذا المقياس .

فاذا رأينا ابن الراوندي يقيس النبوة والديانات عامة بمقياس العقل فانه في هذا وفي غيره تلميذ لاستاذيه (٥) من اهل الاعتزال الذين خرج عليهم بعد ان كان اختلف الى مجالسهم . والفرق الوحيد بينه وبينهم انهم ياخذون بالعقل والنطق للانتصار لعقائدهم الاسلامية بينما هو يستعمل نفس العدة في عكس مقاصدهم ، لسوء ظنه بما كان يدين به من قبل .

ليس موقفنا من مثل هذه النصوص اليوم موقف المتكلمين القدماء الذين كان من شأنهم بل من واجبهم ان يردوا عليها ويظهروا ضلالات مؤلفها فيها . لسنا الا مؤرخين لحركة فكرية ظهرت في قلب الاسلام واصبحت فيه من اقوى الخمائر على تطور الثقافة الاسلامية وانضاجها . وعندي أنا لا نستطيع أن نفهم انفساح الحضارة الاسلامية في شتى مظاهرها الا اذا درسنا تلك القوى المحركة الكامنة التي من اهمها نهضة التفكير الحر في الاسلام .

يظهر ان كتاب ابن الراوندي كان نقضا للاديان المختلفة غير ان ما وصلنا منه يتصل خصوصا برد المؤلف على الاسلام والمسلمين وقد نبه على هذا ابو الحسين الخياط في كتابه (٦) اذ يقول ان ابن الراوندي « ذكر في كتاب الزمرذ آيات الانبياء عليهم السلام كآيات ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم فطعن فيها وزعم انها مخاريق وان الذين جاءوا بها سحرة ممخرقون وان القرآن الكريم من كلام غير حكيم وان فيه تناقضا وخطأ وكلاما يستحيل ، وجعل فيه بابا ترجمه (على المحمدية خاصة) يريد امة محمد صلى الله عليه . ــ والواضح ان ما يستفضحه الخياط في تسمية ابن الراوندي فصلا من كتابه بالرد على المحمدية ، أنه في جسارته يسمي الاسلام باسم مؤسسه كأنه فرقة من الفرق ، فضلا عما في هذه

---

(٥) جمع « استاذ » عند القدماء دائما « استاذون » وليس « اساتذة » .

(٦) الانتصار ص ٢ ، وايضا ص ١٥٥ و ١٧٣ .

التسمية من المقاصد الخفية اذ ان ابن الراوندي يضع آراءه وردوده على لسان البراهمة الذين كانهم ينظرون الى الاديان عن بعد .

هذا ولنذكر بعض القطع التي اوردها داعي الدعاة المؤيد الشيرازي عن كتاب الزمرذ الذي يدعي مؤلفه فيه « انه بجناح عقله وجد في آفاق المعارف مطارا واقام لنفسه من المجد بمعرفة مغيبات الامور منارا . »

كان من اهم المسائل التي تداول المتكلمون البحث عنها في مجالسهم مسالة المعجزات التي رواها اصحاب السيرة والقصاص عن [ص ٣٢] النبي ، ومن المعروف ان اقطاب المعتزلة وعلى راسهم ابراهيم النظام نفوا هذه المعجزات اذ كانوا يعتبرونها غير جديرة بحرمة الاسلام ورفعة نبيه . اما ابن الراوندي فانه يقول بعين هذا القول اذا استثنينا الصبغة العدائية التي يصطبغ بها عنده . فاصغ اليه اذ يتحدث عن حديث الميضأة وشاة ام معبد وحديث سراقة وكلام الذئب وكلام الشاة المسمومة : « ان المخاريق شتى وان فيها ما يبعد الوصول الى معرفته ويدق على المعارف لدقته وان اورد اخبارها بعد ذلك عن شرذمة قليلة يجوز عليها المواطأة على الكذب . » ويقول « اما تسبيح الحصى وكلام الذئب وما يجري مجراهما فقد تنكره العقول » .

وبعد كلامه في المعجزات عامة يتناول ابن الراوندي مسالة اعجاز القرآن ، تلك المسألة التي لها الاهمية الكبرى لا في العقائد الإسلامية فقط ولكن في العلوم اللغوية والبيانية ايضا . ومن المعروف ان المتكلمين القدماء عالجوا مسألة الاعجاز من وجهتين ، فبينما قال اكثرهم باعجاز القرآن اي بعدم مقدرة الانس على محاكاته والاتيان بمثله من جهة لفظه ونظمه وتاليفه كان المتطرفون منهم وعلى راسهم ابراهيم النظام يرون ان مثل هذه الحجة البلاغية لا تكفي للدفاع عن اوحدية الكتاب المنزل فنفوا ان يكون نظم القرآن وتاليفه حجة على تنزيله وقالوا باعجازه من جهة المعاني فقط ، وها نحن اولاء نرى ابن الراوندي يدخل بجراته في تلك المناقشة اذ ينفي اعجاز القرآن الكريم من الجهتين معا .

قال ابن الراوندي في القرآن على ما رواه المؤيد الشيرازي :

« انه لا يمتنع ان تكون قبيلة من العرب افصح من القبائل كلها وتكون

عدة من تلك القبيلة افصح من تلك القبيلة ويكون واحد من تلك العدة افصح من تلك العدة » الى حيث قال « وهب ان باع فصاحته طالت على العرب فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون اللسان وما حجته عليهم ! »

هذا وانني لاظن من المفيد ان اروي لك بعض ما اتى به داعي الدعاة في رده على ابن الراوندي في هذه المسألة لا سيما اذ يطلعك جوابه على ما كان عليه الاسماعيلية من المذهب في مسألة اعجاز القرآن التي نحن فيها . قال المجيب : « آن الكلام الفاظ مقدرة على معان ملائمة لها والكلام كالجسد والمعنى فيه روحه . ومعلوم ان الاجساد من حيث كونها اجسادا لا تتفاوت تفاوتا كثيرا . فانها وان رجح بعضها على بعض من حيث استقامة النظم وحسن الهندام فهو امر قريب وليس كذلك التفاوت من جهة النفوس التي هي المعاني . فان نفسا واحدة تقع بوزان الخلق كلهم من حيث افتقار النفوس اليها والحاجة الى الامتياز منها . والقرآن كلام هو بمثابة الجسد ومعناه روحه الذي كنى الله سبحانه عنه بالحكمة فلم يذكره في موضع من الكتاب الا قرنه بالحكمة . وقد قاربت ايها الخصم بالاقرار بكونه معجزا من حيث لفظه للعرب الذين هم اهل اللسان ثم اردفته بقولك « فما الحجة على العجم الذين ليسوا من اللسان في شيء ! » فنقول ان في معناه المكنى عنه بالحكمة ما يقوم به الحجة على كل من تفتق بالكلام لسانه على جميع اللغات وسائر العبارات . والحجة فيه ان ما كان ظاهره الذي هو بمنزلة الجسد الذي لا يتفاوت بعضه عن بعض كثير التفاوت بهذه المثابة من الاعجاز فما يقال في معناه الذي هو بمنزلة نفس شريفة تفتقر النفوس اليها كلها . فاين موقعها من الاعجاز »

على ان ابن الراوندي لم يكتف بنفي الاعجاز من جهة اللفظ ، بل يجاوز هذا الى نقض القرآن من جهة المعاني ايضا فقد روى عنه داعي الدعاة وكذلك ابن الجوزي في تاريخ المنتظم وعبد الرحيم العباسي في كتاب معاهد التنصيص وغيرهم كثيرا من المطاعن التي طعن بها في القرآن الكريم . وان اردت ان تقف على مطاعن الزنادقة عامة على القرآن الكريم وعلى ردود المتكلمين عليهم فاقرأ خصوصا كتاب « تنزيه القرآن عن المطاعن » للقاضي عبد الجبار المعتزلي (المتوفي سنة ٤١٥) وقد طبع هذا الكتاب في مدينة القاهرة في سنة ١٣٢٦ . وقد تعرض ابن الراوندي لسيرة النبي بسوء وليس هنا مجال ذكر الامثلة .

وكان عصر ابن الراوندي على الاعتقاد بأن العلوم كلهـــا ترجع الـــى الانبياء وان الانبياء هم الذين حصلوا عليها وحيا أو توقيفا وعلموها الناس. وقد يسفه ابن الراوندي هذا الراي اذ يقول ان العلوم والمعارف عامة لـــم تنشأ للانسانية عن توقيف أو وحي بل عن الهام مستعملا ذلــك الاصطلاح بمعنى البديهة الفطرية التي يمتاز بها الجنس الانساني كافة . ويقول مثــلا في علم النجوم « ان الناس هم الذين وضعـــوا الارصاد عليها حين عرفــوا مطالعها ومغاربها ولا حاجة بهم الى الانبياء في ذلك . ويعارض ايضا راي من يقول ان اللغات المختلفة نشات من توقيف على الأنبياء اذ يرى « ان الكــلام مستملى عن الوالدين صاعدا قرنا فقرنا الى ما لا نهاية لـــه » وقد نبه داعي الدعاة على أن ابن الراوندي ترقى في هذا القول من حد دفع النبوات الـــى القول بقدم العالم .

واعجب من هذا كله السبب الذي دعا ابن الراوندي الى تسمية كتابه بالزمرد . فلم يختر اسم حجر ثمين عنوانا لكتابه لان [ص ٣٣] يدل على قدره وارتفاع قيمته كما عمل في عناوين كثير من كتبه الاخرى مثــل كتاب التاج ، وقضيب الذهب، والفريده وما اليها بل انه اختار هذا العنوان لغرض اخبث مما يظن الظان. فقد اعتمد فيه ابن الراوندي على القصة الشعبية اليونانية الواردة في كثير من كتب العجائب والغرائب بأن من خاصة الزمرذ انـــه اذا رآته الافاعي وسائر الحيات عجبت وسالت أعينها . قال : فكان قصدي ان الشبه التي اودعتها الكتاب تعمي حجج المحتجين » .

فاعتقد ان ما أورده عامل في حجج اهل الشرائع حسب ما اثر الزمرذ في حدق الحيات فاذن لا نستغرب ما كان لكتاب الزمرذ من الاثر عندما ظهر فتعرض مؤلفه للتشنيع عليه وللاضطهاد ولطلب اصحاب الشرطة لــه حتى انه حاول أن ينفي عن نفسه تاليفه فقد روى ابن الجوزي في تاريخ المنتظم ان ابن الراوندي وابا عيسى محمد بن هارون الوراق كانـــا يترآميان بكتــاب الزمرذ ويدعي كل واحد منهما على الآخر أنه من تصنيفه !

نكتفي بسرد هذه القطع من كتاب ابن الراوندي التـــي اوردها داعـــي الدعاة والتي تطلعك على خاصية آرائه ، ونحن نغلق هـــذا الباب بسردنا عليك فصلا صغيرا ختم به المؤيد الشيرازي رده عـــلى كتاب ابن الراوندي وهو مأخوذ من آخر المجلس الثاني والعشرين من المائة الخامسة من المجالس

المؤيدية : « قد سقنا جواب الرسالة الموسومة بالزمرذة ـ وهي خزفة مكسورة ـ حسبما فتح الله تعالى لنا فيه . ونحن نقول قولا يشهد الله سبحانه على حقه وصدقه ان ابن الراوندي الذي عمل الرسالة مصيبته بعقله اعظم من مصيبته بدينه فانه تتبع الأنبياء عليهم السلام الذين هم ملوك الديانات بالنقض ، ومعلوم انه لو كانوا على ما يقوله الملحدون مبطلين في النبوة لكان فيه من المنفعة الظاهرة في سياسة الخلق وتحصين دمائهم واموالهم ومنع قويهم عن ضعيفهم ما يمنع عن تنقصهم وثلبهم . وتوكيل هذا الملحد عن البراهمة في هذا الباب بزعمه لا يوجب له منهم ثوابا في الدنيا ولا في الآخرة ، بل المحصول منه احداد شفار القتل لنفسه لو كان حيا والسن اللعن والخزي اليها ميتا فان الذي اتعبت خاطره وسره في شيء يكون نتيجته في الحياة الذل والقتل وفي الممات الخزي واللعن لخاسر الصفقة ظاهر الشقوة . (قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) .



بقيت امامنا مسألة واحدة تدعو الى تأمل ما وهي لم نسب ابن الراوندي الآراء التي يعرضها في كتاب الزمرذ للبراهمة ؟ وهل في تلك النسبة شيء مما يتفق وآراء تلك الطائفة الهندية ؟ ليس من الضروري ان نرجع لحل تلك المسألة الى ما يعرفه الباحثون اليوم عن احوال الهند وآراء طوائفها الدينية المختلفة ، بل يكفينا ان نقارن قول ابن الراوندي عنهم بما عرفه المسلمون ولا سيما المؤلفون القريبو العهد منه عن الهند وعن البراهمة .

من المعروف ان اول من حاول الكشف عن اسرار الحضارة الهندية والبحث الجدي عن ديانات اهلها ابو الريحان البيروني في كتابه « في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » وقد نبه في مقدمة هذا الكتاب على ان من تقدمه من مؤلفي كتب الملل والنحل لم يعثروا على معرفة حقائق الهند عيانا وتجربة بل اكتفوا بالقيل والقال . وقد اشار المسعودي في مروج الذهب (٧) الى ان اهم من عالج آراء الهند رجلان اولهما ابو

---

(٧) ج١ ص ١٤٨ من طبعة اوروبا .

القاسم البلخي الكعبي المتكلم المعروف في كتابه « عيـون المسائل » والثاني ابو محمد الحسن ابن موسى النوبختي في كتابـه « الآراء والديانـات » وكلاهما عاش في اواخر القرن الثالث وبدء القرن الرابـع مما جعلهما اقرب عهدا لابن الراوندي من البيروني . وقد اراد الحظ السعيد ان تصل الينـا بعض منتخبات من كتاب النوبختي لا سيما فيما اورده ابن الجوزي في كتاب « تلبيس ابليس » (٨) اذ يقول :

« وقد حكي ابو محمد النوبختي في كتاب الآراء والديانات ان قوما من الهند البراهمة اثبتوا الخالق والرسل والجنة والنـار وزعموا ان رسولهم ملك اتاهم في صورة البشر مـن غير كتـاب ... وانـه امرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح الا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر واباح لهم الزنا وامرهم ان يعبدوا البقر ومن ارتـد منهم ثم رجـع حلقوا راسه ولحيته وحاجبيه واشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر في هذيانات يضيع الزمن بذكرها . »

[ص ٣٤]

ووصف النوبختي في مكان آخر من كتابه حياة الزهاد مـن البراهمة الذين يتقربون باحراق اجسادهم والقاء انفسهم في النار » هذا وما اليـه من العادات التي تظهر عليها الصبغة الهندية والتي سجلها للهنود كثير من مؤلفي اليونان والبيروني ايضا عندما عاشرهم واذا قابلت هذه الاقوال عـن شعائر الهنود الغريبة وآراءهم البعيدة عن عقولنا بما ينسبـه ابن الراوندي اليهم من المذهب العقلي الصرف فلست اشك انك توافقني في انه لا علاقـة بين براهمة ابن الراوندي والبراهمة الحق ، لا سيما اذ رأينا براهمة ابـن الراوندي يجعلون العقل الحكم الاعلى في كل ما في السموات والارض حتـى انهم ينفون الرسل والانبياء بينما ينسب النوبختي ومن سلـك مسلكه اليهم رسلهم وانبياءهم . ومعنى هذا ان ابن الراوندي اتخذ تسمية البراهمـة قناعا له للتعبير عن آرائه الجريئة التي ليست فيها من الهنديات شيء بـل يمكن ويجب فهم نشأتها من البيئة الإسلامية ومن الازمات الروحية التـي تعرض لها الاعتزال والكلام عامة . وقد اشار الى هذه الواقعـة المؤيـد الشيرازي في رده على ابن الراوندي اذ لم يذكر البراهمة الا بأن يضيف الى

---

(٨) القاهرة ١٣٤٠ ص ٦٩ .

ذكرهم ان تلك الآراء تنسب اليهم « بزعمه » اي بزعم ابن الراوندي فقط .

هذا والطريف في الامر ان كثيرا من اقطاب علم الكلام من المتأخرين ومن اصحاب كتب الملل والنحل قد انخدعوا بما اختلقه ابن الراوندي عنيهم . فقد نرى الباقلاني (٩) وابن حزم (١٠) والبغدادي (١١) والغزالي (١٢) والطوسي والذهبي (١٣) ايضا ينسبون الى البراهمة تلك الآراء التي رواها صاحب كتاب الزمرذ باسمهم والتي ليست من « التبرهم » في شيء . اما ابن الجوزي فقد وضع في جانب نخبته من كتاب النوبختي عن البراهمة الحق فصلا مطولا (١٤) فيشبه البراهمة الموجهة ضد أهل الشرائع المنزلة يرجع في آخر الامر الى كتاب ابن الراوندي . اما الشهرستاني فقد عرض آراء هؤلاء البراهمة الموهومين عرضا مفصلا جديرا بأن نرويه هنا بتمامه اذ كان يمكنك من مقابلته بما مر عليك من كتاب الزمرذ ومن الحكم من تلقاء نفسك على ما نقول .

قال الشهرستاني (١٥) بعد ان حاول تفسير اسم البراهمة بنسبته الى ابراهيم عليه السلام او الى رجل يقال له برهام : « قد مهد لهم نفي النبوات اصلا وقرر استحالة ذلك بوجوه منها ان قال :

١ ــ ان الذي يأتي به الرسول لم يخل من احد امرين : اما ان يكون معقولا واما ان لا يكون معقولا . فان كان معقولا فقد كفانا العقل التام بادراكه والوصول اليه ، فأي حاجة لنا الى الرسول . وان لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا اذ قبول ما ليس معقولا خروج عن حد الانسانية ودخول في حد البهيمية .

٢ ــ ومنها ان قال : قد دل العقل على ان الله تعالى حكيم ، والحكيم

---

(٩) كتاب اعجاز القرآن (القاهرة ١٣٤٩) ص ١٠

(١٠) الفصل ج ص ٦٩

(١١) الفرق بين الفرق ص ٣٣٢

(١٢) الفيصل ص ٥٥ (من مجموعة الجواهر الغوالي المطبوعة في مصر ١٣٤٣)

(١٣) في تاريخ الاسلام في ترجمة ابي العلاء المعري

(١٤) تلبيس ابليس ص ٦٩ الخ

(١٥) كتاب الملل والنحل (طبعة اوروبا) ص ٤٤٥ الخ

لا يتعبد الخلق الا بما يدل عليـه عقولهم وقد دلت الدلائل العقلية عـلى ان للعالم صانعا عالما قادراً حكيما وانـه انعم عـلى عباده نعما توجب الشكر . فلننظر في آيات خلقه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا . واذا عرفناه وشكرنا له استوجبنا ثوابه واذا انكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه . فما بالنا نتبـع بشراً مثلنا ؟ فانه ان كان يأمرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر فقد استغنينا عنه بقولنا . وان كان يأمرنا بما يخالف ذلك كان قولنا دليلا ظاهرا عـلى كذبـه .

٣ ـ ومنها ان قال : قد دل العقل على أن للعالم صانعا حكيما والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح في عقولهم . وقـد وردت اصحاب الشرائـع بمستقبحات من حيث العقل من التوجه الـى بيت مخصوص في العبـادة والطواف حوله والسعي ورمي الجمار والاحرام والتلبية وتقبيل الحجـر الاصم وكذلك ذبح الحيوان وتحريم ما يمكن أن يكون غذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بنيته وغير ذلك ، كل هذه الامور مخالفة لقضايا العقول .

٤ ـ ومنها ان قال : ان اكبر الكبائر في الرسالة اتباع رجل هو مثلك في الصورة والنفس والعقل يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب حتى تكـون بالنسبة اليه كجماد يتصرف فيك رفعا ووضعا [ص ٣٥] او كعبد يتقدم اليك امرا ونهيا. فبأي تمييز له عليك واية فضيلة اوجبتاستخدامك وما الدليل على صحة دعواه . فان اغتررتم بمجرد قوله فلا تمييز لقول على قول ، وان انحسرتم بحجته ومعجزته فعندنا من خصائص الجواهر والاجسام مـا لا يحصى كثرة ومن المخبرين عن مغيبات الامور من لا يساوي خبره » .

★★★

لعل القطعة التي اوردناها من كتاب الشهرستاني تكفيك دلالة على ان براهمة ابن الراوندي اشخاص موهومون على نمط الزوار الفرس الذيـن نقلهم « مونتسكيو » الى قلب اوربا لكي يضع على لسانهم ما يجول فـي خاطره من الافكار في عيوب الحضارة الغربية . وليست الرواية الوهميـة التي اخترعها ابن الراوندي الوحيدة من نوعها في الآداب الاسلامية ولكـن لها نظائر واشباه . فان اكثر ما نقرؤه في الكتب عن عقائد الصابئة الحرانيين او الحرنانيين ليس الا خرافة اخترعها بعض الظرفاء من المتفلسفة فـي

اواخر القرن الثالث للهجرة ليشبعوا جوع الجمهور المثقف الى آراء غريبة مستبعدة . وكذلك عمل ابن وحشية المشهور في فلاحتـه النبطية اذ اختلق للانباط والكنعانيين والكلدانيين والبابليين القدماء علوما فاقت في عمقها كل ما اهتدى اليه علماء الامم الاخرى وكما ان الناس انخدعوا باختلاقات ابـن وحشية واحمد بن الطيب السرخسي وابي بكـر الرازي كذلـك انخدعـوا بالرواية الموهومة عن البراهمة التي اخترعها ابن الراوندي .

★★★

لنفترق بعد هذا عن ابن الراوندي . لن يقال ان شخصيته في اباحتها وجراتها وتأذيتها لما هو مقدس محببة الـى النفس ، ولكنها تمثـل تيـارا لا سبيل الى انكاره لمن يرمي الى فهم الحياة الاسلامية في القـرن الثالـث للهجرة على مختلف الوانها . ولعله يسلينا ان هذا الرجل مع اصراره عـلى قدرة العقل الانساني في ادراك حقائق الاشياء قد وصل في آخر عمره الـى ان قال ــ او قيل انه قال ــ :

أليس عجيبـا بـان امـرءا لطيف الخصام دقيـق الكلـم
يمـوت ومـا حصلت نفسه سـوى علمـه انـه مـا علـم

(٨/٢٦)

بدوي ، الدكتور عبد الرحمن :
ـ من تاريخ الالحاد في الاسلام ،
القاهرة ١٩٤٥ ،
الصفحات ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٧٥ ـ ١٨٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ .

(١)

[ص ٢٥]

... ثم ان المصادر التي تحدثنا عن الزندقة والزنادقة قليلة غير مامونة . وهذه القلة اما لأن كتب الزنادقة قد فقدت كلها تقريبا ، ولم يعد بين أيدينا منها الا شذرات ضئيلة نعثر عليها بعد عناء طويل في كتب الردود ، مثل هذه الشذرات التي عثر عليها المأسوف على شبابه الممتاز الدكتور كراوس في كتاب « المجالس المؤيدية » ، وهي شذرات لابن الراوندي ماخوذة من كتابه « الزمرذ » قد رد عليها داعي الدعاة مؤيد الدين الشيرازي في هذه المجالس الموسومة باسمه (١) .

(٢)

[ص ٢٧]

ونحن قد اشرنا من قبل الى المقال الذي كتبه كراوس عن ابن الراوندي

---

(١) انظر ملحق هذا الكتاب [ص ٢٥٩ وما يليها] .

بمناسبة الفقرات التي عثر عليها في « المجالس المؤيدية » مأخوذة من كتاب « الزمرذ » لابن الراوندي ، وهو مقال طويل مملوء بالمعلومات ، ويعد خير ما كتب عن ابن الراوندي حتى اليوم (٢) .

(٣)

[ص ٣٣]

أما الزنادقة من المتكلمين فاشهرهم ابن طالوت ونعمان ، اللذان كانا استاذي ابن الراوندي الزنديق المشهور ، كما كان من أساتذته أيضا ابو شاكر الذي يذكرعنه الخياط انه كان متصلا بهشام بن الحكم ، المتكلم الشيعي المعروف . ويرى فيدا (٣) ان الرابطة بين أساتذة ابن الراوندي الثلاثة هؤلاء يظهر انها كانت التغالي في التشيع .

(٤)

[ص ٣٦]

ولكن أظهر شخصية في هؤلاء المتكلمين الزنادقة بعد شخصية ابن الراوندي (الذي نؤجل الحديث عنه الى الفصل الخاص به في القسم الثالث من هذا الكتاب) (٤) ، هي شخصية ابي عيسى الوراق وقد كان هو أيضا استاذا لابن الراوندي .

---

(٢) يعني الدكتور بدوي حتى صدور كتابه سنة ١٩٤٥ .

(٣) يشير الدكتور بدوي الى مقالة الاستاذ G. Vajda الموسومة
Les Zindiqs en pays d'Islam au début de la période abbaside; in: R.S.O., Vol XVI, 1937, pp. 173-229.

وموضع النص هناك يقع في pp. 192 - 3.

(٤) يراجع الملحق في هذا الكتاب .

(٥)

[ص ٤٥]

ولكن (٥) الرأي مختلف في الحكم على طابع كتاب ابن المقفع واغراضه . فجويدي (٦) الذي نظر اليه بحسبانه ضربا من معارضة القرآن يقصد به الطعن في الاسلام ، والذي رأى فيه الخطوة الاولى والدليل الاول تقريبا على الحجاج الموجه ضد الإسلام ، ذلك الحجاج الذي نراه قويا متقنا في مؤلفات ابن الراوندي ...

(٦)

[ص ٤٨ تعليق ١]

هذه النقطة تجعل موقف ابن المقفع مختلفا كل الأختلاف عن موقف ابن الراوندي الملحد . فاذا كانت أسلحة الهجوم على الاسلام واحدة في جوهرها لدى كليهما ، كما بين هذا جويدي جيدا ، ص يط ــ ص ك (٧) ، فانه بينما الهجوم عند الاول متلو بايمان ايجابي ، نجد ان ابن الراوندي ــ او كان لنا ان نبدي حكما على اساس ما يقوله خصومه عنه وعن مؤلفاته (ان كتاب « فضيحة المعتزلة » الذي رد عليه الخياط بكتاب « الانتصار » يبدو انه كان مجرد هجوم على المعتزلة بحسبانها هي الاخرى مبتدعة وملحدة ، باسم شيعية معتدلة) هو الملحد الحقيقي الذي يضع معرفته بالكلام في خدمة كل بدعة وكل دين ضد الإسلام .

(٧)

[ص ٧٥ ــ ١٨٨]

[انظر بحث الاستاذ كراوس في ابن الريوندي ملحقا بالكتاب]

---

(٥) هذه الشذرة (والشذرة التالية ايضا) من فصل من مقال للاستاذ كابرييلي F. Gabrieli ترجمة الدكتور بدوي من مقال L'opera d'ibn al-Moqaffa المنشور في مجلة R.S.O. (XIII, pp. 197 — 247)

(٦) اشارة كابرييلي هنا الى مقدمة الاستاذ M. Guidi لكتابه **La lotta tra l'Islam e il Manicheismo**, Roma 1927.

(٧) يقابل : **Ibid.**, pp. XIX — XX.

(٨)

[ص ١٩٨]

... ثم شاهدنا هذه الحركة المتصاعدة (٨) تبلغ أوجها عند ابن الراوندي : فبعد ان كانت مجرد مزاج روحي او موقف فكري مؤقت غير واضح ، صارت مذهبا شاملا اقيم على اسس من العقل ، واصبح ذا انصار يؤمنون به لأسباب عقلية فكرية ، وكانت فكرة النبوة هي حجر الزاوية في هجوم هذا الالحاد على الاسلام .

(٩)

[ص ٢٠٢]

ومن هذه الفقرة المهمة (٩) يتبين التشابه الكبير بينه [= بين الرازي] وبين ابن الراوندي حين قال على لسان البراهمة : « انه قد ثبت عندنا وعند خصومنا ان العقل أعظم نعم الله ـ سبحانه ـ على خلقه ، وانه هو الذي يعرف به الرب ونعمه . ومن أجله صح الامر والنهي والترغيب والترهيب » . فاذا كان ابن الراوندي قد بنى على هذه المقدمة ابطاله للنبوة ، فيشبه ان يكون الرازي قد اراد هذا ايضا ورمى اليه ، خصوصا وهو يزيد في توكيد مناقب العقل [ص ٢٠٣] ، فينسب اليه ليس فقط ما يتصل بالاخلاق ، كما اقتصر عليه ابن الراوندي ، بل وايضا ما يتصل بالمسائل الالهية ، ... ولقد كان قول ابن الراوندي ـ لو اخذ وحده ـ خليقا بأن يرد عليه بالقول بأن الانبياء يأتون لبيان الامور المتصلة بالالوهية ، ولا يقتصرون على الناحية الاخلاقية وحدها . اما الرازي ، فقد اكد ان العقل هو المرجع في كل شيء ... فكأن الرازي اذا قد ذيّف على استاذه وزاد ...

(١٠)

[ص ٢١٣]

ثم يعود (الرازي) الى احتجاجه بالتناقض للدلالة على البطلان كما

---

(٨) حركة الزندقة .

(٩) انظر : رسائل فلسفية لابي بكر الرازي ، نشرة باول كراوس ، القاهرة ١٩٣٩ ، ١/ص ١٧ س ١٦ ، ص ١٨ س ١٦ .

فعل فيما يتصل بالانبياء . فيتخذ من تناقض روايات رجال الدين شاهدا على فساد اقوالهم . فنراه ها هنا يلجأ الى نفس ما لجأ اليه ابن الراوندي من الطعن في قيمة الرواية فيما يتصل بالاحاديث والأخبار الدينية ...

(١١)

[ص ٢١٦]

(فالرازي) يهاجم اعجاز القرآن على نحو مشابه لما فعله ابن الراوندي ، فيهاجمه من ناحية النظم والتاليف ، كما يهاجمه من ناحية المعنى .

... والشبه واضح بين هذا القول [الذي زعمه الرازي (١٠)] وبين قول ابن الراوندي : اننا نجد في كلام اكثم بن صيفي احسن من بعض سور القرآن ، وان كان الرازي لم يذكر بليغا بعينه . وهذا الطعن في اعجاز القرآن من حيث النظم ...

(١٢)

[ص ٢١٧]

اما من حيث المعنى ، فقد هاجم [الرازي] القرآن من عدة نواح تختلف عن تلك التي هاجمه منها ابن الراوندي . ولا عجب ، فابن الراوندي كان يجول في محيط كلامي ديني ، لهذا تركز نقده في هذه النواحي . اما الرازي ، فقد كان يجول في جو علمي .

(١٣)

[ص ٢٢٣]

والرازي يثير ايضا على هامش تلك المسألة العامة في نقد القرآن والكتب [ص ٢٢٤] المقدسة مسألة اللغات وكيف نشأت ، وقد رأيناها مفصلة بعض التفصيل في مقال كراوس عن ابن الراوندي (١١) ، وعرفنا قول الرازي وما يثيره من مسائل ...

(١٠) يراجع كراوس : فصول مستخرجة من كتاب « اعلام النبوة » لابي حاتم الرازي ، منشور في مجلة (شرقيات Orientalia) ج ٥ ، سلسلة جديدة ، كراسة ٣/٤ ، روما سنة ١٩٣٦ ، قطعة رقم ١٦ س ٣ — ٨ .

(١١) انظر الملحق في آخر هذا الكتاب .

(٩/٢٧)

بينيس ، س. :
ـ مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود ،
ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة ،
القاهرة ١٣٦٥/١٩٤٦ ،

(١)

[ص ١٢ ، تعليق ٤]

هل كان النظّام يقول بأن في الجسم اجـزاء لا نهايـة لهـا في الفعل ؟ تختلف الاجابة عن هذا السؤال فيما انتهى الينا من حكايات الاسلاميين . وابن الراوندي لا يعرض لهذه المسالة ، بل هو يكتفي بأن يعيب عـلى النظّام قوله بأن الجسم لا يتناهى في التجزؤ (الانتصار ص ٣٢ ، ٣٤) . . . ويكتفي البغدادي في الفرق بين الفرق (ط . القاهرة ، ١٩١٠ ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤)، في نص يتفق فيه تمام الاتفاق مع ابن الراوندي ، بأن يعد القـــول بانقسام كل جزء لا الى نهاية من فضائح النظّام .

(٢)

[ص ١٩ ، تعليق]

. . . وقارن « المقالات » ص ٣٢٧ س ١٥ ، حيث يشبه مذهب النظام في الكمون والمداخلة من حيث المعنى بمذهب اهـل التثنية في امتزاج النـور

بالظلمة . وقد استعمل ابن الراوندي من قبل هذه المقارنة في تشنيعه على النظام ــ انظر كتاب الانتصار ص ٣١ .

(٣)

[ص ٢٧ تعليق ١]

انظر كتاب الانتصار ص ١٣٣ ــ ١٣٤ في أمر علاقة ضرار بالمعتزلة . والخياط ينكر على ابن الراوندي أنه يعد ضرارا من المعتزلة .

(٤)

[ص ٣٩ تعليق ٤]

يقول ابن الراوندي في تشنيعه على المعتزلة ان ابا عفان الرقي ، من اصحاب النظام والجاحظ ، كان يزعم أن الله علة لكون الخلق . والخياط ينكر هذا .

(٥)

[ص ١٢٣]

والقول بخلق القرآن ونفي صفات الله هما ، بالاجمال ، اساس اصل التوحيد عند المعتزلة . والخياط ، وان كان قد حاول ان يفصل فصلا تاما بين جهم والمعتزلة ، فانه لم يتردد في اعتبار جهم من جملة الموحدين ، اما العامة وابن الراوندي ضمنا ، فانهم يضيفون جهما الى المعتزلة لقوله بخلق القرآن (كتاب الانتصار ص ١٢٦) .

(٦)

(ص ١٢٥ تعليق ٢)

... والمعتزلة بأنكارهم جواز نسخ الاخبار زادوا في شقة الخلاف بين مذهبهم ومذهب الشيعة في القول بالبداء . انظر فيما يتعلق بالبداء مقال

جولدتزيهر في دائرة المعارف الاسلاميــة . وراجــع ايضا مقالات الاسلاميين ص ٣٩ س ٤ ، ٢٢١ س ١ ، ٤٧٩ س ١ ، ٤٩١ س ١٢ ، وكتــاب الانتصار ص ١٢٧ والصفحات التالية ... وقد حاول ابن الراوندي ان يبين انــه ليس بين قول الشيعة بالبداء وقول المعتزلة في النسخ الا فــرق في الاسم دون المسمى . والخياط ينكر هذا مستندا الــى أن الشيعة (الرافضة) تقول بالبداء في الاخبار ، وليس القول بالنسخ في الامر والنهي مــن القــول بالبداء في الاخبار في شيء ...

(٧)

[ص ١٢٦ تعليق ٤]

... وقد اراد ابن الراوندي ان يشنع على المعتزلة بأن قال ان ضرارا وحفصا ، وهو يعدهما من المعتزلة ، يقولان بالماهية ، وان ممن كان يقــول بها ، ايضا ، ثمامة وحسينا النجار وسفيان بن سختان وبرغوثا . والخياط يقول ان اضافة القول بالماهية الى ثمامة كذب وباطل ، اما الباقون الذيــن ذكرهم ابن الراوندي فليسوا من المعتزلة في نظر الخياط (الانتصار ص ١٣٣ والصفحة التالية) (★) .

(★) كذلك قارن الاصل الالماني :
S. Pines, **Beiträge zur islamischen Atomenlehre,** Berlin 1930, (index).

(١٠/٢٨)

تيمور ، احمد ... باشا :

ـ ضبط الاعلام ،

ط. القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧ ،

ص ٦٣ .

الراونـــدي

احمد بن يحيى بن اسحاق ، المكنى بأبي الحسين ، العالـم المشهور ؛ صاحب المصنفات في علم الكلام ، المتوفي برحبة مالك بن طـوق سنة خمس واربعين ومائتين عن أربعين سنة ، وقيل توفي سنة خمسين .

قال ابن خلكان (★) : « نسبته الى راوند ، بفتح الراء والواو وبينهما الف وسكون النون وبعدها دال مهملة ، وهي قرية من قرى قاسان بنواحي اصبهان ، وراوند ، ايضا ، ناحية بظاهر نيسابور . وقاسان بالسين المهملة وهي غير قاشان بالشين المعجمة »

(★) يقارن نص وفيات الاعيان ، في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد »، ص ١٩١–١٩٢

(١١/٢٩)

جار الله ، زهدي حسن :

ـ المعتزلة ،

القاهرة ١٩٤٧/١٣٦٦ .

(١)

[ص ٣٩ ، تعليق]

[اشهر الزنادقة] :

١ ـ بشار بن برد ـ البيان والتبيين ج ١ ص ٣٦ ـ ٣٧ .

٢ ـ ابن المقفع ـ خزانة الادب ج ٣ ص ٤٥٩ .

٣ ـ صالح بن عبد القدوس ـ تكملة الفهرست ص ١ .

٤ ـ ابو شاكر الديصاني ، وابو حفص الحداد ـ الانتصار ص ٤١ ، ١٤٢ .

٥ ـ ابن ذر الصيرفي ، وابو عيسى الوراق ـ الانتصار ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

٦ ـ ابن الروندي وابو حيان التوحيدي ـ طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٣ .

[ص ٤٢]

أما الجاحظ فدفاعه عن الاسلام اشهر من ان يذكر . قال الخياط انه لا يعرف متكلما نصر الرسالة واحتج للنبوة بلغ في ذلك ما بلغه الجاحظ (١). وذكر له ياقوت ثمانية كتب في الرد على المخالفين وستة في الدفاع عن مبادىء الاعتزال (٢) ، وخيرها جميعا كتاب « فضيلة المعتزلة » وهو كتاب وضع ليس لمدح المعتزلة واظهار فضلهم فحسب ، بل للرد على الرافضة (٣) ايضا . يدلنا على ذلك انه اغاظ الرافضة كثيرا ، فانبرى احدهم وهو ابن الروندي لتفنيده ، ووضع كتابه « فضيحة المعتزلة » للرد عليه ، وحمل فيه على المعتزلة حملة شعواء ، ونسب اليهم أمورا كثيرة لم يعتقدوها ولا قالوا بها ليشوه سمعتهم ، فرد عليه ابو الحسين الخياط في كتابه « الانتصار » وتنصل من تلك الامور ورد تلك التهم . وكتاب الانتصار في حد ذاته برهان ساطع ودليل قاطع على ما قام به المعتزلة من الدفاع عن الاسلام ومقاومة خصومه ، وكيف انهم استمروا على هذه الخطة حتى في ايام ضعفهم وبعد زوال دولتهم .

وحري بنا بعد هذا ان نشير الى شيئين آخرين : الاول ان المعتزلة ، وان كان اكثر ردهم على المجوسية والجبرية ، فقد كانوا لا يتأخرون عن الرد على جميع المخالفين [ص ٤٣] للاسلام كائنين من كانوا . ألم يضع الجاحظ الكتب في الرد على النصارى واليهود والزيدية ..؟ (٤) أو لم يقاوموا الخوارج ايضا ..؟ اليكم ما يرويه البيهقي : كان لاحد المعتزلة جار يرى راي الخوارج ، وكان كثير الصلاة والصيام حسن العبادة . فقال المعتزلي لرجلين من اصحابه : مرا بنا الى هذا الرجل فنكلمه عسى ان ينقذه الله عز وجل من الهلكة بنا ويهديه من الضلالة . فكلموه ، ولما يئسوا منه وظهر لهم تلاعبه بهم ، قال المعتزلي لصاحبيه : اتنهيان عن دماء امثال هؤلاء ؟

---

(١) كتاب الانتصار ، ص ١٥٤ .

(٢) معجم الادباء ، ج ١٦ ص ١٠٧ — ١١٠ .

(٣) راجع معنى الرفض في كتاب الانتصار ص ١٠٥ — ١٠٦ ، وفي العقد الفريد ، ج ١ ص ٢١٧ .

(٤) معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .

ووالله لاجاهدنهم مع كل من اعانني عليهم ..! (٥) والشيء الثاني ان المعتزلة كانوا أشداء على خصوم مبدئهم ، متمسكين بعقائدهم ، حتى انهم لم يتساهلوا مع بعض رجالهم حين جاءوا بأمور مخالفة او ابدوا آراء شاذة مغايرة . فقد اعترضوا جميعا على بشر بن المعتمر في اللطف وناظروه فيه حتى رجع عنه (٦) ، ونفوا حفص الفرد لما قال بالجبر وحاربوه ، وتصدى له ابو الهذيل فناظره وقطعه (٧) . كذلك عنفوا ابن الروندي ووبخوه وطردوه من حلقتهم (٨) ، وطردوا فضلا الحذاء وابن حائط لانهما خلطا وتركا الحق وذهبوا الى حد تحريض الخليفة الواثق على ابن حائط وحمله على النظر في الحاده واقامة حكم الله فيه ، ولكن المنية عاجلت ابن حائط قبل ان يتم شيء من ذلك (٩) .

(٢)

[ص ١١٧]

[ويرى العلاف]

ان لما يعلمه الله تعالى ويقدر عليه غاية ينتهي اليها وحدًا يقف عنده ، فلا يعلم بعد ذلك شيئا ولا يقدر ان يفعل شيئا أصلا (١٠) . ويكذب الخياط هذا القول المنقول عن ابن الروندي فيقول : ان ابا الهذيل كان يرى ان الله يعلم نفسه ، وان نفسه ليست بذي غاية ولا نهاية . اما الإشياء المحدثة فان لها كلا وجميعا وغاية ينتهي اليها العلم بها والقدرة عليها ، وذلك لمخالفتها للقديم . ولما كان القديم عند ابي الهذيل ليس بذي غاية ولا نهاية ، ولا يجري عليه كل ولا بعض ، وجب ان يكون المحدث ذا غاية ونهاية وان يكون له كل وجميع . وقد قال تعالى في المحدثات انه محيط بها : « وهو بكل شيء محيط » ، وانه محص لها : « واحصى كل

---

(٥) المحاسن والمساوىء ، ص ١٥٢ — ١٥٣ .

(٦) الانتصار ، ص ٦٥ .

(٧) الفهرست ، ص ٢٥٥ .

(٨) الانتصار ، ص ١٠٢ .

(٩) ايضا ، ص ١٤٩ .

(١٠) ايضا ، ص ٨ ، والمقالات ج١ ص ١٦٣ ، وابن حزم ، ج٤ ص ١٤٧ .

شيء عدداً » ، ولا تكون الاحاطة والاحصاء الا للاشياء المتناهية (١١) .

(٤)

| ص ١٢٦ |

[في الحديث عن النظام]

واعترض ابن الروندي على قوله ان الروح اذا انطلقت من الجسد ترتفع الى الاعلى لانه شبيه بقول المنانية والديصانية في النور والظلمة . فرد عليه الخياط بأن المنانية كفرت بقولها ان النور والظلمة قديمان لم يزلا ، وان الديصانية كفرت باثباتها عالمين قديمين عالم في العلو وعالم في السفل غير عالمنا هذا . والنظام لم يقل بذلك بل قال ان النور يذهب علوا والظلمة تذهب سفلا ، وان الخفيف يصعد الى أعلى عالمنا هذا والثقيل ينزل ويلحق بأسفل عالمنا هذا (١٢) . واعترضوا أيضا على قول النظام ان أفعال الحيوان جنس واحد فقال ابن الروندي انه يعني ان الكفر مثل الايمان ، وان العلم مثل الجهل ، وان الحب مثل البغض (١٣) .

(٥)

[ص ١٢٧]

ومع ذلك فان ابن الروندي يقول ان النظام كان يحيل ان يكون الله قادرا على فعل المستحيل ، كأن يجعل المبرد مسخنا ، او الحر مبرداً ، لان الجوهر محال ان يعمل ما ليس في طباعه عمله . ولكن الخياط ينكر ان يكون النظام قد قال ذلك (١٤) .

(٦)

[ص ١٢٩]

قال النظام ان نظم القرآن وحسن تاليف كلماته ليس بمعجزة للنبي

---

(١١) الانتصار ، ص ٨ ــ ١٠ .

(١٢) ايضا ، ص ٣٨ ــ ٤٠ .

(١٣) ايضا ، ص ٢٨ .

(١٤) ايضا ، ص ٤٧ ــ ٤٨ .

صلى الله عليه وسلم ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة ، وانما وجبه الدلالة على صدقه ما فيه من الاخبار عن الغيوب (١٥) . اما النظم والتأليف فان الناس قادرون على مثلهما ، ولكن الله تعالى صرف أذهانهم عن معارضة القرآن ومنعهم من الاهتمام بـه جبرا وتعجيزا ، ولو خلاهم لكانـوا قادرين على ان يأتوا بمثله فصاحة وبلاغة (١٦) . وقد رد الخياط على هذا القـول الذي كان ابن الروندي اول من نسبه الى النظام ، وقال ان النظام كـان يقر باعجاز القرآن نظما واخبارا (١٧) .

(٧)

[ص ١٣٠]

العالم فعل الله بطبعه (١٨) ، اي ان طبيعته تعالى هي التي جعلتـه يصنع هذا الكون ، فالكون نتيجة قوة طبيعية كامنة في الله وليس نتيجـة مشيئته واختياره . ويرى الشهرستاني أن ثمامة اراد بذلك ما ارادتـه الفلاسفة ـ الطبيعيون منهم طبعا ـ من الإيجاد بالذات دون الايجاد عـلى مقتضى الارادة (١٩) . غير ان الخياط يرفض هذا القول الذي اخذه ابـن حزم والشهرستاني عن ابن الروندي ويقول انه لم يسمع عن ثمامة ولا ورد في كتبه . لان المطبوع عند ثمامة هو الجسم المحدث ، اما القديم الذي ليس بجسم فتعالى عن ذلك علوا كبيرا . ثم ان المطبوع عند أصحاب الطبايـع لا يكون منه الا جنس واحد من الافعال كالنار التي لا يكون منها الا التسخين ، اما من تكون منه الاشياء المختلفة فهو المختار لأفعاله لا المطبوع عليها (٢٠) .

(٨)

[ص ١٣٢ ، تعليق]

قد يكون معمر لم يقل ذلك في الحياة والموت ، لان ابن الروندي أظهر

---

(١٥) اصول الدين ص ١٨٤ ، والفرق بين الفرق ص ١٢٨ .

(١٦) المقالات ج١ ص ٢٢٥ ، والملل والنحل ج١ ص ٦٤ .

(١٧) الانتصار ، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(١٨) ابن حزم ، ج ٤ ص ١٤٨ .

(١٩) الملل والنحل ، ج ١ ص ٧٨ .

(٢٠) الانتصار ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

ترددا في نسبته اليه ، فقال اما الحياة والموت ، فمن الناس من زعم ان معمرا يضيفهما الى الله تعالى ، ومنهم من زعم انه يضيفهما الى الحي الميت – (الانتصار ص ٥٦) – . يضاف الى هذا ان الشهرستاني لم يثبت على معمر انه قال ان الحياة والموت من فعل الاجسام بطبعها ، وانما استنتج ذلك من احالة معمر ان تكون لله قدرة على خلق الاعراض ، ولان الحدوث والفناء عرضان ، فلا دخل لله تعالى فيهما . (الملل والنحل ج ١ ص ٦٧) .

(٩)

[ص ١٤٨]

روى ابن الروندي ان الجاحظ كان يقول ان القرآن جسم يجوز ان يقلب مرة رجلا ومرة حيوانا (٢١) . ولا يعقل ان يكون الجاحظ قد قال ذلك ، بل الارجح ان يكون ابن الروندي نسبه اليه للحط من قدره ، وان كان قاله فعلا فانه اما ان يدل على الدرجة البعيدة في السخف التي وصلت اليها المحاجات الفلسفية في زمنه ، واما ان يكون الجاحظ ، كما قال ماكدونالد ، قصد بهذا القول التهكم على المتجادلين في وقته وايضاح مبلغ العقم في ابحاثهم (٢٢) .

(١٠)

[ص ١٩٠]

[في اضطهاد المعتزلة لغيرهم من الفرق]

ثم تمادوا في ذلك فصاروا يرفضون شهادتهم ويكفرونهم ، ولا سيما المردار الذي غالى في تكفير غيره فوضع – على ما يروي ابن الروندي – كتابا في القدر والتشبيه اكفر فيه اهل الارض (٢٣) .

(١١)

[ص ١٩٤]

وليس أدل على ذلك من ان كتاب السنة كالبغدادي والشهرستاني

---

(٢١) الملل والنحل ، ج ١ ص ٨١ .

(٢٢) Macdonald, Development of Muslim Theology, p. 161

(٢٣) الانتصار ، ص ٦٨ .

كانوا في ردهم على المعتزلة وكلامهم عنهم يعتمدون كثيرا على كتب الرافضة ويقتبسون منها ولا سيما كتاب « فضيحة المعتزلة » لابن الروندي .

(١٢)

[ص ١٩٦]

وروي عن ابن الروندي ان كثيرين من المعتزلة يكفرون النظام وبشرا وجعفر بن مبشر لقولهم في القرآن أن الناس لم يسمعوه على الحقيقة ، وان ما في المصاحف ليس بكلام الله الا على المجاز (٢٤) .

(١٣)

[ص ١٩٧]

فلما قامت الحركة الرجعية ، وزالت سلطة المعتزلة السياسية ، وتعرضوا لهجمات الخصوم ، اشتدت الحركة الانفصالية ، وخرج على المعتزلة بعض رجالهم كأبي عيسى الوراق (+ ٢٤٧ هـ . = ٨٦١ م .) الذي تركهم وانضم الى اعدائهم الرافضة (٢٥) ، وابي الحسين احمد بن الروندي (٢١٥ — ٢٩٨ هـ . = ٨٣٠ — ٩١٠ م) (٢٦) ، [ص ١٩٨] الذي انضم الى الرافضة ايضاووضع لهم كتاب « الامامة » ، وتقرب اليهم بالطعن

---

(٢٤) ايضا ، ص ٨٢ .

(٢٥) ايضا ، ص ١٥٢ .

(٢٦) راجع تحقيق تاريخ ابن الروندي لنيبرج في مقدمة الانتصار ، ص ٤٣ ، [الحول : ولقد البتنا خطل هذا الراي فيما قلناه في مقدمة كتابنا تاريخ ابن الريوندي الملحد ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٥ .]

في المعتزلة . ويرى صاحب الوفيات في ابن الروندي انه كان من علماء الكلام ، وكانت له مع كثير من متكلمي عصره مجالس ومناظرات (٢٧) . ونقل العباسي عن كتاب « محاسن خراسان » لأبي القاسم الكعبي المعتزلي ان ابن الروندي لم يكن في زمانه أحذق منه بالكلام ولا اعرف بدقيقه وجليله (٢٨) . ولذلك كان عليما بعقائد المعتزلة مطلعا على دخائلهم ، فراح يهاجمهم بعنف وشدة ، ويظهر معايبهم وفضائحهم بصورة لم تتأت لأحد الا للاشعري من بعده .

(١٤)

[ص ١٩٩]

[وطالما كان الجاحظ في كتابه فضيلة المعتزلة ،]

كاتبا اديبا قوي الحجة متين الاسلوب ، فلا بد ان يكون كتابه قد لفت أنظار الناس وترك فيهم اثرا كبيرا ، ولذلك هب الرافضة يردون عليه ويفندون ما جاء فيه ويطعنون في الاعتزال . وكان اهم تلك الردود كتاب « فضيحة المعتزلة » لابن الروندي الذي اصبح كما ذكرنا من انصار الرفض . ويعتقد أبو الحسين الخياط ان ابن الروندي وضع كتابه هذا وشتم فيه المعتزلة للانتقام منهم والثأر لشيوخ الرافضة الذين قطعهم علماء المعتزلة (٢٩) . وقد تذرع الخياط (+ ٣٠٠ هـ .) للدفاع عن مدرسته واصحابه فوضع كتاب « الإنتصار » الذي يرد فيه تهم أبن الروندي وينتصر للمعتزلة ويظهر فضلهم في الدفاع عن الدين ضد المخالفين وحمايتهم لمبدأ التوحيد (٣٠) .

(١٥)

[ص ٢٠٠]

وأخيرا جاءت الضربة الكبرى الفاصلة التي اذهلت المعتزلة طويلا ،

---

(٢٧) الوفيات ، ج ١ ص ٣٨ .

(٢٨) معاهد التنصيص ، ج ١ ص ٧٦ ـ ٧٧ .

(٢٩) الانتصار ، ص ١٤٢ .

(٣٠) ايضا ، ص ١٧ ، ٢٣ ، ١٥٤ ، ١٧٣ .

وزلزلت كيانهم ، وقضت عليهم بالزوال الاكيد ان عاجلا او آجلا ، وهي ايضا منبعثة من داخل الاعتزال ، ناشئة عن انقسام المعتزلة واختلافهم . وفيها دليل واضح على ما سبق ان اشرت اليه من ان العوامل الخارجية ما كانت لتكفي وحدها ، مهما بلغت قوتها ، لاسقاط المعتزلة لو أنهم كانوا داخليا أقوياء متحدين . فالمعتزلة عملوا في سقوطهم بأيديهم ، وساهموا في النهاية التي صاروا اليها بطرق مختلفة أحسب اننا وقفنا على أكثرها وقلنا ان الخلاف بينهم كان واحدا منها ان لم يكن اشدها خطرا واسواها اثرا . اما هذه الضربة فقد وجهها الى المعتزلة ابو الحسن الاشعري (٢٦٠ ــ ٣٣٠ هـ . = ٨٧٣ ــ ٩٤١ م .) أحد رجالهم وائمتهم الذي خرج عليهم وانصرف الى قتالهم كما فعل ابن الروندي من قبل .

(١٦)

[ص ٢٠٢]

.. فقد سبق الاشعري كثيرون انفصلوا عن المعتزلة وحاربوهم فلم يكن لهم كبير خطر على كيانهم ، اهمهم ابن الروندي الذي ذكرنا أنه لم يكن احذق منه في علم الكلام في وقته ، والذي رأينا أنه لم يدخر جهدا في مهاجمة المعتزلة والكيد لهم . فلماذا كان خطر الاشعري على المعتزلة أعظم من خطر غيره ..؟ ولماذا استطاع ان ينجح في ما فشل فيه غيره ..؟ ان لذلك ــ على ما أرى ــ سببين اثنين . هما ان الذين انفصلوا عن المعتزلة قبل الاشعري اما تطرفوا في اقوالهم وخلطوا كبشار بن برد ، وفضل الحذاء ، وابن حائط ، فلم يقبلهم أهل السنة ولم يتعاونوا معهم بل حاربوهم كما حاربهم المعتزلة ، واما ارتموا في أحضان الرافضة كأبي عيسى الوراق وابن الروندي ، واهل السنة ــ كما نعلم ــ يكرهون الرافضة اضعاف كرههم للمعتزلة . اما الاشعري فانه التجأ الى أهل السنة ، واعلن توبته (!) ورجوعه الى العقيدة السليمة والى اقوال السلف الصالح ، فوجد بين أهل السنة كثيرين اصغوا اليه وآزروه .

(١٧)

[ص ٢٠٦]

ما أخبرنا به المقدسي من انه نظر في كتب الفاطميين الشيعة في شمال

افريقيا فوجد انهم يوافقون المعتزلة في أكثر الاصول (٣١) ، وما رأيناه من ان الرافضة حين هاجمهم الجاحظ في كتابه « فضيلة المعتزلة » لم يجدوا من يرد عليه غير ابن الروندي المعتزلي الاصل الذي وضع لهم كتاب « فضيحة المعتزلة » . ثم ان الشيعة وجدوا في بعض اقوال المعتزلة ما يتلاءم مع عقيدتهم كانكار النظام ان يكون اجماع المسلمين حجة ، وذهابه الى ان الحجة في قول الامام المعصوم (٣٢) ، وقلة اعتداد المعتزلة عموما بالاخبار المأثورة . هذا وقد كان جملة من المعتزلة الاوائل يتشيعون لعلي بن ابي طالب كابي جعفر الإسكافي الذي ذكره الخياط وعده ممن رؤساء متشيعيهم (٣٣) . وكان المعتزلة يتبراون من عمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان ومن كان في شقهما ، ومنهم من كان يفسق عثمان بن عفان ويبرأ منه كالمرداد وجعفر بن مبشر (٣٤) . ويقول ابن الروندي ان متشيعة المعتزلة الذين ثبتوا امامة علي زعموا ان جميع القاعدين عن مساعدته قد اخطأوا بقعودهم ، وانهم لا يدرون لعلهم خرجوا بخطئهم هذا من الايمان وصاروا من اهل النار (٣٥) .

---

(٣١) احسن التقاسيم ، ص ٢٣٨ .

(٣٢) تاويل مختلف الحديث ، ص ٢٢ ـ ٢٣ ، والملل والنحل ، ج١ ص ٦٤ .

(٣٣) الانتصار ، ص ١٠٠ .

(٣٤) ايضا ، ص ٩٨ .

(٣٥) ايضا ، ص ٩٩ .

(١٢/٣٠)

نادر ، الدكتور البير نصري :
ـ فلسفة المعتزلة ، فلاسفة الاسلام الاسبقين ،
الاسكندرية ١٩٥٠ (★) ،
(الجزء الاول) .

(١)

[ص ٣٢]

ومن تلامذة الخياط ، ابو القاسم البلخي الكعبي وعبد الله بن احمد، لا نعلم شيئا عن تاريخ حياته بالرغم من انه الوحيد الذي وصلنا منه مؤلف ، وهو كتاب الانتصار (١) والرد على ابن الروندي الملحد . ويتضح مما جاء في ص ٨٨ من هذا الكتاب ، انه كتب بعد موت ابن الروندي .

ومن مطالعة كتاب الانتصار (١) يتبين لنا ان الخياط كان ملما بمختلف آراء (٢) المتكلمين في عصره ، كثيرا ما يذكره ابن المرتضى والمسعودي في كلامهما عن المعتزلة . واخذ البغدادي الكثير من كتاب الانتصار في كتابه الفرق بين الفرق (٣) .

(★) كذلك يقارن الجزء الثاني ، ط . بغداد ١٩٥١ .

(١) في الاصل : الانتصار .

(٢) في الاصل : اراء .

(٣) علق نادر هنا « انظر مقدمه [= مقدمة] كتاب الانتصار للاستاذ نيبرج ، لقد ترجمنا هذا الكتاب الى الفرنسية » [= يلاحظ :
[Le Livre du Triomphe. Beyrouth 1957.

(٢)

[ص ١٤٨]

... كل مخلوق ، اعني كل جسم طبيعي ، فهو مجبور ، او بمعنى آخر خاضع لقوانين ثابتة . ويمثل النظام لذلك بقوله : اذا دفع الحجر اندفع . واذا بلغت قوة الدفع مبلغها ، عاد الحجر الى مكانه طبعا (٤) . وكذلك يقول الجاحظ : ان للاجسام طبائع وافعال مخصوصة بها (٥) . والخياط في دفاعه عن ثمامة ضد ابن الراوندي يزيد قانون الحتمية هذا توكيدا اذ يقول : ان المطبوع هي (٦) الاجسام المعتملة المحدثة ، والمطبوع هو الذي لا يكون منه الا جنس واحد من الافعال ، كالنار لا يكون منها الا التسخين ، والثلج لا يكون منه الا التبريد . واما من تكون منه الاشياء المختلفة ، فهو المختار لأفعاله لا المطبوع عليها (٧) .

---

(٤) يلاحظ « الشهرستاني ، الملل والنحل على هامش ابن حزم ، ١/٦٢ » .

(٥) يلاحظ « الشهرستاني : المبل [= الملل] ، ١/٨٠» .

(٦) كذا في الاصل !

(٧) يلاحظ « الخياط ، الانتصار ، ص ٢٢ — ٢٣ . الشهرستاني ، الملل ، ١/٧٨ » .
كذلك يقارن في هذا الشان كتابنا Ibn ar-Riwandi, text, ch. IV

(١٣/٣١)

عبد الرحمن ، الدكتور عائشة :
ـ رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ،
ط ١ القاهرة ١٩٥٠ .
[قارن ط ٤ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ـ بلا تاريخ] .

[ص ٤٦٩ ، تعليق]

ابن الراوندي (١) : احمد بن يحيى الراوندي ، كان يلازم الرافضة . وألف كتبا جريئة كافرة ، قيل انها بلغت نحو مائة وبضعة عشر كتابا . توفي ببغداد عام ٣٠٠ أو ٣٠١ هـ (شذرات الذهب ، ٢/٢٣٥) (٢) .

---

(١) بخصوص بعض التعليقات على عنوانات كتب ابن الريوندي ، ومدينة (راوند) ، انظر تعليقات الدكتورة عائشة في كتابها المذكور ، الصفحات ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ . كذلك قارن تعليقات ص ٤٩٥ .

(٢) يقارن نص ابن العماد في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

(١٤/٣٢)

عبد الرحمن ، الدكتور عائشة :
ــ الغفران ،
ط ١ ، القاهرة ١٩٥٤ .
قارن ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٨ .

(١)

[ص ١٦٦] (١)

ولعل « نيكلسون » هو الذي افاض في الحديث عن الزندقة في (الغفران) ، لكن رايه فيها لا يخلو من تهافت وتناقض . كما ان فهمه لها تعوزه الصحة احيانا والدقة احيانا اخرى (٢) .

بدا فقال ان سلوك « ابي العلاء » نحو الزنادقة ، لا يقدم اساسا لاتهامه بالعطف عليهم ، واستظهر المستشرق على ذلك . بأمور ثلاثة :

١ ــ ان الشيخ يدعو الله ان يثيب « ابن القارح » بما لعن من عقائدهم .

٢ ــ انه يبارك « محمداً » ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما اباح من استعمال السيف ضد الكفر .

٣ ــ انه يعجب لمحاولة « ابن الراوندي» تقليد القرآن بعمل من عنده.

---

(١) هناك اشارتان لابن الريوندي في الكتاب ، انظر ص ١٥٨ ، ١٦٩ ، فلاحظ .
(٢) يراجع الاستاذ Nicholson في J.A.R.S., 1902 .

(٢)

[ص ١٧٤]

ونـنظر في حديثه عن الزندقة من الناحية التاريخية والادبية ، فنـرى له اثرا ذا خطر ، فالغفران تضع بين ايـدي الدارسين للملـل والنحل في التاريخ الاسلامي ، قدرا من اخبار الزنادقة لا نعرف ـ فيما قرأنا ـ رسالة ادبية جمعت مثله . وخطرها ياتي مـن ناحية ان ادبـاء الزنادقـة حوربـوا واضطهدت آثارهم الادبية لسبب ديني ، ولم يرو ما روي منهـا الا همسا وعلى حذر .

وتاريخنا الادبي يشكو هذه الثغرة ، كما يشكوها التاريـخ السياسي للاسلام ، فحتى يومنا هذا ، تعوزنا الوسائل الكافية لدرس تاريخ الزندقة وادبها ، ذلك لان كتب الزنادقة اختفت من التراث التاريخي لنا ، وهـي ـ في الغالب ـ قد اعدمت ، وما سلم منها قليل . واكثر هـذا القليل ، لا نجده في كتب الزنادقة انفسهم ، بل في اخبار رواهـا خصومهم روايـة خضعت لاعتبارات من الهوى والسياسة والدين وغيرها .

ولعل اقرب مثل يتصل بموضوعنا اليوم ، ان كتب « ابن الراوندي » وقد ذكر « ابن القارح » منها سبعة :

(التاج ، والزمرد ، ونعت الحكمة ، والدامغ ، والقضيب ، والفريد ، والمرجان) [ص ١٧٥] وذكرها « ابو العلاء » مـا عـدا (الزمرد ونعت الحكمة) .

لم يصل الى ايدينا منها سوى فقرات مـن كتـاب (الزمرد) ، عثر عليها « باول كراوس » (في المجالس المؤيدية ، للحميدي) ونشرها في مقال له بالالمانية ، في (مجلة الدراسات الشرقية : مجلـد ١٤ عـام ١٩٣٤) ومقتطفات اخرى من كتاب (الدامغ) عثر عليها « ريتر : Ritter » فـي كتاب (المنتظم لابن الجوزي) ونشرها مرفقة بترجمة لها عام ١٩٣٦ .

اما بقية الكتب السبعة لابن الراوندي ، فليس لها اليوم في مكتبتنا اثر ، وكذلك شأن كتبه الاخرى التي احصوها بنحو مائة وبضعة عشر كتابا (٣) ، سمعنا ببعضها فيما كتب خصومه نقضا لها او ردا عليها ، مثل:

كتاب (اجتهاد الراي) رد عليه « ابو سهل النوبختي » احد شيوخ الامامية .

كتاب (امامة المفضول) نقضه « الخياط » ، و « ابو بكر البردعي » المعتزلي .

كتاب (فضيحة المعتزلة) رد عليه ، « الخياط » بكتاب (الانتصار) .

كتاب (ادب الجدل) رد عليه « ابو القاسم البلخي ، والفارابي » .

وغيرها مما لا نتوفر الآن على تتبعه وجمعه .

ويكفينا هذا المثل الواحد ، لنقدر الثغرة التي اوجدها اضطهاد كتب الزنادقة ، ومن هنا تبدو القيمة التاريخية والادبية لما روى « الغفران » من اخبارهم واشعارهم .

---

(٣) ينظر ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٢/٢٣٥ .

(١٥/٣٣)

الزركلي ، خير الدين :
ـ الاعــلام ،
ط . ثانية ، القاهرة ١٩٥٦ ،
جـ ١ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

[ص ٢٥٢ عمود ٢]

الراوندي (.. ـ ٢٩٨ هـ/.. ـ ٩١٠ م)

احمد بن يحيى بن اسحاق ، ابو الحسين الراوندي ، او ابن الراوندي : فيلسوف مجاهر بالالحاد . من سكان بغداد . نسبته الى « راوند » ، من قرى اصبهان .

قال ابن خلكان (١) : له مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب نقلوها عنه في كتبهم .

وقال ابن كثير (٢) : احد مشاهير الزنادقة ، طلبه السلطان فهرب ، ولجأ الى ابن لاوى اليهودي (بالاهواز) ، وصنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سماه « الدامغ للقرآن » .

---

(١) يراجع نص وفيات الاعيان ، في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ص ١٩١ .
(٢) يراجع نص البداية والنهاية ، ايضا ، نفس الكتاب ص ٢٠٥ .

وقال ابن حجر العسقلاني (٣) : ابن الراوندي ، الزنديق الشهير . كان اولا من متكلمي المعتزلة ، ثم تزندق ، واشتهر بالالحاد . ويقال كان غاية في الذكاء .

وقال ابن الجوزي (٤) : ابو الحسين الريوندي ، الملحد الزنديق ، وانما ذكرته ليعرف قدر كفره ، فانه معتمد الملاحدة والزنادقة . ثم قال : وكنت اسمع عنه بالعظائم ، حتى رايت ما لم يخطر على قلب ان يقوله عاقل . [ص ٢٥٣] وذكر « ابن الجوزي » (٥) انه وقعت له كتبه . ونقل عن الجبائي ان ابن الريوندي (كما يسميه) وضع كتابا في قدم العالم ونفي الصانع وتصحيح مذهب الدهر والرد على مذهب اهل التوحيد ، وكتابا في الطعن على محمد — صلى الله عليه وسلم — .

وقال ابو العلاء المعري (في رسالة الغفران) (٦) : سمعت من يخبر ان لابن الراوندي معاشر (٧) يخترصون (٨) له فضائل يشهد الخالق واهل المعقول ان كذبها غير مصقول ، وهو في هذا احد الكفرة ، لا يحسب من الكرام البررة .

ونعته ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة بالقطب الراوندي (٩) .

---

(٣) يراجع نص لسان الميزان ، ايضا ، نفس الكتاب ص ٢٢٠ .

(٤) يراجع نص المنتظم ، ايضا ، نفس الكتاب ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ — ١٥٧ .

(٥) ليست في الاصل .

(٦) يراجع النص ، في كتابنا السابق ص ١١٣ — ١١٤ . ولاحظ تعليقنا على هذا التصريح هناك ، فهو مفتعل ولا يمت الى الحقيقة بشيء .

(٧) اغفل الزركلي ذكر بعض النص ، فبعد « مباشر » تذكر ان اللاهوت سكنه ، وانه من علم مكنه ...

(٨) في الاصل : يختترصون ، والتصويب عن نص الغفران .

(٩) استدرك الزركلي على هذه الجملة في الجزء ١٠ ، ط . القاهرة ١٣٧٨/١٩٥٩ ، ص ٣٤ س ٤ — ٨ ، فقال : « تحذف من ترجمته الجملة التي هي (ونعته ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة بالقطب الراوندي) ، وذلك لاحتمال ان يكون ابن ابي الحديد عنى (سعيد بن هبة الله) الملقب (قطب الدين الراوندي) وله كتاب في شرح نهج البلاغة » . كذلك تراجع اطروحتي :: Ibn ar-Rîwandî. p. 73, note: فابن الريوندي والقطب الراوندي شخصيتان مختلفتان عند ابن ابي الحديد .

وعرفه ابن تغري بردي (١٠) بالماجن المنسوب الى الهزل والزندقة .

وتناقل مترجموه ان له نحو ١١٤ كتابا ، منها : فضيحة المعتزلة ، والتاج ، والزمرد ، ونعت الحكمة ، وقضيب الذهب ، والدامغ المتقدم ذكره ، وان كتبه التي ألفها في الطعن على الشريعة اثنا عشر كتابا . ولجماعة من العلماء ردود عليه، نشر منها كتاب الانتصار لابن الخياط (١١). وفي المؤرخين من يجزم بأنه عاش ٣٦ سنة « مع ما انتهى اليه من المخازي » كما في المنتظم لابن الجوزي . (١٢) ومن فرق المعتزلة « الراوندية » نسبة اليه (١٣) . مات برحبة مالك بن طوق (بين الرقة وبغداد) ، وقيل : صلبه أحد سلاطين بغداد (١٤) .

---

(١٠) يراجع نص النجوم الزاهرة ، في « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ٢٢٢ .

(١١) ط . الاستاذ (H. S. Nyberg) القاهرة ١٩٢٥ .

(١٢) يقارن النص ، في كتابنا السابق ، ص ١٦٦ .

(١٣) هذا غلط مبين ، فليس هناك علاقة بين الراوندية وابن الريوندي من جهة ، وان الراوندية انما كانت فرقة فارسية المنحى تشيعت لبني العباس ، وكان زعيمها يعرف بابي هريرة عبد الله الراوندي ، تراجع اطروحتي **Ibidem**, p. 72, note كذلك يلاحظ تعليقنا على نص الافندي من رياض العلماء ، في « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ص ٢٤٧ .

(١٤) كذا (!) ، وعبارة ابن كثير (يراجع النص ، في كتابنا السابق) : ويقال : انه اخذ وصلب ، اما ابن تغري بردي (يراجع النص ، في كتابنا السابق) فيصرح : ما تؤايد لعره صلبه بعض السلاطين . ولم نعثر على ان الذي صلبه انما كان من سلاطين بغداد (!)

(١٦/٣٤)

القمي ، الشيخ عباس :

ـ الكنى والالقاب ،

النجف ١٣٧٦/١٩٥٦ ،

٢٨٣/١ .

ابــن الراونــدي

ابو الحسين احمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي ، البغدادي ، العالم المقدم المشهور . له مقالة في علم الكلام ، وله مجالس ومناظرات مـع جماعة من علماء الكلام . وله من الكتب المصنفة نحو من مائة واربعة عشر كتابـا . وكان عند الجمهور يرمى بالزندقة والالحاد .

وفي (روضات الجنات) (١) وعن ابن شهراشوب في كتابه « المعالم »: ان ابن الراوندي هذا مطعون عليه جدا . ولكنه ذكر السيد الاجل المرتضى في كتابه « الشافي في الإمامة » انه انما عمل الكتب التي قد شنع بها عليـه مغالطة للمعتزلة ليبين لهم عن استقصاء نقصانها . وكان يتبرأ منهـا تبـرا ظاهرا ، وينتحي من علمها وتصنيفها الى غيره .

وله كتب سداد مثـل كتـاب الامـامـة والعـروس . ثـم ساق

---

(١) في الاصل (ضا) ، وهو رمز روضات الجنات للخوانساري .

(الخوانساري) (٢) الكلام في ترجمته ، وفي آخره ان صاحب « رياض العلماء » قال : ظني ان السيد المرتضى نص على تشيعه وحسن عقيدته في مطاوي « الشافي » ، او غيره ، انتهى .

توفي سنة ٢٤٥ (رمه) . وراوند ، بفتح الواو وسكون النون ، قرية من قرى قاسان ، وفي القاموس : راوند موضع بنواحي اصبهان ، واحمد بن يحيى الراوندي من أهل مرو الروذ . انتهى .

قال ابن خلكان في ترجمة ابي الحسين احمد بن يحيى الراوندي المذكور : راوند قرية من قرى قاسان بنواحي اصبهان . وراوند ايضا ناحية ظاهرة بنيسابور (٣) .

---

(٢) في الاصل (ضا) .

(٣) ويروي القصة الرجلين من بني اسد مع الدهقان بحسب رواية ابن خلكان ، فراجع الاخير في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ١٩٢ .

(١٧/٣٥)

كحالة ، عمر رضا :

ـ معجم المؤلفين ،

ط . دمشق ١٩٥٧/١٣٧٦ ،

جـ ٢ ص ٢٠٠ عمود ١ ـ ٢ .

احمد الراوندي (٢٠٥ ـ ٢٩٨ هـ) (١)
(٨٢٠ ـ ٩١٠ م)

احمد بن يحيى بن اسحاق البغدادي ، المعروف بالراوندي (٢) ، (أبو الحسين) ، عالم متكلم ، وصف بالالحاد والكفر والزندقة . توفي برحبة مالك بن طوق الثعلبي ، وقيل ببغداد ، وتقدير عمره اربعون سنة (٣) . له من الكتب المصنفة نحو من مائة واربعة عشر كتابا ، منها : فضيحة المعتزلة ، التاج ، الزمرد ، قضيب الذهب ، ونعت الحكمة .

---

(١) في الهامش : « سير النبلاء ، والمنتظم . وفي الوفيات ، والمروج ٢٤٥ ، وقيل في ولادته ووفاته غير ذلك » .

(٢) في الهامش : « وفي رواية : الريوندي » .

(٣) في الهامش : « الوفيات » ، يراجع نص ابن خلكان ، في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

(١٨/٣٦)

السبيتي ، الشيخ موسى :

ـ المحاكمة بين الخياط وابن الراوندي ،

مجلة النشاط الثقافي ، السنة الاولى ، العدد ٨ (١٩٥٨) (★) .

[ص ٤٤٣]

لم تؤخذ الفلسفة عند المسلمين شكلا له أطرافه وحدوده وهيئتـه ، ولم تسلك نهجا له أعلامه ودلائله ، وله منحنياته ومنعطفاته ، كما رأيناهـا سلكت عنداليونان ، وسلكت في العصر الحديث ، لذلك لم تتكون لها فـي اول الامر فئة تناصرها ، وتوقف حياتها على البحث في قضاياها ومشاكلها ، وتحاول ازاحة الستار عن رموزها وخفاياها ، انما بحثت قضاياها فـي أجواء دينية ، ونزعات مذهبية وفرق اسلامية ، الى ان جاء عهد آلفارابـي وأبي علي واخوان الصفا عند ذلك عرفت الفلسفة مستقلة بنفسها ، وعرف لها رجال أوفياء مخلصون واتباع متحمسون .

لا نحاول ان نجحد للفكر العربي نشاطه وقوتـه ، ولا نشوه وجهـا جميلا ، كان ظاهرا ظهورا بينا في تاريخ الفكر العربي ، وكما اننا في قيـم الاشياء والافكار التي نحيا في عصرها ، ولا تستحوذ عـلى قلوبنـا الدهشة للابهة والجلال لمن يتحلى بها ، كذلك لا يجمل بنا الغلـو في تقديـر الآراء

(★) مع ان الفقرة الاخيرة من هذا المقال هي التي تعنينا في هذا المجمع ، الا اننا ادرجناه برمته لنري القارىء الاسلوب العقيم الذي بحث فيه ابن الريوندي في بعض المراجع الحديثة (!) .

والافكار والمعتقدات والنظم التي أسسها قوم سابقون ، وكما ابتعدنا عن الغلو في التقدير والاعجاب . فأجدر بنا ان نبتعد كثيرا عن المهاجمة والتجريح والنقد لآراء اناس مضوا وتركوا لنا تراثا خالدا ، واذا وجدنا اهم خطأ او ما يقاربه ، فعلينا ان نفسح لهم العذر في صدورنا فالعصمة ليست موجودة على الارض لعالم او فيلسوف او مفكر ، كما ان الفارق الزماني والمكاني له مكانه الملحوظ ، والاوضاع السائدة في المجتمع من سياسة وعرف ومعتقد وتقليد لها مكانتها في نفوس المفكرين .

[ص ٤٤٤]

وعلى هذه الخطة المرسومة ينبغي ان نمشي ، وبهذه السيرة ينبغي ان نسير ، رائدنا الاخلاص للحق وتحري وجوه الصواب ، على قدر ما تساعدنا قوانا ، وتسعفنا امكانياتنا ، نبذل الوسع في كشف الحجاب عن محيا الحق الجميل ، الذي يهيم به ويعبده كل امرىء له مسكة من عقل ، ودربة في تأمل ، وشغف في كمال ، وذوق في جمال .

حظ البداوة من الفلسفة قليل ، بساطة المعيشة ، وسذاجة القوى العقلية ، وقلة الوسائل الاقتصادية ، وقلة الحاجة الماسة الى تنظيم الحياة الاجتماعية مدنيا او سياسيا ، والمصالح قلما تكون متقاطعة متنافرة، لكي يحتاج الى وضع قانون يقدر الحقوق ويصونها .

اول شعاع انبثق من اشعة الفلسفة ليس له موطن خاص ، بل وجد حيث يوجد الانسان في شرق الارض وغربها ، نعم يختلف بالقوة والضعف ، والاندفاع والفتور ، لذلك كان للفلسفة سبل كثيرة ، فعند اليونان الدهشة اول باعث على الفلسفة ، ومنه انبثق شعاع الفلسفة في اليونان ، وعند آخرين حب الخير . وعند آخرين حب الخلود ومقت الفناء . وعند طائفة قليلة غريزة الاستطلاع . هذه الاسباب مجتمعة او متفرقة اول مصادر الاشعاع الفلسفي ، فالانسان في هذه المواقف ظامىء متعطش لدرك حقائق الامور ، فطفق يسأل ويبحث ويفتش ، ويضع الفروض ، ويقيس الامور ، ويقارنها بعقلية واهنة ، ارواء لظماه الى المعرفة ، وتهدئة للنفس اللجوج في محاولة اكتناه الاسباب الخفية المستورة وراء الحوادث الواقعة .

والفكر العربي لم يكن باعثه الدهشة على مزاولة الفلسفة ، ومناجاة احلامها ، ولا يحدثنا التاريخ بنظر استقلالي في معالجـة مواضيع العقـل البشري وجد قائما بنفسه قبل انتشار ضوء الدين الاسلامي في الجزيرة . وان أقصى ما يقف عليه الباحث نظرات بسيطة وتأملات فجائية وثابة مـن موضوع لآخر ، من دون اعتماد على برهان ، وركون الى سبب ينتقل الفكر منه الى المسبب .

بعثة الرسول الكريم والقرآن الشريف أخذا من النفس العربية مأخذا كبيرا ، فتصرفا بالقلوب ، ولعبا بالاهواء ، لما كان في شخص النبي الكريم من مزايا نقرأ سطورها اللامعة في وجهه الاغر ، فأول نظرة تقـر العربـي ان يقول : ما هذا الوجه بوجه كذاب . ولما في القرآن العظيم : مـن تنبيه وارشاد وتوجيه ودعوة الى التأمل ، وتحريض على التفكر وجدت عنـد العرب يقظة فكرية ، وحبا للبحث ، وشغفا بالنظر والاعتبار ، واما الذيـن [ص ٤٤٥] لهم عيون لا تبصر، وآذان لا تسمع، وقلوب لا تعقل، فهم كالانعام قد ذراهم لجهنم سواء كانوا انسا أم جنا ، حيث ان الكون حافل بالعجائب الباهرة ، والدلائل الواضحة والآيات الناطقة ، التي تكفي العقل السليم ، في الاستنتاج والتأمل ، الذي ينتهي به لا محالة الى الوقوف على الصواب في المعتقد ، واختيار الاحسن من المثل العليا ، والاكثر ملائمـة لنفسه ، وجسمه ، ومحيطه ، فيصلح نفسه ويحرسها من الشك ، الـذي يزعزع العقيدة ويهدم الراحة ويسلب الطمأنينـة ، ويهـذب السلوك العملـي للانسان ، فتتغير في نفسه قيم الاخلاق ، واثمـان الفضائل ، ويستحيل النظر الى الحياة فيتبين ذميما ما كان جماله باهرا وتافها محقرا مـا كـان عزيزا غاليا ، نموذج القرآن : « ان في خلـق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابـة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » هـل هناك تحريض ؟ أعظم من قوله : « آيات لقوم يعقلون » فهذه الآية ونظائرها نبهت قوى الفكر العربي آن يشحذ ملكاته ويمرن عقله على النظر ، ويقـوم بالمهمة التي خلقه الله لاجلها فينظر ويتأمل ويلاحظ ويبرهن .

لذلك كانت مسائل الفلسفة التـي اثيرت اول امرهـا في الاوساط الاسلامية كانت جذوتها مقتبسة من القرآن وحده . بل هو الذي حـدا

المسلمين الى التأمل في ما هتف به من حقيقة ، وقرر من نظام ، وسن من شرائع وبعد ذلك شب الضرام وطغى سيل الجدل طغيانا كبيرا ذهب بحياة اقوام ، وقضى على جماعات ، وقلب كثيرا من السلطات ، وذهبت الامة فرقا متنافسة ، واحزابا متزاحمة على النفوذ في محافل السياسة ، ومعاهد الادب ومجامع العلم وشعائر العبادة ، وكانت الامور متراوحة بين نصر وهزيمة وضعف وقوة .

وفي عهد المأمون الى الواثق فكان سيطرت المعتزلة سيطرة عامة ، الجدل مستفيضا بين المعتزلة وخصومهم في مسائل سنتعرض لها مفصلا في اثناء هذه المحاكمة التي وضح الحق وتؤيده وفي قيام المتوكل قعد الاعتزال ثم اخذ يتقلص ظله تدريجا فصار همسا في السر بعدما كان هتافا في انعلانية ، واصبح منكرا يأباه اولو الكرامة بعدما كان معروفا بحسب حلية الفاضل وزينة المهذب ، واخذ مذهب الاشاعرة يقوى وينتشر حتى بسط نفوذه على سائر طبقات الامة ما عدا طائفة من المنقطعين للعلم والادب فقد كانوا موزعين بين معتزلة وشيعة ومتصوفة الى ايام قيام دولة الديالمة فنشط التشيع وانتشر أنتشارا قويا ثم تضاءل وانحط بقيام [ص ٤٤٦] السلاجقة وهكذا كانت تحيا مذاهب وتقوم على انقاض مذاهب عمرت حينا ثم توارت عن مسرح الحياة العامة .

ومن الكتب التي ابانت لنا صور تفكيرهم الفلسفي تحت طلاء من الدين كتاب الانتصار لابي الحسين الخياط ومنذ وقع تحت يدي اغرمت به وتصفحت مقاصده واغراضه فوجدت ان ابن الراوندي قد وضع كتابا يتضمن جميع ما للمعتزلة من زلل في الراي وخطأ في النظر وتقصير في الإستنتاج والكتاب وضعه ابن الراوندي بهذا الباعث السيء والفرض الدنيء ، ليهاجم المعتزلة ويبحث عن هفواتهم ويفتش عن مثالبهم ، فكتابته ليس فيها شيء من نزاهة وابو الحسين الخياط كتب كتابه بدافع لا يبعد كثيرا عن باعث ابن الراوندي ، نعم يختلف الموقف فابو الحسين موقفه موقف دفاع وابن الراوندي وقف مهاجما ، وان كان ابو حسين هاجم جماعة آخرين ليسوا من المعتزلة وانما ذنبهم ان ابن الراوندي ناصرهم حينا من الزمن لا عن اخلاص ، بل لانه يريد أن يهاجم فهو يرضى عمن يسخط عليه المعتزلة ، ويناصر وينضم الى صفوف من يحارب المعتزلة .

(١٩/٣٧)

نعمة ، الشيخ عبد الله :

ـ هشام بن الحكم ، استاذ القرن الثاني في الكلام والمناظرة ،

بيروت (٩٠) ١٩٥٩/١٣٧٨ .

(١)

[ص ٦١]

[في الحديث عن هشام بن الحكم]

ونحن لا نعرف شيئا عن آرائه في الاصول ، نعم وردت عنه بعض آراء مجملة لا يختلف عما يقوله جمهور الإصوليين الشيعة . فقد ورد عنه انه كان يقول ان التواتر موجب للعلم ولو كان حاصلا من الكفار ، كما اشار الى ذلك ابن الخياط المعتزلي قال :

« ثم ان الماجن (ويقصد به ابن الراوندي) قال : فان قال السفهاء من البغداديين : الشيعة لا تزعم ان مجيء خبر المتواترين موجب للعلم قال: قلنا لهم : ليس كلهم يقول هذا ، هذا هشام بن الحكم يزعم ان مجيء خبر المتواترين موجب للعلم ولو كانوا كفاراً » (١) .

---

(١) كتاب الانتصار [للخياط] ، ص ١٥٨ .

(٢)

[ص ١٧٤]

[في الحديث عن حقيقة الأنسان]

ويذهب ابن المعتمر الى انه جسد وروح ، وهما جميعا انسان ، والفعال هو الانسان الذي هو جسد وروح (٢) . ويرى معمر العطار انه جزء لا يتجزأ والبدن آلة ، يحرك البدن ويصرفه [ص ١٧٥] ولا يماسه(٣)، وهو موافق لقول (ابن الراوندي) في انه جزء لا يتجزأ في القلب (٤) .

وبعضهم يذهب الى ان الانسان هو الروح ، ولكنه يفسره تفسيرا ماديا بانه جوهر مركب من بخارية الاخلاط ولطيفها ، مسكنه الاعضاء الرئيسية التي هي القلب والدماغ (٥) ، وهو قريب من قول ابن العطار (٦) وابن الريوندي بل هو نفسه ، وربما كان هو الذي يريده النظام .

---

(٢) مقالات [الاسلاميين للاشعري] ، ص ٣٢٩ .

(٣) في الاصل المطبوع (لا ولا يماسه) وحذفت (لا) الاولى .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

(٥) كشف الفوائد ص ٨٩ ، واوائل المقالات ص ٩٠ .

(٦) الرواية عن معمر العطار ، قبل ، وابن العطار ، الآن ، تدل على الاضطراب ، فهل قصد الشيخ نعمة (معمر بن عباد) و (ابن عباد) ؟

(٢٠/٣٨)

الهاشمي ، احمـد :

ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،

ط . القاهرة ١٣٧٩/١٩٦٠ .

[ص ١٢٩]

[في ذكر ان يؤتى اسم الاشارة كمسند اليه ، يذكر المؤلف الحالـة الثالثـة] :

... اظهار الاستغراب ، كقول الشاعر (★) :

كـم عاقل عاقـل أعيـت مذاهبـه
وجاهل جاهـل تلقـاه مرزوقـا

هـذا الـذي تـرك الأوهـام حائـرة
وصـير العالـم النحريـر زنديقـا

(★) يقارن بحثنا « الشعر المنسوب الى ابن الريوندي » في آخر نصوص المراجـع الحديثة في هذا الكتاب ، فالبيتان منسوبان على الاكثر الى ابن الريوندي .

(٢١/٣٩)

توتل ، فردناند :

ـ المنجد في اللغة والعلوم ،

بيروت ١٩٦٠ ،

ص ٢١٢ ، عمود ١ .

[مادة الراوندي]

الراوندي (ابن ـ ابو الحسين) عاش في القرن ١٠ (★) . كان من المعتزلة ، ثم نبذ تعليمهم . كتب ضد الاسلام والاديان المنزلة . من مؤلفاته كتاب « فضيحة المعتزلة » وكتاب « الزمرد » .

(★) ليس ابن الريوندي من رجال القرن العاشر الميلادي (= الرابع الهجري) ، فلقد عاش بين ٢٠٥ ـ ٢٤٥ هـ / ٨٢٠ ـ ٨٦٠ م . انظر كتابنا

Ibn ar-Riwandi, ch. i, sec. 4

اما الراي الاخر الذي رفضناه بخصوص تاخير وفاة ابن الريوندي الى نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) فهو ايضا لا يذهب انه عاش في القرن العاشر الميلادي !!

(٢٢/٤٠)

الهاشم ، جوزف :
ــ الفارابي ،
منشورات دار الشرق الجديد ،
بيروت ١٩٦٠ .

(١)

[ص ٦]

واشتدت وطأة التطرف الفكري فراح الراوندي (١) ينكر النبوة والمعجزات ويعتبر ان الهداية للعقل دون غيره . ووافقه ابو بكر الرازي (٢) « طبيب المسلمين غير مدافع » كما يدعوه صاعد الاندلسي ، فأخذ على الديانات اختلافها حتى التناقض . وقال بأزلية المبادىء الكونية كالزمان المكان والنفس والهيولى ، نافيا بذلك وحدانية الله . وهزىء من النبوة والمعجزات في كتابيه : نقض الاديان ــ مخاريق الانبياء او حيل المتنبئين . واعتبر ان سبيل الصلاح والاصلاح انما هو العقل والفلسفة .

---

(١) ابو الحسين ابن (= بن) الراوندي (القرن العاشر) (كذا !) كان من المعتزلة فنبذ تعاليمهم ــ اشهر كتبه : الزمردة .

(٢) ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ، يلقب بجالينوس العرب (٨٦٤ ــ ٩٣٢) .

وسيتردد صدى كثير من هذه الآراء في ديوان ابي العلاء المعـري (٣) بعد ذاك ، يدعو الى امامة العقل .

(٢)

[ص ٢٠]

و [للفارابي] بالاضافة الى هذا كتب كثيرة جلها مفقود . وقد عددها القفطي وابن ابي اصيبعة ، فأربت على المئة . منها : [ص ٢١] ... ـ الرد على ابن الراوندي فيأدب الجدل .

(٣)

[ص ١٣٨]

وقد بلغت هذه الموجة من الالحاد ذروتها في عهد ابي نصر مع اثنين من مشاهير الفكر خاصة : أحمد الراوندي ، ومحمد الرازي الطبيب . فقـد ذهب الراوندي في كتابه « الزمردة » الى انكـار النبوة والرسالة والوحي والمعجزات ، رافضا ذلك بكثير من النقد والتهكم ، معتبرا ان الهداية للعقل لا لغيره ، وما في النبوة اما ان يكون موافقا للعقل ، وفي العقل عنـه غنـى . واما ان يكون مخالفا له ويجب ان يرذل . امـا بلاغـة القرآن واعجازه « فليست بالامر الخارق العادة ، لانه لا يمتنع ان تكون قبيلة مـن العرب افصح من القبائل كلها ، ويكون في هذه القبيلة طائفة افصح مـمن البقية ، ويكون في هذه الطائفة واحد هو افصحها » .

وعرض الطبيب الكبير ، ابو بكر الرازي ، لنظرية العقل والنقل ، فانكر على الفلاسفة محاولتهم التوفيق بين الفلسفـة [ص ١٣٩] والدين لانهمـا لا يلتقيان : فالاديان باختلافها تؤدي الى التنافر والحروب ، بينما الفلسفة وحدها تقود الى صلاح الفرد والمجتمع . وقد خص الرازي نظريـة النبوة ورسالة الانبياء ومعجزاتهم بكتابين وصما بالكفر والالحاد : مخاريق الانبياء او حيل المتنبئين ونقض الأديان او في النبوات .

---

(٣) ابو العلاء المعري . أحمد بن عبـد الله (٩٧٣ ـ ١٠٥٧) اشهـر كتبـه اللزوميـات ورسالة الغفران .

(٢٣/٤١)

مكارثي ، الاب رتشرد يوسف :
ـ التصانيف المنسوبة الى فيلسوف العرب ،
بغداد ١٣٨٢/١٩٦٢ .

[ص ٤٨]

[من مؤلفات الكندي برقم ٢٨٨] : كلام لـــه مـــع ابن الراوندي في التوحيد .

عيون ١٨٥ (١) . وهـــو ابو الحسين احمـــد بـــن يحيى بن اسحاق الروندي (٢) (أو الراوندي) ـ راجع « كتاب الانتصار » ، ط. نيبـــرج ، ١٣٤٤/١٩٢٥ ، ص ٢٥ وما يليها .

---

(١) اي : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، نشرة الاستاذ Müller ، القاهـرة ـ كوتنجن ، ١٢٩٩/١٨٨٢ ، ٢١٢/١ ، قارن كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحـد » ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٨٧ .

(٢) تفضيل استاذنا الاب مكارثي MacCarthy لقراءة (الروندي) متابعة واضحة للاستاذ نيبرك Nyberg في مقدمته لكتاب الانتصار المذكور قبل، ص ٧٥ وما يلي .

(٢٤/٤٢)

فروخ ، الدكتور عمر :

ـ صفحات من حياة الكندي وفلسفته ،

بيروت ١٩٦٢ .

[ص ٥٦]

[في الحديث عن مؤلفات الكندي (١) له] : كلام لـه مع ابن الراوندي في التوحيد . (٢)

(١) قارن مؤلفات الكندي قبل ، ص ١٦٢ ، وايضا في كتاب الاستاذ مكارثي MacCarthy الموسوم « التصانيف المنسوبة الى فيلسوف العرب » ، بغداد ١٩٦٢/١٣٨٣ ، ص ٤٨ رقم ٢٨٨ .

(٢) قارن ايضا محمد بحر العلوم ، الكندي ـ الرائد الاول للفلسفة الاسلامية ومفخرة الفكر العربي ، النجف ١٩٦٢/١٣٨٢ ، ص ١٥٢ برقم ٢٩ .

(٢٥/٤٣)

الخاقاني ، الشيخ علي :
ـ شعراء بغداد ،
الجزء الثاني ،
بغـــداد ١٩٦٢ .

[ص ٧١]

احمد بن يحيى الراوندي
المتولد ٢٠٥ هـ والمتوفى ٢٩٨ هـ

هو ابو الحسين احمد بن يحيى بن محمد بـــن اسحاق الراونــدي البغدادي ، المعتزلي . المعروف بابن الراوندي ، من مشاهير علماء عصره .

ولد في راوند (★) عام ٢٠٥ هـ ونشأ بها وهاجر الى بغداد فسكنها . ذكر في معظم الكتب والاعلام منها ما جاء في تكملة فهرست ابن النديم عـــن ابي القاسم البلخي المعتزلي في كتاب (محاسن خراسان) فقال : لم يكن في

(★) راوند : قرية من قرى قاشان بنواحي اصبهان ، بناهـا راونـد الاكبر ابن الضحاك بيو راسب .

[ص ٧٢] نظرائه في زمنه أحذق منه بالكلام ولا اعرف بدقيقه وجليله .

وذكره السيد الامين في الاعيان ج ١٠ ص ٣٣٩ وعدد كثيرا من اقوال العلماء فيه فقال : بعد تعريف البلخي له . وهذه شهادة من آبي القاسم البلخي وهو من شيوخ المعتزلة ، وعداوة المعتزلة لابن الراوندي معروفة بسبب انه كان منهم ، ثم اظهر مذهب الشيعة خصومهم ، والف في الرد على المعتزلة وهجن مذهبهم . وكان معاصرا لابي عيسى الوراق ، وعلى قول ابي الحسين الخياط انه كان من تلامذة ابي عيسى .

وفي رياض العلماء في ابي عيسى الوراق محمد بن هارون قال بعض اهل السنة في كتابه : ان دعوى النص الجلي على خلافة علي مما وضعه هشام بن الحكم ونصره ابن الراوندي وابو عيسى الوراق .

وفي موضع آخر من الرياض : كان ابن الراوندي بزعم العامة اول من ابدع القول بالنص الجلي على امامة علي عليه السلام ، ونقل الرواية عليه .

وكان ابن الراوندي من المتكلمين المعروفين ، وكان في أول امره من المعتزلة والف كتبا على طريقة المعتزلة وتقرير عقائدهم ، ثم اظهر مذهب الشيعة الامامية والف كتبا على طريقتهم ككتاب الامامة وغيره ، وكتاب معجزات الائمة ، واجاد في تأليف تلك الكتب وجمع فيها من الادلة وآراء الكلاميين لتأييد عقيدة الشيعة خصوصا في مسألة ما كان للشيعة منه مأخذ كبير في تلك الايام ، والف كتبا في آلرد على المعتزلة ككتاب فضيحة المعتزلة وغيره . ولما كان عارفا بآرائهم على الوجه الإكمل لانه كان منهم مؤلفا وكاتبا مجيداً جاءت كتبه في ذلك في نهاية الجودة .

واستمر السيد الامين يتحدث عنه بقوله : ونسبت اليه كتب نسب بسببها الى الالحاد ورد عليها جماعة ، ونقض هو بعضها ، واعتذر السيد المرتضى عنها . ونقضه لها اما لانه اول الأمر لم يكن معتقدا بها ، او ظهر له فسادها ، او تاب منها ، وربما يؤيد حكاية البلخي فيما سبق عن جماعة انه تاب عند موته مما كان منه ، وزاد في تحامل من تحامل عليه من المعتزلة وبعض الاشاعرة نصرته مذهب الشيعة بعدما كان من المعتزلة ، فنسب الى

الإلحاد والزندقة ، ووجد خصومه ما يقوي دعواهم ويعضدها من الكتب المنسوبة اليه والله [ص ٧٣] أعلم بحقيقة أمره .

وعلماء الشيعة مختلفون في أمره ، والذي دافع عنه في قبال المعتزلة هو السيد المرتضى . اما ابن شهراشوب فقال : انه مطعون فيه . والف ابو محسن [= محمد] الحسن بن موسى النوبختي ، وخاله ابو سهل اسماعيل بن علي كتبا في نقض بعض مقالات ابن الراوندي وأشار المرتضى في الشافي في باب الامامة الى نقض بعض أدلة ابن الراوندي .

واستمر السيد الامين في الدفاع عنه مستمدا ذلك من راي الشريف المرتضى بقوله :

اما ان سبب تركه لمذهب المعتزلة ، واظهاره الاعتقاد بمذهب الشيعة وتأليفه لنصرة مذهبهم ، هو طرد المعتزلة له فأراد ارغامهم بنصره مذهب الشيعة ، فلم يأت الا من جهة المعتزلة كأبي القاسم البلخي وابي الحسين الخياط وغيرهما ، وقولهم في حقه غير مقبول ، فان الخصومة والعداوة تمنع قبول الشهادة ، وظاهر حاله ان رده عليهم ، وتأييده مذهب الشيعة ناشىء عن عقيدة ، على ان قولهم هذا ناشىء عن الظن والتخمين . والاطلاع على السرائر متعذر لغير علام الغيوب . واما الكتب المنسوبة اليه فيأتي عن المرتضى العذر عنها وانه كان يتبرا منها براء ظاهرا ، وان جلها قد نقضه على نفسه ، وقد سمعت نقل البلخي عن جماعة أنه تاب منها عند موته . وقد شنع المعتزلة على ابن الراوندي كثيرا منهم القاضي عبد الجبار ابن احمد الاسدآبادي الهمداني صاحب كتاب المغني الذي صنف السيد المرتضى كتاب (الشافي) للرد عليه ، فانه قال في مقام الرد على الشيعة في كتابه المذكور على ما حكاه عنه المرتضى في الشافي ص ١٣ قال حاكيا عن شيخه ابي علي الجبائي : ان أكثر من نصر هذا المذهب كان قصده الطعن في الدين والاسلام ، فجعل هذه الطريقة سلما الى مراده، نحو هشام بن الحكم وطبقته ، ونحو ابي عيسى الوراق ، وابي حفص الحداد ، وابن الراوندي ، وبيّن شيخنا ابو علي انهم تجاوزوا ذلك الى ابطال التوحيد والعدل ــ الى ان قال : واما حال ابن الراوندي في نصرة الالحاد وانه كان يقصد بسائر ما يؤلفه الى التشكيك فظاهر ، وربما كان يؤلف لضرب من الشهرة والمنفعة .

[ص ٧٤]

قال المرتضى : ونحن مبينون عما في كلامه من الخطأ والتحامل ـ الى ان قال : فأما ابن الراوندي فقد قيل انه انما عمل الكتب التي شنع بهـا عليه معارضة للمعتزلة وتحديا لهم لان القوم كانـوا أساءوا عشرتـه ، واستقصوا معرته فحمل ذلك على اظهار هذه الكتب عجزهم عـن استقصاء نقضها وتحاملهم عليه في رميه بقصور الفهم والغفلة ، وقـد كان يتبرأ منهـا تبرء ظاهرا ، وينتفي من عملها ويضيفها الى غيره ، وليس يشك في خطئـه بتاليفها ، سواء اعتقدها أم لم يعتقدها ، وما صنع ابن الراوندي من ذلـك الا ما قد صنع الجاحظ مثله او قريبا منه . ومن جمع بين كتبه التي هـي (العثمانية) و (المروانية) و (الفتيا) و (العباسيـة) و (الاماميـة) وكتاب (الرافضة) والزيدية ، راى من التضاد واختلاف القول ما يدل على شك عظيم ، والحاد شديد ، وقلة تفكير في الدين . اقول : وذلـك لان كتاب العباسية في تأييد الشيعة الراوندية ونصرة بني العباس وان الامامة فيهم ، وكتاب العثمانية في نصرة شيعة عثمان وانكار فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكتاب المروانية في نصرة آل مروان والدفاع عن امامة بني اميـة وعداوة علي بن ابي طالب ، وكذا باقي كتبه ، وفي ذلك من التناقض مـا لا يخفـى .

قال المرتضى : وليس لاحد ان يقول ان الجاحظ لم يكن معتقداً لمـا في هذه الكتب المختلفة وانما حكى مقالات الناس وحجاجهم ، وليس عـلى الحاكي جريرة ولا يلزمه تبعة لأن هذا القول ان قنع به الخصوم فليقنعوا بمثله في الاعتذار عن ابن الراوندي فانه لم يقل في كتبه هذه التي شنع بها عليـه انني اعتقد المذاهب التي حكيتها واذهب الى صحتها ، بل كان يقول قالـت الدهرية ، وقال الموحدون ، وقالت البراهمة ، وقال مثبتو الرسل . فـان زالت التبعة عن الجاحظ في سب الصحابة والائمـة والشهادة عليهـم بالضلال والمروق عن الدين باخراج كلامه مخرج الحكاية ، فلتزولن أيضـا التبعة عن ابن الراوندي بمثل ذلك ، وبعد فليس يخفى كلام مـن قصـده الحكاية ، وذكر المقالة من كلام المشيد لها ، الجاهـد نفسه في تصحيحها وترتيبها ، ومن وقف على كتب الجاحظ التـي ذكرناها علم ان قصده لـم يمكن الحكاية ، وكيف يقصد الى ذلك من اورد من الشبه والطرق ما لـم يخطر كثيرا منه ببال اهل المقالة [ص ٧٥] التي شرع في حكايتها، وليس يخفى

على المنصفين ما ورد في هذه الامور. قال: واما ابو حفص الحداد فلسنا ندري من اي وجه ادخل في جملة الشيعة لانا لا نعرفه منهم ، ولا منتسبا اليهم ، ولا وجد له قط كلام في الامامة وحجاج عنها .

وذكره الصفدي في الوافي فقال : كان من متكلمي المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحدا زنديقا ، وهو من اهل مرو الروذ سكن بغداد .

قال القاضي ابو علي التنوخي : كان ابو الحسين بن الراوندي يلازم أهل الالحاد فاذا عوتب في ذلك قال : انما اريد ان اعرف مذاهبهم ، ثم انه كاشف وناظر ، ويقال : ان اباه كان يهوديا فأسلم ، وكان بعض اليهود يقول للمسلمين لا يفسدن عليكم هذا كتابكم كما أفسد ابوه التوراة علينا . ويقال : ان ابا الحسين قال لليهود قولوا : ان موسى قال لا نبي بعدي .

وذكر ابو العباس احمد الطبري : ان ابن الراوندي كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على انتحال حتى يتنقل حالا بعد حال حتى صنف لليهود كتاب (البصيرة) ردا على الأسلام لاربعمائة درهم فيما بلغني أخذها من يهود سامراء ، فلما قبض على المال رام نقضها حتى اعطوه مائتي درهم فامسك عن النقض .

وقال محمد بن اسحاق النديم : قال البلخي في كتاب محاسن خراسان : ابو الحسين احمد بن الراوندي من أهل مرو الروذ من المتكلمين، ولم يكن في زمانه في نظرائه احذق منه بالكلام ، ولا اعرف بدقيقه وجليله منه ، وكان في اول أمره حسن السيرة ، جميل المذهب ، كثير الحياء ، ثم انسلخ من ذلك كله لأسباب عرضت له ، ولان علمه كان اكثر من عقله فكان مثله كما قال الشاعر :

ومن يطيق مزكى عند صبوته ومن يقوم لمستور اذا خلعا

قال : وحكي عن جماعة انه تاب عند موته مما كان منه ، واظهر الندم ، واعترف بأنه انما صار اليه حمية وانفة من جفاء اصحابه وتنحيتهم اياه من مجالسهم ، واكثر كتبه الكفريات الفها لابي عيسى اليهودي الاهوازي ، وفي منزل هذا الرجل توفي .

[ص ٧٦]

ومما الفه من الكتب (١) التاج : يحتج فيه بقدم العالم(٢) الزمردة: يحتج فيه على الرسل وابطال الرسالة (٣) نعت الحكمة : يسفه به الله تعالى في تكليف خلقه ما لا يطيقون من امره ونهيه (٤) الدامغ : يطعن فيه على نظم القرآن (٥) قضيب الذهب : يثبت فيه ان علم الله تعالى بالاشياء محدث وانه كان غير عالم حتى خلق واحدث لنفسه علما (٦) الفريد : طعن فيه على النبي (ص) (٦) [= ٧] المرجان (٧) [= ٨] اللؤلؤة : في تناهي الحركات .

وقد نقض ابن الراوندي اكثر الكتب التي صنفها كالزمردة والمرجان والدامغ ولم يتم نقضه . ولأبي علي الجبائي عليه ردود كثيرة في نعت الحكمة وقضيب الذهب والتاج والزمردة والدامغ والفريد وامامة المفضول .

وقال السيد ابو الحسين محمد بن الحسين الآملي انه سمع من أبيه الذي سمع من أبيه الذي سمع من ابيه يقول : قلت لابي الحسين بن الراوندي المتكلم انت أحذق الناس بالكلام ، غير انك تلحن ، فلو آختلفت معنا الى ابي العباس المبرد لكان أحسن ، فقال : نعم ما قلت نبهتني لما احتاج اليه . قال : فكان من بعد يختلف الى ابي العباس المبرد ، قال : فسمعت المبرد يقول لنا : ابو الحسين بن الراوندي يختلف الي منذ شهر ، ولو اختلف سنة احتجت ان اقوم من مجلسي هذا واقعده فيه .

واجتمع ابن الراوندي وابو علي الجبائي على جسر بغداد ، فقال له : يا ابا علي أما تسمع مني معارضتي للقرآن ونقضي له . فقال له ابو علي : انا عارف بمجاري علومك وعلوم أهل دهرك ، ولكن احاكمك الى نفسك فهل تجد في معارضتك له عذوبة وهشاشة وتشاكلا وتلازما ونظما كنظمه ، وحلاة كحلاوته . قال : لا والله . قال : قد كفيتني فانصرف حيث شئت .

وذكر الجبائي آن السلطان طلب ابن الراوندي وابا عيسى الوراق . فاما ابو عيسى فحبس حتى مات . وأما ابن الراوندي فهرب الى ابن لاوي الهروي ووضع له كتاب الدامغ في الطعن بالنبي (ص) وعلى القرآن ثم لم يلبث الا أياما يسيرة حتى مرض ومات ، وعاش أكثر من ثمانين سنة .

وسرد ابن الجوزي من زندقته أكثر من ثلاث ورقات . قال الجبائي :

[ص ٧٧]

وكان قد وضع كتابا للنصارى على المسلمين في ابطال نبوة محمـــد (ص) ونسبه الى الكذب وشتمه وطعن في القرآن الذي جاء به . توفي عام ٢٩٨ هـ.

ومن شعره :

محن الزمان كثيرة ما تنقضي — وسرورها يأتيك كالأعياد
ملك الاكارم فاسترق رقابهم — وتراه رقا في يد الاوغاد

وقوله ، وقيل انشده :

أليس عجيبا بأن امرءاً — لطيف الخصام دقيق الكلم
يموت وما حصلت نفسه — سوى علمه انه ما علم

وذكره ابن خلكان ج ١ ص ٢٧ فقال : العالم المشهور ، له مقالة في علم الكلام ، وكان من الفضلاء ، في عصره ، وله من الكتب المصنفة نحو من مائة واربعة عشر كتابا ، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنــه في كتبهم . توفي سنــة ٢٤٥ هـ برحبة مالك بن طوق الثعلبي وقيل ببغداد ، وتقدير عمره أربعون سنة ، وفي البستان سنة ٢٥٠ .

له ترجمة في (١) تأريخ ابـن الوردي ج ١ ص ٢٤٨ (٢) البدايـة والنهاية ج ١١ ص ١١٢ (٣) لسان الميزان ج ١ ص ١٥٥ (٤) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٤١ (٥) معاهد التنصيص ج ١ ص ١٥٥ (٦) المنتظم ج ٦ ص ٩٩ (٧) شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣٥ (٨) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٥ (٩) طبقات الاطباء ج ١ ص ٢١٢ (١٠) الامتـاع والمؤانسة ج ٢ ص ٧٨ (١١) خطط المقريزي ج ٢ ص ٣٥٣ (١٢) مروج الذهب ج ٧ ص ٢٣٧ (١٣) مرآة الجنان ج ٢ ص ١٤٤ (١٤) ابـو الفـدا ج ٢ ص ٣٢٣ (١٥) أعيان الشيعة ج ١٠ ص ٣٣٩ ـ ٣٤٩ (١٦) روضـات الجنـات ص ٥٤ (١٧) سير النبلاء ـ خ ـ ج ٩ ص ١٥٣ (★) .

(★) في تحقيقنا ان اشارة صديقنا الخاقاني الى مخطوطة سير النبـلاء للذهبي نسخـة طوبقبوسراي (١٥٣/٩ ـ ١٥٤) ، اما اشارته الى الصفدي في الوافي (انظر قبـل ص ١٦٨ س ٣) فهي نسخة الظاهرية (٢٩٨/٨) .

(٢٦/٤٤)

الحسني ، هاشم معروف :
ـ الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة ،
بيروت ١٩٦٤ .

[ص ١٣٥]

[في الحديث عن آراء ابي الهذيل العلاف] ... قد نسب اليه الراوندي (١) في كتابه فضائح المعتزلة (٢) آراء أخرى (٣) ، وقد أوردها كتاب الفرق في مؤلفاتهم (٤) .

---

(١) كذا (!) . والصحيح ابن ...

(٢) كذا (!) . وقد بينا في كتابنا عن ابن الريوندي ان الاسم الصحيح للكتاب هو فضيحة . اما فضائح ، فهي من اغلاط المؤلفين والنساخ المتاخرين ، انظر كتابي : **Ibn ar-Rîwandî, ch. i.**

(٣) انظر شذرات كتاب فضيحة المعتزلة المرقمة ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ١٢٥ ـ ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ١٦٥ ـ ١٦٨ ـ ١٦٩ ـ ١٧٥ ـ ١٨٤ ـ ١٨٧ ـ ١٩٢ ـ ١٩٤ ، بتحقيقنا في كتابي السابق Ibid., pp. 115 - 173

(٤) للموازنة ، راجع شذرات كتاب الفرق من كتاب فضيحة المعتزلة بتحقيقنا في كتابي السابق Ibid., ch. VII

(٢٧/٤٥)

ـ الرافعي ، مصطفى صادق :
ـ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،
مراجعة محمد سعيد العريان ،
القاهرة ١٩٦٥/١٣٨٤ .

(١)

[ص ٢٠٤]

وابو الحسين (★) احمد بن يحيى ، المعروف بابـــن الراوندي (١) ، وكان رجلا [ص ٢٠٥] غلبت عليه شقوة الكلام ، فبسط لسانه في مناقضة الشريعة ، وذهب يزعم ويفتري ، وليس ادل على جهله وفساد قياسه وانـــه

(★) التعليقات المرقومة التالية على النص هي من عمل الرافعي . اما النجمات ، فهي من عملنا (الاعسم) .

(١) توفي سنة ٢٩٣ على رواية ابي الفداء . وفي كشف الظنــون سنة ٣٠١ . وفي وفيـات ابن خلكان سنـة ٣٤٥ ، وقيــل ٣٥٠ [الصــواب ٢٥٠/٢٤٥ ـ الاعسم] . ولعــل الاولى اقرب . فحمله الغيظ على ان مال الى الرافضة ، فقالوا : لانـه لم يجد فرقة من فرق الامة تقبله ، ثم الحد في دينه وجعل يصنف الكتـب لليهــود والنصارى ، وغيرهم ، في الطعن على الاسلام . وهلـك في منـــزل رجل يهودي اسمه ابـــو عيسى الاهوازي ، وكان يؤلف له الكتب .

يمضي في قضية لا برهان له بها . من قوله في كتاب الفريد (٢) : « ان المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذي تحدى به النبي ، فلم تقدر على معارضته . فيقال لهم : اخبرونا ، لو ادعى مدع لمن تقدم من الفلاسفة ... مثل دعواكم في القرآن ، فيقال : الدليل على صدق بطليموس او اقليدس ، ان اقليدس ادعى ان الخلق يعجزون عن ان يأتوا بمثل كتابه . أكانت نبوته تثبت ؟ » (★) .

قلنا : فاعجب لهذا الجهل الذي يكون قياسا من اقيسة العلم ... واعجب (للكلام) الذي يقال فيه : ان هذا الكتاب وذلك الكتاب ، فكلاهما كتاب . ولما كانا كذلك ، فأحدهما مثل الآخر . ولما كان أحدهما معجزا فالثاني معجز لا محالة . وما ثبت لصاحب الاول يثبت بالطبع لصاحب الثاني . وما دمنا نعرف ان صاحب الكتاب الثاني لم تثبت له نبوة فنبوة صاحب الاول لا تثبت ... لعمري ان مثل هذه الاقيسة التي يحسبها ابن الراوندي سبيلا من الحجة وبابا من البرهان لهي في حقيقة العلم كأشد هذيان عرفه الاطباء قط ، [ص ٢٠٦] والا فأين كتابا من كتاب (٣) ؟ واين وضع من وضع ؟ واين قوم من قوم ؟ واين رجل من رجل ؟ ولو ان الاعجاز كان من ورق القرآن وفيما يخط عليه ، لكان كل كتاب في الارض ككل كتاب في الارض ، ولاطرد ذلك القياس كله على ما وضعه كما يطرد القياس عينه في قولنا : ان كل حمار يتنفس ، وابن الراوندي يتنفس ، فابن الراوندي يكون ماذا ...؟ ولو ان مثل هذه السخافة تسمى علما تقوم به الحجة فيما يحتج له ويبطل به البرهان فيما يحتج عليه ، لما بقيت في الارض حقيقة صريحة ، ولا حق معروف ، ولا شيء يسمى باسمه . ولكان هذا اللسان المتكلم قد عبدته امم كثيرة ، لان فيه قوة من قوى الخلق ، ولانك لا تجد سخيفا من سخفاء المتكلمين الذين يعتدون من ذلك علما — كابن الراوندي مثلا — الا وجدته قد أمعن في سخفه ، فلا تدري أجهل

---

(٢) وفي تاريخ ابي الفداء : (الفرند) ، وهو تصحيف . وهذا الكتاب وضعه ابن الراوندي في الطعن على النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد ردوا عيه ونقضوه .

(★) يراجع نص ابي الفداء في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ١٩٦ . وقارن اصل النص عند ابن الجوزي ، في كتابنا السابق ، ص ١٥٨ .

(٣) كتاب اقليدس مثلا في الهندسة ، وهي علم فئة ، بخلاف البيان الذي كان طبيعة في العرب لا في فئة منهم . فاختلفت جهتا القياس .

الهه هواه ، ام جعل الهه في فمه . . . ؟ (٤)

وقد قيل ان هذا الرجل عارض القرآن بكتاب سماه (التاج) ولم نقف على شيء منه في كتاب من الكتب (★) ، مع ان ابا الفداء نقل في تاريخه أن العلماء قد أجابوا عن كل ما قاله من معارضة القرآن وغيرها من (كفرياته) ، وبينوا وجه فساد ذلك بالحجج البالغة (★★) . والذي نظنه ان كتاب ابن الراوندي ، انما هو في الاعتراض على القرآن ومعارضته على هذا الوجه من المناقضة ، كما صنع [ص ٢٠٧] في سائر كتبه : كالفريد ، والزمردة ، وقضيب الذهب ، والمرجان (٥) ـ فانها وصفت به ظلمات بعضها فوق بعض ، وكلها اعتراض على الشريعة والنبوة بمثل تلك السخافة التي لا يبعث عليها عقل صحيح ، ولا يقيم وزنها علم راجح (٦) .

---

(٤) يجنح ابن الراوندي ، في طعنه ، الى الاقيسة الفاسدة ، يغالط بها ، وله من ذلك سخافات عجيبة . وقد طعن في كتاب (الزمردة) على نبوات الانبياء جميعا ، وله كتاب (نعت الحكمة) يعترض فيه على الله اذ كلف خلقه ما امر به . فاعجب لهذا حمقا !

(★) اما اليوم فمصادرنا كثيرة في معرفة كتاب التاج المذكور . انظر كتابنا السابق ، ص ١٩ ، ١٠٨ ، ١٥٤ ، ١٩١ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٤٧ .

(★★) يلاحظ نص ابي الفداء في كتابنا السابق ، ص ١٩٥ .

(٥) يخيل الينا ان ابن الراوندي كان ذا خيال ، وكان فاسد التخيل ، والا فما هذه الاسماء ؟ واين هي مما وضعت له ؟ والخيال الفاسد اشد خطرا على صاحبه من الجنون : لانه فساد في الدماغ ، ولانه حديث متوثب ، فما يملك معه الدين ولا العقل شيئا ، واظهر الصفات في صاحبه الغرور .

(٦) كتبنا هذا للطبعة الاولى [= ط . القاهرة ١٩٢٦ ؟] ، ثم وقفنا بعد ذلك على ان كتاب (التاج) يحتج فيه صاحبه لقدم العالم ، وانه ليس للعالم صانع ، ولا مدبر ، ولا محدث ، ولا خالق . اما كتابه الذي يطعن فيه على القرآن ، فاسمه (الدامغ) . قالوا انه وضعه لابن لاوي اليهودي ، وطعن فيه على القرآن ، وقد نقضه عليه الخياط وابو علي الجبائي ، قالوا : ونقضه على نفسه .. والسبب في ذلك انه كان يؤلف ، لليهود والنصارى [و] الثنوية واهل التعطيل ، باثمان يعيش منها ، فيضع لهم الكتاب بثمن يتهددهم بنقضه .. حتى اعطوه مائة درهم اخرى ، فامسك عن النقض ! اما ما قيل من معارضته للقرآن ، فلم يعلم منها الا ما نقله صاحب ←

وقد ذكر المعري هذه الكتب في رسالة الغفران ، ووفى الرجل حسابه [ص ٢٠٨] عليها ، وبصق على كتبه مقدار دلو من السجع ..! وناهيك من سجع المعري الذي يلعن باللفظ قبل ان يلعن بتالمعنى ..! (★)

ومما قاله [المعري] في التاج : واما تاجه فلا يصلح ان يكون نعلا ... وهل تاجه الا كما قالت الكاهنة : اف وتف (٧) ، وجورب وخف ... قيل: وما جورب وخف ؟ قالت : واديان بجهنم ! (★★)

وهذا يشير الى ان الكتاب كذب واختلاق ، وصرف لحقائق الكلام ، كما فعلت الكاهنة ، والا فلو كانت معارضته لنقض التحدي ، وقد زعم أنه جاء بمثله لما خلت كتب التاريخ والادب والكلام من الاشارة الى بعض كلامه في المعارضة ، كما أصبناه من ذلك لغيره (٨) .

(٢)

[ص ٢١١]

على ان المعري ــ رحمه الله ــ قد اثبت اعجاز القرآن فيما انكر من رسالته على ابن الراوندي ، فقال : « واجمع ملحد ومهتد ، وناكب عن ... [الى قوله] ... والزهرة البادية في جدوب ذات نسق » . (★★★)

(معاهد التخصيص) [= التنصيص] ، قال : « اجتمع ابن الراوندي ، هو وابو علي الجبائي يوما على جسر بغداد ، فقال له : يا ابا علي ، الا تسمع شيشا [= شيئا] في معارضتي للقرآن ونقضي له ؟ قال الجبائي : انا اعلم بمخازي علومك وعلوم اهل دهرك ، ولكن احاكمك الى نفسك : فهل تجد في معارضتك له عذوبة وهشاشة وتشاكلا وتلاؤما ونظما كنظمه وحلاوة كحلاوته ؟ قال : لا والله ! قال : قد كفيتني ، فانصرف حيث شئت » !! ويقال ابن الراوندي كان ابوه يهوديا واسلم. والخلاف في امره كثير ، وبلغت مصنفاته مائة كتاب واربعة عشر كتابا .

(★) يراجع نص المعري المذكور في كتابنا السابق ، ص ١٠٨ ــ ١١٤ .

(٧) الاف : وسخ الاذن . والتف : وسخ الانف .

(★★) يراجع كتابنا السابق ، ص ١٠٨ ــ ١٠٩ .

(٨) في صفحة ١١١ جزء ٢ من هامش الكامل أسماء الذين كانوا يطعنون على القرآن ، ويصنعون الاخبار ويبثونها في الامصار ، ويضعون الكتب على اهله .

(★★★) انظر كتابنا السابق ، ص ١١٠ ــ ١١١ .

(٢٨/٤٦)

نعمة ، الشيخ عبد الله :

ــ فلاسفة الشيعة ،

بيروت [١٩٦٥ ؟]

(١)

[ص ١٦٦]

[ومن مؤلفات ابي سهل اسماعيل النوبختي] : كتاب الانسان والرد على ابن الراوندي (١) ... نقض كتاب عبث الحكمة لابن الراوندي ، نقض كتاب التاج على ابن الراوندي ، نقض اجتهاد الراي على ابن الراوندي ...

(٢)

[ص ١٧٣]

[ومن مؤلفات الحسن بن موسى النوبختي] : النكت على ابن الراوندي .

---

(١) كتب هنا الشيخ نعمة في الهامش :

« هو ابو الحسين احمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي ، المتكلم المشهور ، صاحب المؤلفات الكثيرة ، وتبلغ ماية واربعة عشر كتابا ، منها فضيحة المعتزلة الذي رد عليه ابن الخياط [كذا !] في كتابه الانتصار . وهو من الشيعة على قول الشريف المرتضى ، وقد اتهم بالالحاد والزندقة ، توفي عام ٢٤٥ هـ » .

(٣)

[ص ٥٣٠]

[ومن مؤلفات ابي نصر الفارابي] : كتاب الرد على ابن الراوندي في ادب الجدل (٢) .

(٤)

[ص ٥٦٦]

[في الحديث عن هشام بن الحكم]

... كما ظل جماعة من المتكلمين متاثرين بآرائه ، حتى عصر متاخر عنه ، مثل ابي عيسى محمد بن هارون الوراق ، واحمد بن الحسين (٣) الراوندي ، الذي وضع كتابه (فضيحة المعتزلة) وهاجم فيه الآراء الاعتزالية ورجالها مهاجمة شديدة ، متكئا في كثير من فصوله على آراء هشام بن الحكم ، مما اضطر ابا الحسين بن (٤) الخياط الى وضع كتابه (الانتصار) للرد على (الفضيحة) وعلى الراوندي وهشام (٥) .

---

(٢) راجع ما يقوله في شان هذا الكتاب صديقنا الاستاذ Van Ess في مقاله عن « الفارابي وابن الريوندي » في هذا الكتاب ص ٢٠٦ وما يليها .

(٣) كذا (!) ، والصحيح ابو الحسين احمد بن يحيى . انظر تعريف المؤلف به في الهامش رقم ١ قبل ص ١٧٦ .

(٤) في الاصل ابن . وهي غلط .

(٥) لقد بحثنا في كتابنا عن ابن الريوندي هذا الموضوع ، وبينا بالتعليل ان ابن الريوندي انما كان يعتمد على هشام بن الحكم عند محاكمة النصوص والمقارنة . انظر Ibn ar-Riwandi, passim اما ما يقوله الشيخ نعمة بخصوص (الاتكاء) فهو مبالغة في اسباغ طابع السيطرة لفكر هشام على المتاخرين عنه . فاذا صح هذا في بعض ، لكنه لا ينطبق على ابن الريوندي ، كما ارى . اما قوله (الراوندي) فصحيحه : ابن ...

(٢٩/٤٧)

عبد الرحمن ، الدكتورة عائشة :

ـ ابو العلاء المعري ،

القاهرة [١٩٦٥ ؟]

(١)

[ص ٢٣٢]

وقذفه [قذف ابا العلاء] بعضهم بالزندقة والالحاد وسقم الدين ، وقرنوه مع ابي حيان التوحيدي وابن الراوندي (١) ـ من أشهر الزنادقة في الاسلام ـ في قرن واحد ، وتقربوا الى الله بلعنته ، وحكموا عليه بالخسران في الدنيا وعذاب الجحيم في الآخرة (٢) .

(٢)

[ص ٢٣٤]

اذا كان لا يحظى برزقك عاقل
وترزق مجنونا ، وترزق احمقا

---

(١) يراجع نص السبكي في طبقات الشافعية (ط . القاهرة ١٣٢٤/١٩٠٦) ٣/٤ ، من كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ٢٠٣ .

(٢) يراجع نص ابن الجوزي في تلبيس ابليس (ط . القاهرة ١٣٤٧/١٩٢٨) ص ٦٨ ، ١١١ ـ ١١٢ ، من كتابنا السابق ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

فلا ذنب يـا رب السماء على امـرىء
رأى منـك مـا لا يشتهي فتزندقـا

... والبيتان مما لم يرو في ديوانه [= ديوان ابي العـلاء] (٣) . وهما منسوبان في « معاهـد التنصيص » للعباسي ـ ص ٧١ ، ط . بولاق سنة ١٢٧٤ [هـ] ـ لابن الراوندي ، وهما بـه اشبه ، وله في هـذا المعنى بيتان آخران رواهما أبو العلاء في « رسالـة الغفران » (٤) بـين أشعار الزنادقة (٥) .

---

(٣) يراجع بحثنا عن « الشعر المنسوب الى ابن الريوندي » ، مجلة كلية اصول الدين (بغداد ١٩٧٥) ، المجلد الاول ، ص ١٩٩ . كذلك انظر البحث ملحقا بهـذا الكتاب ص ٢٤٤ .

(٤) انظر بحثنا السابق ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، وقارن ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ من كتابنا هذا .

(٥) تشير المؤلفة الى نشرتها لرسالة الغفران ، ص ٤٩٥ ، ط ٣ (ذخائر) . قـارن كتابي « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ص ١١٤ .

(٣٠/٤٨)

الاعلوجي ، عبد الحميد :

ـ عطر وحبر ،

بغداد ١٩٦٧/١٣٨٧ ،

ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٢٤ .

(١)

[ص ١٨٧]

واهان (١) المرحوم مصطفى صادق الرافعي (٢) حمارنا حين اقام عليه قياسا منطقيا لافحام الملحد ابن الراوندي الذي اشتهر بمعارضة القرآن الكريم . فابن الراوندي يزعم ان هندسة اقليدس كتاب ، وان القرآن الكريم [ص ١٨٨] كتاب .. وما دام الامر كذلك ، فكتاب اقليدس يماثل كتاب الله اعجازا .. وقد اغضب هذا القياس الفاسد المرحوم الرافعي ، فقال : ان كل حمار يتنفس ، وابن الراوندي يتنفس ، فابن الراوندي يكون ماذا ؟

---

(١) من مقالة (مع الحمار ..) ص ١٥٧ وما بعدها .

(٢) يراجع نص اعجاز القرآن للرافعي في كتابنا هذا ، قبل ص ١٧٣ .

(٢)

[ص ٢٢٤]

وانني استطعت (٣) بعد ان ولجت مع الوالجين رحاب ألفن على شاشة التلفزيون ان افهم مذهب عزيز علي ... فهل يعني ذلك انه اضحى رابع (٤) الزنادقة في الاسلام بعد المعري وابن الراوندي ،ابي حيان التوحيدي ؟ (★) .

---

(٣) من مقالة (دفاع عن فنان كبير) هو عزيز علي (!) ، ص ٢٢٣ وما بعدها .

(٤) كذا (!!) ان هذا التعبير غامض ، وهو يحتاج الى ايضاح الصلة ، فلا ادري ما وجه المقارنة بين عزيز علي (المنولوجست) بفيلسوف الشعراء وبفيلسوف المتكلمين وبفيلسوف الادباء ! ؟

(★) وقد بثني صديقنا العلوجي ، بعد اطلاعه على كتابنا (تاريخ ابن الريوندي الملحد) في ربيع ١٩٧٦ ، اعترافه بانه ما كان يجب عليه ان يظلم ابن الريوندي مع الظالمين ! وقارن كتابنا هذا ص ٢٣٨ وتعليق ١٩ .

(٣١/٤٩)

عبد الحميد ، الدكتور عرفان :
ـ دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية ،
بغداد ١٩٦٧ .

[ص ١١٢]

والمعروف أن البغدادي (١) يعتمد كليا على كتاب « فضيحة المعتزلة » (٢) الذي الفه الملحد والزنديق ابن الراوندي ، ومن هنا صار الاحتراس في الاخذ بما كتب عن المعتزلة شرطا أساسيا عند البحث عنهم (٣) .

---

(١) البغدادي هذا هو ابو منصور عبد القاهر بن طاهر ، المتوفي سنة ١١٣٤/٤٣٩ ، مؤلف كتاب « الفرق بين الفرق » ، نشرة محمد بدر ، القاهرة ١٩١٠ . والرأي الذي يسوقه زميلنا الدكتور عرفان سبقه اليه الاستاذ نيبرك في مقدمته لكتاب الانتصار (ط . القاهرة ١٩٢٥ ، ص ٤٤ ـ ٤٥) . قارن الترجمة الفرنسية Le Livre du Triomphe, pp. xxxiv - xxxv وقد فصلت في هذا القول بالحجة والدليل في كتابي عن ابن الريوندي Ibn ar-Rîwandî, ch. iii

(٢) يراجع كتابي Ibid., ch. iv, v.

(٣) كلا !! ولسنا نعرف الدواعي لهذا الشرط . انها متابعة لموقف زهدي حسن جار الله على اية حال . فلاحظ ص ١٣١ و ١٣٥ ـ ١٣٦ من كتابنا هذا .

(٣٢/٥٠)

الالوسي ، الدكتور حسام محيي الدين :
ـ حوار بين الفلاسفة والمتكلمين ،
بغداد ١٩٦٧/١٣٨٧ .

[ص ٩٣ تعليق ١٥٥]

... يذكر لنا الخياط المعتزلي في كتابه « الانتصار » ، نشر نيبرج ، القاهرة ١٩٢٥ ، ص ١٨ (١) « وانما الذي نقل ابن الراوندي (٢) قول جهم ، لان جهم (٣) كان يزعم ان الله يفني الجنة والنار وما فيهما ، ويبقى وحده كما كان وحده . وحجته الآية (٤) (هو الاول والآخر) (٥) » .

---

(١) ان هذا غلط مبين ! فالاشارة الصحيحة هي ص ١٢ . كذلك قارن ص ١٨ من ط بيروت ١٩٥٧ . فلعل استاذنا الدكتور الالوسي رجع الى الطبعة الاخيرة .

(٢) نص الخياط كما يلي : « وانما هذا الذي حكاه صاحب الكتاب ... » ولم يشر لاسم ابن الريوندي .

(٣) كذا في اقتباس الدكتور الالوسي . وفي نشرة نيبرك : جهما ، وهي الصواب .

(٤) « وحجته الآية » لا وجود لها في نص الخياط ، فهناك نقرأ : « ويستدل على قوله هذا بقول الله تعالى ... » ، فلاحظ .

(٥) قارن القرآن ، سورة الحديد ٥٧ ، آية ٣ .

(٣٣/٥١)

الخطيب ، عبد الله :
ـ صالح بن عبد القدوس البصري ،
بغداد ١٩٦٧ .

(١)

[ص ٣٦]

... ان المحافظين (١) في مناظراتهم يطلقون اسم الزنديق (المفكر الحر) على من يبدو انه في اعترافه بالاسلام بلسانه [ص ٣٧] يعوزه الصدق الكافي . وهذا التفكير الحر في المتطرف هو الذي [كشف كراوس ، منذ عهد قريب ، عن اهم مصنفاته منذ الايرانشهري الى ثفوري ، ويشمل ذلك ما] (٢) كتبه ابو عيسى الوراق ، وابن الراوندي ، والطبيب الكبير الرازي .

(٢)

[ص ٤٨]

... وحتى في الرد على أصحاب البدع الكفرة لا نجد غير النقد لهم

---

(١) هذه الشذرة مقتبسة من مقالة زنديق للاستاذ ماسينيون في الموسوعة الاسلامية . كما يشير الخطيب . فراجع الاصل الانكليزي :
Massignon, art. Zindik; in: Encyclopaedia of Islam, vol. iv, (1938), p. 1228.

(٢) العبارة المحصورة بين معقوفتين [ ] ، ساقطة من المطبوع ، ومن الصلات للمؤلف في آخر الكتاب . انظر كتابه ، ص ٢٠٧ .

الا فيما ندر (٣) ، ككتاب الخياط (٤) في الرد على ابن الراوندي ، وفي المجالس المؤيدية (٥) ، وفي كتاب نقد العلم والعلماء (٦) ، وبعض الكتب والرسائل القليلة النادرة .

(٣)

[ص ٧٥]

يقول التوحيدي (٧) : ... ...

(٤)

[ص ٧٧]

وقد جاء في الامتاع والمؤانسة ... (٨) : ... ...

---

(٣) في الاصل المطبوع : فيما ندري (!) ، وهو غلط .

(٤) يشير الخطيب في الهامش « الخياط ، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد » . والصحيح ، بحسب عنوان الاستاذ نيبرك : الروندي .

(٥) يشير المؤلف هنا : « راجع كتاب من تاريخ الالحاد في الاسلام ، ص ٧٩ وما بعدها ». وللتفصيل ، يراجع ملحق (ابن الراوندي للاستاذ كراوس) في آخر كتابنا هذا .

(٦) يذكر الخطيب مرجعه هنا : « ابن الجوزي البغدادي ، نقد العلم والعلماء ، ص ٢٠ وما بعدها » . فلاحظ !

(٧) ينقل هنا الخطيب الشذرة التي نشرناها في كتابنا (تاريخ ابن الريوندي الملحد ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ٨١) عن ابي حيان التوحيدي . فلاحظها هناك . ولقد وقع في نص المؤلف بعض التحريف (!) .

(٨) يقتبس هنا الخطيب نص الشذرة التي نشرناها في كتابنا السابق ص ٧٩ ، نقلا عن ابي حيان التوحيدي ، فراجعها هناك . ولقد تصحفت وتحرفت عبارة التوحيدي . في اقتباس الخطيب (!) . قارن ص ١١٢ من كتابه المذكور ، النص رقم ١٣ .

(٣٤/٥٢)

مدكور ، الدكتور ابراهيم بيومي :
ـ في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ،
القاهــرة ١٩٦٨ .

(١)

[ص ٨٠]

ابن الراوندي وانكاره للنبوة

وليس هناك شك في ان التسليم بالوحي والمعجزة الـزم هــده الاصول واوجبها ، فان منكري النبوة ينقضون الدين من اساسه ويهدمون الحضارة الاسلامية كلها . وعلى الرغم مما في هذه الدعوى من جراة وفي هــذا الموقف من تهجم ، فانا نجد بين المسلمين من وقفوه . ودون ان نعرض لكل مــن خاضوا غمار هذا الموضوع في القرنين الثالث والرابع للهجرة نشير الــى رجلين هما أحمد بن اسحق (كذا !) الراوندي ومحمد بــن زكريــا الرازي الطبيب .

فأما الاول فشخصية غريبة للغاية ، ولا يعرف بالدقة تاريــخ مولــده ولا وفاته ، ويغلب على الظن انه مات في اخريات القرن الثالث . وهو مــن اصل يهودي نشأ في راوند قرب أصبهان ، ثم سكن بغداد واتصل بالمعتزلة، وكان من حذاقهم ، وعده المرتضى بين طبقتهم الثامنة (١) . الا انه لم يلبث

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ١ ، ص ٣٨ ــ ٣٩ ، المرتضى ، المنيــة والامــل ، ص ٥٣ .

ان خرج عليهم لاسباب لم يجلها التاريخ بعد ، وحمل عليهم ، بل على الاسلام وتعاليمه المختلفة ، حملة عنيفة ، ولازم الملحدين واتصل بهم اتصالا وثيقا . ويظهر انه اضحى دسيسة ضد المسلمين يدبر لهم المكايد ، ويستأجر للطعن عليهم ، وينشر فيهم عناصر الزيغ والالحاد . ولم يخف امره على بعض اليهود المخلصين الذين حذروا المسلمين منه ، وقالوا لهم : « ليفسدن عليكم هذا كتابكم كما افسد ابوه التوراة علينا » (٢) ، وقد كتب كتبا كثيرة كلها انتقاص للاسلام ورجاله ، منها كتاب « فضيحة المعتزلة » في الرد على كتاب « فضيلة المعتزلة » ، الذي وضعه الجاحظ من قبل ، وكتاب « الدامغ » يعارض به القرآن ، وكتاب « الفرند » في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتاب « الزمردة » في انكار الرسل وابطال رسالتهم (٣) .

[ص ٨١]

والكتاب الاخير يعنينا بوجه خاص ، فانه يعطينا فكرة عن مسالة النبوة وكيف كانت تثار في ذلك العهد . وقد بقي مجهولا الى زمن قريب ، ويرجع الفضل في التعريف به الى كراوس الذي اهتدى اليه في مخطوطة من المخطوطات الاسماعيلية الموجودة في الهند . وهذه المخطوطة ليست الا جزءا من « المجالس المؤيدية » ، المنسوبة الى المؤيد في الدين هبة الله بن ابي عمران الشيرازي ، داعي الدعاة الاسماعيلي أيام الخليفة الفاطمي المنتصر بالله (٤) ، وتشتمل في جملتها على ٨٠٠ محاضرة القيت في « دار العلم » بالقاهرة ، في منتصف القرن الخامس الهجري ودرست فيها المشاكل الاسلامية على اختلافها (٥) .

وفي المجلس السابع عشر من المائة الخامسة الى المجلس الثاني والعشرين ، يعرض المحاضر لاقوال ابن الراوندي في الطعن على النبوة ويعقب عليها بالنقض والرد . وهذه المجالس الستة هي التي نشرها كراوس

---

(٢) معاهد التنصيص ، ج ١ ، ص ٧٦ – ٧٧ .

(٣) نيبرج ، الانتصار ، ص ٣٢ – ٣٧ .

(٤) P. Kraus, Beitrâge zur Islamichen Ketzergeschichte, in **Rivista** (1931), p. 94. [الصحيح هو المستنصر بالله . الاعسم]

(٥) **Hamdani, The Hist. of the Ismâ'ili Da'wat, p. 126-139.**

وترجمها الى الالمانية ، وعلق عليهــا تعليقا ضافيا يدل عــلى اطلاعه الواسع وبحثه العميق في مجلــة « الرفستا الايطالية » سنــة ١٩٣٤ (٦) . فهــي لا تحوي كتاب « الزمردة » في مجموعه ، بل فقرات منه تولـــى الاسماعيلية مناقشتها واظهار ما فيها من خطأ ومغالطة . وقد صيغت هذه المناقشة في قالب مشوق جذاب ، وأن تكن مسجوعة سجعا ثقيلا احيانا . وفيها دفــاع وردود عقلية هي اثر من آثار الثقافة الاسماعيلية المترامية الاطراف ، ولا يتسع المقام لعرضها في تفصيلها ، ونكتفي بأن نستخلص منها دعاوى ابـــن الراوندي واعتراضاته .

قد يكون اول شيء يلحظه المطلع على هـــذا الحوار هو مــا في ابــن الراوندي من حذق ومهارة ومكر ودهاء . يقف موقفا بعيداً عــن التحيز ـ ولو في الظاهر على الاقل ـ كي يجتذب اليه كل القراء ، فهـــو لا يتعرض للنبوة بالنفي والانكار فقط ، بل يناقش موضوعها مناقشة حرة طليقة يأتي فيها على اقــوال المثبتين والمنكريــن . وكــم نأسف لأن صاحب « المجالس المؤيدية » اهمل جانب الإثبات في هذه القضية (٧) ، ولو وافانا به لاستطعنا ان نحكم في وضوح ما اذا كان واضع [ص ٨٢] « كتــاب الزمردة » يكيــل بكيلين . على ان هناك ظاهرة اخرى تؤيد ان ابن الراوندي يمعن في الدهــاء والمكر ، فهو يعلن في اول بحثه انه لا يعمل شيئا سوى انه يردد اقوالا جرت على السنة البراهمة في رد النبوات (٨) .

وسواء أكانت هذه الاقوال من آثار الفكر الهندي ام من اختراع ابــن الراوندي ، فهي تتلخص فيما يلي : انكار للنبوات عامة ونبوة محمــد صلى الله عليه وسلم خاصة ، ونقد لبعض تعاليم الاسلام وعباداته ، ثم رفض في شيء من التهكم للمعجزات في جملتها . فأما الرسل فلا حاجة اليهم لان الله قد منح خلقه عقولا يميزون بها الخير من الشر ويفصلون الحق عن الباطل ، وفي هدي العقل ما يغني عن كل رسالة . يقــول ابـــن الراوندي : « ان البراهمة يقولون انه قد ثبت عندنا وعند خصومنا ان العقل اعظم نعم اللــه

---

(٦) Kraus. Rivista, 96 - 109, 110 - 120.

(٧) Ibid., p. 96.

(٨) Ibid.

سبحانه على خلقه ، وانه هو الذي يعرف به الرب ونعمه ، ومن اجله صح الامر والنهي والترغيب والترهيب . فان كان الرسول يأتي مؤكداً لما فيه من التحسين والتقبيح والايجاب والحظر ، فساقط عنا النظر في حجته واجابة دعوته ، اذ قد غنينا بما في العقل عنه ، والارسال على هذا الوجه خطأ . وان كان بخلاف ما في العقل من التحسين والتقبيح والاطلاق والحظر ، فحينئذ يسقط عنا الاقرار بنبوته » (٩) .

وسيرا في هذا الطريق العقلي المزعوم يرى ابن الراوندي ان بعض تعاليم الدين مناف لمبادىء العقل ، كالصلاة والغسل والطواف ورمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة اللذين هما حجران لا ينفعان ولا يضران. على انهما لا يختلفان عن ابي قبيس وحراء في شيء ، فلم امتازا على غيرهما ؟ وزيادة على هذا اليس الطواف بالكعبة كالطواف بغيرها من البيوت (١٠) ؟

والمعجزات اخيرا غير مقبولة في جملتها ولا في تفاصيلها ، ومن الجائز ان يكون رواتها ، وهم شرذمة قليلة ، قد تواطأوا على الكذب فيها . فمن ذا الذي يسلم ان الحصى يسبح او ان الذئب يتكلم (١١) ؟ ومن هم هؤلاء الملائكة الذين انزلهم [ص ٨٣] الله يوم بدر لنصرة نبيه ؟ انهم كانوا مفلولي الشوكة قليلي البطش ، فانهم على كثرتهم واجتماع ايديهم وايدي المسلمين معهم لم يقتلوا اكثر من سبعين رجلا . واين كانت الملائكة يوم احد حين توارى النبي صلى الله عليه وسلم بين القتلى ولم ينصره احد (١٢) ؟ وبلاغة القرآن على تسليمها ليست بالامر الخارق للعادة ، فانه لا يمتنع ان تكون قبيلة من العرب افصح من القبائل كلها ، ويكون في هذه القبيلة طائفة افصح من البقية ، ويكون في هذه الطائفة واحد هو افصحها . وهب ان محمدا صلى الله عليه وسلم غالب العرب في فصاحتهم وغلبهم ، فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون هذا اللسان وما حجته عليهم (١٣) ؟

---

(٩) [الاشارة الصحيحة هنا هي ص 97] Ibid., 90.

(١٠) Ibid., 99.

(١١) Ibid., 101.

(١٢) [الاشارة الصحيحة هنا هي ص 105-106] Ibid., 102.

(١٣) [كذا ، الاشارة الصحيحة هي ص 102] Ibid., 105 - 106

لسنا في حاجة مطلقا لان نرد على هـذه الشبه الواهيـة والدعاوى الباطلة ، وسيدرك القارىء بنفسه ما فيها من تضليل ومغالطة . ولا نظننا في حاجة كذلك الى سرد الدفاع المجيد الذي دبجه يراع الاسماعيلية ضدها، وفي مقدور كل باحث ان يرد عليها بآرائه الخاصة وافكاره المستقلة . وكل ما نريد آن نلاحظه هو ان ابن الراوندي يردد نغمة الفناها لدى المعتزلة من قبل ، فهو ينادي بالحسن والقبح العقليين ، ويذكرنا بذلك السؤال الذي وضعته مدرسة المعتزلة لاول مرة وهو : هل الايمان واجب بالشرع أو بالعقل ؟ بيد ان المعتزلة المخلصين لم يستخدموا العقل هـذا الاستخدام المفرط ، وبذلوا جهدهم في آن يوفقوا بينه وبين الدين ، وان يردوا على شبه الزنادقة والملحدين بكل ما اوتوا من حجة بينة وبرهان قاطع . ومسألة العقل والنقل هي عقدة العقد ومشكلة المشاكل ذلك العهد ، وسنرى فيما يلي كيف أستطاع الباحثون الآخرون حلها .

ابو بكر الرازي ومخاريق الانبياء

أسلفنا القول عن احدى الشخصيتين اللتين اثارتا مشكلة النبوة اثناء القرن الثالث والرابع للهجرة في شكل حاد ، ونعني بها ابـن الراوندي . ونعرض الآن لشخصية اخرى [الرازي] ليست اقل خطرا ، وربما كانت اعرف لدى جمهور القراء .... [الخ] .

(٢)

[ص ٨٧]

وهذه الاعتراضات في جملتها تقترب بعض الشيء من الاعتراضات التي اثارها ابن الراوندي من قبل . وكأن الرجلين يرددان نغمة واحدة ويصدران عن أصل معين ، او كأن تعاليم هندية وآراء مانوية اختفت وراء حملتهما . ونحن نعلم من جهة أخرى ان الرازي يقول بالتناسخ الذي عرفت به السمنية من الهنود ، ويتشيع للمانوية الذين كانوا يدسون في غير ملل للاسلام ومبادئه ، ولا يبعد ان يكون قد وقف على نقد الاغريق للديانات على اختلافها . وسواء اكان الرازي متأثرا بعوامل اجنبية أم معبرا عن آرائه الشخصية ، فانه يصرح بأن الانبياء لا حق لهم في ان يدعوا لانفسهم ميزة خاصة ، عقلية كانت او روحية ، فان الناس كلهم سواسية ، وعدل الله وحكمته تقضي بالا يمتاز واحد على آخر .

(٣)

[ص ٨٩]

موقف الفارابي من هذا الشك والانكار

في هذا الجو المملوء بالحوار والمناقشة في موضوع النبوة الخطير نشا الفارابي ، وكان لا بد له ان يقاسم في المعركة بنصيب . لا سيما وهو معاصر لابن الراوندي والرازي معا ، فقد ولد سنة ٢٥٩ هجرية وتوفي سنة ٣٣٩. ويروي المؤرخون انه كتب ردين ، احدهما على ابن الراوندي والآخر على الرازي ، ونأسف جد الاسف لان هذين الردين لم يصلا الينا (١٤) . وقد نستطيع ان نتكهن بموضوعهما في ضوء الملاحظات السابقة ، فانه لا يتوقع ان يرد الفارابي المنطقي الفيلسوف على ابن الراوندي الا في شيء يتصل بالمنطق والجدل اللذين أخل الاخير بقواعدهما ، او في مبدأ من مبادىء الفلسفة والالهيات التي خرج عليها (١٥) .

(١٤) ابن ابي اصيبعة ، عيون ، ص ١١ ، ١٣٩ ، القفطي ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(١٥) ينبغي ان نلاحظ ان ابن [ابي] اصيبعة يصرح بان الفارابي كتب كتابا في الرد على ابن الراوندي في آداب الجدل ، والقفطي يعد هذا كتابين احدهما في آداب الجدل والآخر في الرد على ابن الراوندي [قارن النصين في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ١٨٢ و ١٨٨] .

(٣٥/٥٣)

برجشترسر ، الاستاذ :
ـ اصول نقد النصوص ونشر الكتب ،
اعداد الدكتور محمد حمدي البكري ،
القاهـرة ١٩٦٩ .

[ص ٥٢]

مثال ذلك كتاب « الانتصار في الرد على ابن الراوندي الملحد » لابـي الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط المعتزلي المتوفي بعـد سنة ٣٠٠ هـ بقليل ، الذي نشره نيبرج Nyberg في القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ، ونقرأ فيه ما لفظه « فاذا نفى ابوالهـذيل التغير والزيادة [ص ٥٣] والنقصان، والعجز والعوارض والموانع عن الله جل ذكره ثم احال .... (وهنا تنقص كلمةمن النسخة الوحيدة لان مكانها مخروم) الذي اضافه اليه مـن افعاله » (١) ، ولم يوفق الناشر الى تقدير الكلمة الناقصة . وفي موضع آخـر نقـرأ مـا لفظه « فاذا قيل له (اي للاسواري) افليس الله قـد اخبر بدوام افعاله في الآخرة ؟ قال بلى » (٢) ، فنعلم من الموضع الثاني ان مسألة دوام افعال الله كانت مسالة دائرة بين المعتزلة ، فاذا طبقنا هذه المعرفة على الموضع الاول، امكننا ان نعرف ان الكلمة الناقصة هي كلمة [دوام] ويتبين من ذلـك ان ابا الهذيل كان يذهب في هذه المسالة ما ذهب اليه الاسواري ، ويظهر مـن هذا المثال ان معرفة الاشياء تؤدي في بعض الاحيـان الـى اصلاح النقص وسد الخلل .

---

(١) كتاب الانتصار ، ص ١٤ .
(٢) ايضا ، ص ٢٠ .

(٣٦/٥٤)

عمــارة ، محمــد :
ـ المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية ،
بيروت ١٩٧٢ .

(١)

[ص ٢٢]

... وابو علي الجبائي ... من مصنفاته ... نقـــد ابن الراوندي الملحـــد (١) ...

(٢)

[ص ٣٢]

الراوندية : وهم اتباع ابي الحسين بـــن يحيى (٢) بـــن اسحـــق الراوندي ، المشهور بابن الراوندي (واختلف في ميلاده بـــين سنتي ٢٠٥ و ٢١٥ هـ ، وترجحت وفاته ٢٩٨ هـ لا ٢٤٥ هـ) (٣) ، وكان ابن الراوندي

---

(١) كذا (!) ، ولا نعرف عنوانا للجبائي كهذا (؟) .

(٢) كذا في الاصل . وصوابه : ابي الحسين (احمد) بن يحيى ...

(٣) لم تترجح سنة ٢٩٨ هـ على الاطلاق ، غير راي الاستاذ نيبرك . ولقد اثبتنا بشكـل قاطع ان الصحيح في وفاة ابن الريوندي هـو سنة ٢٤٥ هـ . انظـر مقدمتنا لكتـاب تاريخ ابن الريوندي الملحد ، ص ٧ الفقرة ١ ، ص ٩ الفقرة ٤ .
وقارنه للتفصيل بكتابنا
Ibn ar-Rîwandî's Kitab Fadihat al-Mu'tazilah, ch. I, passim.

في بدء حياته معتزليا ، ثم اصبح شديد العداء للاعتزال والمعتزلة ، فألف الكثير من الكتب ضدهم . ومن أشهر مؤلفاته كتابه (فضيحة المعتزلة) ، الذي رد به على كتاب الجاحظ الذي أسماه (فضيلة المعتزلة) ، ولقد ضاع هذان الكتابان ، والذي حفظ لنا بعض الآراء التي ذكرها ابن الراوندي في كتابه هذا (٤) ، وفي كتبه الاخرى ضد المعتزلة والاعتزال ، هو رد ابي الحسين الخياط عليه في كتابه الشهير (الانتصار ، والرد على ابن الراوندي (٥) الملحد) .

والمعتزلة تقول : ان ابن الراوندي لم ينتقل فقط من معسكرهم الى معسكر المجبرة ، بل جاوز ذلك الى مناصرة الزنادقة واليهود . وأرجع البعض ذلك الى فقره وحقده الاجتماعي ، بينما قال آخرون : أن سبب ذلك هو أنه قد « تمنى رياسة ما نالها (٦) ، فارتد وألحد » . والقاضي عبد الجبار يقول : انه تاب قبل موته (٧) .

---

(٤) ان ماكشفناه عن شذرات « كتاب فضيحة المعتزلة » ، يدل على انه وصلنا بأقرب صوره المكنة للاصل . يراجع كتابنا
Ibn ar-Rîwandî, chaps. iv, v, & vii, passim.

(٥) كذا في الاصل . والصحيح ، تبعا لعنوان الاستاذ نيبرك : الروندي .

(٦) في الاصل : ما نانالها ، وهو غلط مطبعي .

(٧) يشير محمد عمارة هنا الى مقدمة الاستاذ نيبرك لكتاب الانتصار (ط . القاهرة ١٩٢٥) ، ص ٢٢ – ٢٣ . فراجع نص هذه المقدمة في موضعها من كتابنا هذا ، قبل.

(٣٧/٥٥)

فوزي ، الدكتور فاروق عمر :
ـ لمحات تاريخية عن احوال اليهود في العصر العباسي ،
مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ،
بغداد (المجلد الاول / العدد الثالث) ١٩٧٢ .

[ص ٧٩]

... وقد اعتبرت بعض الروايات التاريخية ابن الراوندي (١) ، وهو من معاصري هيوي البلخي (٢) ، يهودي العقيدة ثم اعتنق الاسلام ووجد له في ابي عيسى بن (٣) لاوي الاهوازي اليهودي صديقا حميما ، وكانت افكاره خطرة على المجتمع الاسلامي مما دعى الكتاب المسلمين [الى] (٤) الرد عليه . (٥)

---

(١) يشير الدكتور فاروق هنا الى مصدره ، وهو كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد للخياط ، القاهرة ١٩٢٥ [انظر ص ٩٥ من المقال ، تعليق ٣٧ : وهناك يجب ان تقرأ « الانصار » على انها « انتصار » ، و « الراوندي » على انها « الروندي » تبعا لعنوان الاستاذ نيبرك Nyberg] . كما يشير الى مرجع اوروبي ، هو كتاب الاستاذ W. J. Fischel الموسوم :

Jews in the economic and political Life of Medieval Islam London 1937, p. 44.

(٢) تراجع مقالة الاستاذ Van Ess في هذا الكتاب ، فهناك نجد اسمه حيوي .

(٣) في الاصل المطبوع : ابن .

(٤) ناقصة في الاصل .

(٥) من الدهش ان نجد هذا الاستنتاج لمجرد ذكر « كتاب الانتصار » الذي يخلو من كون ابن الريوندي كان يهوديا بالفعل (!) فزميلنا الدكتور فاروق متاثر بـ Fischel في هذا المجال .

(٥٦/٣٨)

فخري ، الدكتور ماجد :
ـ تاريخ الفلسفة الاسلامية ،
ترجمة الدكتور كمال اليازجي ،
بيروت ١٩٧٤ . (★)

[ص ١٣٦]

الا ان المفكر الذي كان اشد تطرفا في تحدي العقيدة الدينية برمتها ، هو المفكر المتحرر الشهير ابن الراوندي (ت. ح ٩١٠) . فقد سلك طريق الشك الديني على وعورته ، بحكم ما يبدو أنه دافع فلسفي أصيل ، وذلك بجراة منقطعة النظير . واذا جاز لنا ان نثق بالمصادر التي لا شك في عدائها له ، والتي حملت الينا النزر القليل من اخباره الالحادية ، فاننا ننتهي الى ان هذا المفكر المتحرر قد انكر القضايا الالهية الكبرى المتصلة بالوحي والمعجزات ، وكذلك ـ على ما جاء في أحد المصادر ـ امكان ايراد اي دليل عقلي مقبول على وجود الله وحكمة تدابيره (١) . (لكن جميع الكتب التي انطوت على هذه الآراء لم تصل الينا ، شأنها في ذلك شأن امثالها مما وضع في هذا الباب) . وقد جاء عن ابن الراوندي ، في مصدر اقل عداء له ، انه انكر كل ما جاء من وحي منزل على انه من قبيل الفضول . فقد ذكر عنه انه جاهر بأن العقل البشري قادر [ص ١٣٧] على بلوغ معرفة الله ، وعلى

(★) يراجع الاصل الانكليزي للكتاب :
M. Fakhry, **A History of Islamic Philosophy**, N.Y. — London 1970.

(١) الخياط ، كتاب الانتصار ، ص ١١ ـ ١٢ .

التمييز بين الخير والشر . وهو رأي يتفق وتعاليم الكثرة من شيوخ المعتزلة، الذين سبق له أن كان واحدا منهم . فالوحي، بناء على ذلك لا لزوم له مطلقا . والمعجزات التي تقوم عليها دعوى النبوة جميعها باطلة . واهم تلك المعجزات ، من وجهة النظر الاسلامية ، هي اعجاز القرآن ، وهي في رأيه مما يتعذر اثباته . اذ ليس من غير المعقول ان يظهر كاتب عربي يفوق سائر كتاب العرب ببلاغة الاداء ، فيكون كتابه من ثم نسيج وحده في الروعة . ومع ذلك ، فان هذه الروعة لا تقتضي ضرورة ، ان تكون أمراً خارقا او معجزا . فنحن لا نستطيع ان ننكر ، ان هذا الاعجاز الادبي ، لا يقوم دليلا قاطعا ، بالنسبة الى من لا ينطق بالعربية من الاعاجم (٢) .

اما سائر الآراء المنسوبة الى ابن الراوندي ، نظير ازلية العالم ، وتفوق الثنائية (المانوية) على التوحيد ، وتهافت الحكمة الالهية (٣) ، فانها تعزز الاعتقاد بان هذا المفكر ، الذي كان أصلاً من ابرع واجل شيوخ المعتزلة ، وقع في ما بعد ، فريسة لشكوك خطيرة ، تولدت عنده من شدة الاستقصاء والتبحر في التنقيب ، حتى باتت اجوبة المتكلمين المالوفة وصيغهم المنمقة غير كافية لاقناعه .

ومع كل ما كان عليه ابن الراوندي من شهرة وتماد في الجراة الفكرية، بلغت به حد معارضة القرآن ، والسخرية من النبي محمد (٤) ، فقد تخطاه ، في تاريخ التحرر الفكري في الاسلام ، معاصر له وزميل فارسي اعظم منه شأنا ، هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ، الذي كان اكبر خارج على العقيدة في التاريخ الاسلامي برمته ، واشهر مرجع طبي في القرن العاشر ، دون ريب .

---

(٢) كتاب الزمرد ،
K. al-Zumurrud, in **Rivista degli Studi Orientali**, xiv (1934) , 93-129, ed. and transl. Kraus.

انظر ايضا : ابن النديم ، الفهرست ص ٢٥٥ .

(٣) العباسي ، معاهد التنصيص ، ج١ ، ص ١٥٥ وما بعد و :
Arnold , al-mu'tazilah, p. 53.

(٤) معاهد التنصيص ، ١٥٥/١ وما بعد ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٨٠ .

(٣٩/٥٧)

الاعسم ، الدكتور عبد الامير :
ـ الفيلسوف الغزالي ،
منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٤ .

[ص ١٤٠]

... لكنا نراه [= نرى الغزالي] سيظل من أبرز الروحيين في الاسلام ، مع ما طرأ من تغير في اديولوجيته العامة ، وهي حالة لم نر شبيها له فيها غير المفكر ابن الريوندي (من رجال القرن الثالث/التاسع الميلادي) الذي لم يستطع ان ينتهي لغير الالحاد (★) ، على عكس الغزالي ...

(★) كان رأينا مستنداً الى المشهور عن ابن الريوندي فيما بين سنتي ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨ عندما اعددنا كتابنا المذكور اعلاه . ومن الواضح اننا الآن نذهب الى راي مخالف في مشكلة عقيدة ابن الريوندي ، ومواقفه الفكرية من المدارس الفلسفية في عصره على الخصوص . انظر للتفصيلات كتابنا **Ibn ar-Riwandi,** ch. ii, passim.

(٥٨/٤٠)

الاعسم ، الدكتور عبد الامير :
ـ نصير الدين الطوسي ،
منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٥ .

[ص ٢٧]

... فاذا عرفنا ان الإنتساب الى المدن من اشد الموضوعات خطورة في تحديد المعالم الاولى للشخصيات الإسلامية ، أدركنا سر ارجاع الالقاب هاتيك الى أصولها الصحيحة ، لالقاء الاضواء المتعلقة بمناخ الطفولة على تلك الشخصية . وقد اكتشفنا اثر هذا الجانب النفسي في اكثر من واحد من مفكري الاسلام ، وبوجه خاص الغزالي (١) وابن الريوندي (٢) ...

[ص ١٥٩]

اما المصدر الهندي في الفلسفة العملية عند الطوسي ، فهو ما لم يتطرق اليه احد من الباحثين قبل الاستاذ كراوس Paul Kraus عندما بحث في كتاب « الزمرذ » لابن الريوندي وكشف عن اسطورة آراء البراهمة في النبوة التي اختلقها ابن الريوندي نفسه ، فانتقل تأثيرها الى المفكرين الاسلاميين ...

---

(١) انظر كتابنا « الفيلسوف الغزالي » ، ص ٧ — ١٠ .
(٢) انظر كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ٩ .

(٤١/٥٩)

البندر ، عبد الزهرة :
ــ نظرية البداء عند الشيرازي ،
النجف ١٩٧٥ .

[ص ٨٨]

ابتدأ الصراع الفكري حول مفهوم النظرية(★) بعد ان وضع « عمرو بن بحر الجاحظ » (١٦٣ ــ ٢٥٥ هـ/ ٧٨٠ ــ ٨٦٩ م) احد اقطاب المعتزلة ، كتابه [ص ٨٩] المسمى « فضيلة المعتزلة » ، الذي يحدثنا « نيبرج » عن هدفه فيقول « ان الفرض الذي رمى اليه الجاحظ بتأليفه لم يكن الثناء على المعتزلة وعد فضائلها، بل قصد ايضا الرد على الرافضة والطعن فيهم ووصف فضائحهم ، كما هو بين من جدول ابواب الكتاب الذي نقله الخياط في كتاب الانتصار » (١) .

ولقد جمع الجاحظ في كتابه المذكور كل ما يريد ان يقوله . وهذا بطبيعة الحال يحدث ردودا معاكسة من قبل الفكر المقابل لمواجهة الحال ، ولهذا انبرى له « ابو الحسين احمد بن يحيى المعروف بابن الراوندي

(★) [لقد اطلع البندر تفصيلا ، بناء على التماس من زميلنا الدكتور جعفر آل ياسين ، على نتائج بحثنا في ابن الريوندي في مخطوطة كتابنا **Ibn ar-Rîwandî,** passim ــ ولكن لا يفهم ذلك للاسف صراحة من سياق بحثه هنا سوى اشارته لكتابنا في التعليق التالي كمرجع عام ، فلاحظ] !

(١) الخياط ، الانتصار والرد على ابن الراوندي (كذا !) القاهرة ، ١٩٢٥م تحقيق نيبرج ، ص : ٢٣ .

(ت ٢٩٨ هـ/ ٩١٠ م) بالرد عليه في كتاب يدعى « فضيحة المعتزلة » (٢) ، الذي قال عنه في مطلعه « وانا مبتدىء الآن في رد ما حاولوا به التشنيع على الشيعة ، ومدخلهم في أكثر من أنكروه عليهم . [...!] ثم قال : وموجه بالكلام نحو الجاحظ ، فاني وجدته قد جمع كل حق وباطل أضيف اليهم في كتابه الذي يدعى « فضيلة المعتزلة » ، وجعله ابوابا ، منها باب ذكر فيه قول من قال منهم بالجسم والماهية وحدوث العلم والقول بالرجعة » (٣) .

ويظهر ان « ابن الراوندي » حال كتابته لكتاب « فضيحة المعتزلة » كان [ص ٩٠] يسمع تلك التهويلات التي تنسب الى بعض الشيعة من القول بالبداء والجسم والماهية بالمعنى المحرف او المنسوب . فهو بذلك يعتذر عن هؤلاء بأنهم رجعوا عن مقالتهم تلك المفاهيم . قال مخاطبا الجاحظ : « هل يدل غلط من غلط منهم في القول بالجسم والماهية والبداء على فساد قولهم ؟ » (٤) .

وليس كل ما حكاه الجاحظ عن الشيعة بالقول الواضح الذي يمكن ان نفهم منه مقالته تلك ، فيبدو ان سياق حديثه عنهم يلفه طابع الغموض والشبه التي لا يمكن ان يتخلص منها الجاحظ نفسه . وذلك باعتراف الخياط عندما علق على مضمون كتابه حول الابواب بقوله « وهذه الابواب (= ابواب) من لطيف الكلام وغامضه ، وقد تدخل شبها (= شبه) على العلماء ، وهو غير شبيه بخطأ الرافضة في قولها بالتشبيه وحدوث العلم ، وان الله تعالى قد كان غير عالم فعلم ، وانه تبدو (= يبدو) له البدوات . وانه اضطر عباده الى الكفر (به) والمعصية له بالاسباب والمهيجات ، والقول بالرجعة الى دار الدنيا قبل الآخرة » (٥) .

---

(٢) لا وجود مستقل لهذا الكتاب ، الا ان الدكتور عبد الامير الاعسم جمع شذراته من بطون المصادر وقام بتحقيقه وتقدم به رسالة لنيل الدكتوراه . ينظر : الاعسم : د. عبد الامير ، تحقيق كتاب فضيحة المعتزلة لابن الراوندي (كذا !) ، كمبرج ، ١٩٧١ م [راجع ما قلناه في ص ١٩٣ تعليق ٣ وص ١٩٤ تعليق ٤ ، قبل من هذا الكتاب] .

(٣) الخياط ، المصدر السابق ، ص : ١٠٣ . [Ibid., ch. iv, fr. 119-120 =] .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٤ [Ibid., ch. iv, fr. 121 =] ويبدو ان ابن الراوندي يقصد بقوله ما ينسب الى المختار وجماعته بقولهم بالبداء بالمعنى المخطوء . ولقد سبق لنا ان حققنا طبيعة المقالة تلك واثبتنا خطا نسبتها الى المختار .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٠٥ [كذا ! والصحيح ص ١٠٦ ـ ١٠٧] .

وهكذا اعتذر الخياط عن صاحبه الجاحظ فسد له عذر الخطأ بخطأ الشيعة ، فجاء الاعتذار أقبح من الفعل .

وقد رد « ابن الراوندي » قول الجاحظ حول نسبته البداء الى الشيعة بالمعنى المنسوب ، وصرح ان البداء الذي تذهب اليه الشيعة هو مقارب لمعنى النسخ عند المعتزلة ، فكل من البداء والنسخ توجبهما مصالح معينة خافية على العباد ، فالاختلاف هو في اللفظ فقط ، قال « فأما البداء، فان حذاق [ص ٩١] الشيعة يذهبون الى ما يذهب اليه المعتزلة في النسخ. فالخلاف بينهم وبين هؤلاء في الاسم دون المسمى » (٦) .

وينطلق « ابن الراوندي » من نفس معنى البداء ليجعله حجة ضد المعتزلة الذاهبين الى ان الله تعالى « خلق الناس والبهائم والحيوان والجماد والنبات في وقت واحد . وانه لم يتقدم خلق آدم خلق ولده ، ولا خلق الامهات خلق اولادهن ، غير ان الله اكمن بعض الاشياء في بعض . فالتقدم والتاخر انما يقع في ظهورها من اماكنها دون خلقها واختراعها . ومحال عنده في قدرة الله ان يزيد في الخلق شيئا . او ينقص منه شيئا » (٧) . ومع كل الاعذار التي قدمها الخياط لمقالة النظام هذه ، الا انه عاد واعترف بأن النظام كان يقول بالكمون معتذرا عنه بالرواية الواردة عن النبي (ص) الذاهبة الى ان الله مسح ظهر آدم واخرج (= فاخرج) ذريته منه في صورة الذر (٨) .

ومهما يكن من امر ، فان اعتذار الخياط لصاحبه لا يؤكد اكثر من ان النظام كان يقول بخلق الموجودات دفعة واحدة ، وان الحدوث انما يجري وفق ظاهرة الكمون . وبهذا المعنى اخذ « ابن الراوندي » على المعتزلة هذا الرأي . بحيث انهم قيدوا الله في افعاله ومنعوه التصرف كيف يشاء . ولذلك يتهكم « ابن الراوندي » على مقالتهم تلك فيقول « ولفعال تعرض له

---

(٦) المصدر السابق ، ص : ١٢٧ . [Ibid., ch. iv, fr. 140 =] .

(٧) المصدر السابق : ص ٥١ [كذا ! والصحيح ص ٥١ ـ ٥٢] ، وهي مقالة النظام احد رؤساء المعتزلة ، المطابقة لفكرة اصحاب نظرية الكمون والظهور .

(٨) المصدر السابق ، ص : ٥٢ ، [كذا !! والصحيح ص ١٣٣] .

البدوات ، ولا تتعذر عليه الافعال ، انبه ذكرا ، واعلى شأنا من فعال لا يستطيع ان يزيد في فعله شيئا ، ولا ينقص منه شيئا ، ولا يقدمه ولا يؤخره » (٩) . . . . [ص ٩٢] . . . فالخياط لا يقر اي تقريب يقدمه ابن الراوندي . فمثلا عندما احتج عليه بأن الفرق بين البداء والنسخ هو في الاسم فقط ، فالخياط هنا يعتبر ذلك من باب التغطية ، ويقول « أن الرافضة لا تعرف ما حكيت . وانما خرجه لهم منذ قريب نفر صحبوا المعتزلة . فأما الرافضة بأسرها فانها تقول بالبداء في الاخبار . وليس القول بالنسخ في الامر والنهي من القول بالبداء في الاخبار في شيء » (١٠) . . . [ص ٩٣] وهذا الفهم الخاطىء للنظرية هو الذي ادى الى جعلها معطلة التفسير، والكشف عن مضامينها لدى المعتزلة . لانهم اعتبروا البداء تناقضا وكذبا في الاخبار . كما صرح بذلك قاضي القضاة في شرح الاصول قائلا « وأما البداء فانه لا يكون بداء الا عند اعتبار امور ، نحو أن يكون المكلف واحداً ، والوجه واحدا . ثم يرد الامر بعد النهي او النهي بعد الامر » (١١) .

واذا كان المعنى الذي أدرجوه للبداء كما ترى ، فمن أين تحصل النظرية على تفسير جاد يجعلها تطابق المحمول الذي أقره المسلمون جميعا ؟ واضافة الى ذلك ، ان المعتزلة ذهبت الى ان ظاهرة التغير كالإستجابة والمغفرة تدرج تحت مفهوم القضاء الذي خص الله به الانسان ضمن اصل الوعد والوعيد . حيث يظهر لنا ذلك في احتجاج « ابن الراوندي » على الجاحظ ورد الخياط عليه ، فيذكر ابن الراوندي ان حجج النظرية عند الشيعة هي قول غيرهم استنادا لحديث الرسول (ص) « ان الصدقة تدفع القضاء المبرم » ، والخياط يذعن لحقيقة الحديث الا انه يقول « فلقولها تأويل وهو : ان من منع زكاة ماله فقضى الله عليه انه فاجر فاسق من أهل الوعيد ، فاذا تصدق بها واخرجها ، ازال الله عنه ذلك القضاء ، وقضى له بقضاء غيره ، وهو انه يرتقي من اهل الوعد في الجنة » (١٢) .

---

(٩) المصدر السابق ، ص : ١٢٩ ـ ١٣٠ . [Ibid., ch. iv, fr. 143 =] .

(١٠) المصدر السابق ، ص : ١٢٧ .

(١١) القاضي ، عبد الجبار ، شرح الاصول الخمسة ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ص : ٥٨٤ .

(١٢) الخياط ، المصدر السابق ، ص : ١٢٩ . [Ibid., ch. iv, fr. 142 =] .

(٦٠/٤٢)

القيسي ، الدكتور نوري ، والعاني ، الدكتور سامي مكي :
ـ منهج تحقيق النصوص ونشرها ،
بغداد ١٩٧٥ .

[ص ١٠٩]

ومن القصص الطريفة في التصحيف ، ما حكاه ابـــن النديـــم في الفهرست عن ابن الراوندي ، قال (١) :

« مررت بشيخ وبيده مصحف ، وهو يقرأ (ولله ميزاب السموات والارض) ، فسلمت وقلت : يا شيخ ايش تقـــرأ ؟ قال القـــرآن (ولله ميزاب السموات والارض) . فقلت : مـــا تعنـــي بـ (ميـــزاب السمـــوات والارض) ؟ قال : هذا المطر الذي ترى . فقلت : ومـــا يكون التصحيف آلا اذا كان مثلك يقرأ . انما هي (ميراث السموات والارض) . فقـــال : اللهم غفرا ، منذ اربعين سنة اقرأها ، وهي في مصحفي هكذا » (٢) .

---

(١) اشار المؤلفان الى « الفهرست ٢١٧ ، ط . ايران » .

(٢) قارن نص ابن النديم في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ٨٩ .

(٤٣/٦١)

الجبوري ، عبد الله :
ـ مقدمة (ابن درستويه) ،
الجزء الاول ،
بغداد ١٩٧٥ .

[ص ٤٧]

[من بين مؤلفات ابن درستويه] :

نقض الراوندي على النحويين (١) ، ذكره ابن النديم في (الفهرس) (٢) ، والقفطي في (انباه الرواة) (٣) .

---

(١) قارن لمعرفة العنوان الصحيح ، كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ٨٥ ، حيث اشير هناك الى كتابي الاخر Ibn ar-Riwandi ch. ii note 73 ، والى بحث الاستاذ كراوس Kraus R.S.O. XIV p. 362 ، قارن الترجمة العربية للدكتور بدوي ، ملحقة بهذا الكتاب .

(٢) اشار الجبوري الى « ص ٦٣ » من الفهرست .

(٣) الاشارة هنا الى الجزء الثاني ، ص ١١٤ ، تبعا للجبوري .

(٦٢/٤٤)

فان اس ، جوزيف :
ـ الفارابي وابن الريوندي ،
ترجمة الدكتور كامل مصطفى الشيبي والدكتور عبد الامير الاعسم ،
بحث القي في مهرجان الفارابي/بغداد ١٩٧٥ (★) .

[ص ١]

ان الموضوع لا يقترح نفسه . الفارابي وابن سينا ، الفارابي وارسطو لم لا ؟ لكن الفارابي وابن الريوندي ! اذ الفيلسوف الذائع الصيت لم يمل الى المتكلمين مطلقا ، اذن فلماذا يقوم شيء مشترك بينه وبين اكبر الزنادقة في الاسلام ، الزنديق الذي حاولت الاجيال بعده ان تثقله بشتى الافتراءات والشبهات . على انه ينبغي ان يشار الى ان ابن الريوندي كان المتكلم الوحيد الذي افرده الفارابي باهتمام يتمثل برد صريح على عمل من اعماله ، فابن اصيبعة يشير ، ضمن مؤلفات الفارابي ، الى رسالة في نقض « كتاب أدب الجدل » لابن الريوندي . (جـ ٢ ، ص ١٣٩ ، س ٧ ، ط . مللر Müller) .

اما كتاب ابن الريوندي المذكور فلا نعرف عنه كثيرا ، فلم يصل كاملا ولا على صورة شذرات . ومع هذا يبدو انه كان فعالا في الاوساط الفلسفية . فالمعتزلي ابو القاسم البلخي ابن الكعبي (توفي ٣١٩/٩٣١)

(★) ترقيم الصفحات بموجب اصل البحث المقدم للمهرجان ، وقد نشر ضمن كتاب « الفارابي والحضارة الانسانية » ، وازرة الاعلام ، بغداد ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٨ ، كما نشرته مجلة الرابطة الادبية (النجف ، عدد ٦ ، السنة الثانية ، كانون الثاني ١٩٧٦ ، ص ٦٣ ـ ٧٤ ، ونشر في مجلة آفاق عربية (بغداد ، السنة الاولى ، العدد ٦ ، شباط ١٩٧٦ ، ص ١٢٦ ـ ١٢٩) .

صحح اغلاطه ، في كتابه « اصلاح غلط ابن الريوندي » (ذكره ابو رشيد النيسابوري في كتابه « مسائل الخلاف ») ، والتي تصدى لنقضها الاشعري (توفي ٩٣٥/٣٢٤ ـ ٦) الذي ربما علق عليه ايضا آن كان لنا آن نربط رسالة « شرح ادب الجدل » بما يوافق هذا الظرف .

والمعروف ان كلا الكعبي والاشعري كانا اسن من الفارابي ، وقامت خصومتهما خلال سني حياة الفيلسوف . وبقي كتاب ابن الريوندي مدونا بعد قرن من هذا التاريخ واشار اليه الحنبلي المتقلب ابن عقيل (٤٣١/ ١٠٤٠ ـ ١١١٩/٥١٣) في « كتاب الفنون » له (قارن الاقتباس غير الواضح [ص ٢] في «كتاب الآداب الشرعية» لابن مفلح، جـ٢ ، ص ١٢٠ (الذي يقول فيه) وله الجدل) ، وربما استعمله في كتابه الضخم « الواضح » الذي تناول فيه مشاكل فن الجدل (The ars disputandi.) الذي نستطيع وصفه ـ على العموم ـ بالمنهج المدرسي . وقد لاحظ جورج مقدسي بأن « كتاب الواضح » ومصدرا آخر مهما لكتاب « ادب الجدل » وهو « كتاب الانوار » للقرقساني المتكلم القرائي (عاش في النصف الاول من القرن العاشر (الميلادي) ، قارن الترجمة الوثيقة الصلة بموضوع النص من نشر فيدا) (G. Vajda) R.E.J. (122/1963/7 ff) كلاهما نقل النص عينه الذي يحمل طابع الإعتزال . وقد وقف في صف الرماني النحوي المعتزلي البغدادي البارز (توفي ٩٩٤/٣٨٤) الذي اقتبس من قبل ابن عقيل آقتباسا مباشرا . ومع ان هذا يبدومقنعا بالنسبة لابن عقيل ، فهو ادنى من ذلك بكثير بالنسبة للقرقساني ، الذي كان معاصرا للرماني وربما اكبر منه بكثير ايضا (ويحق لنا الآن ان نفترض شهرة كتاب ابن الريوندي في تلك الايام . ولكن ان يكون الوضع دفاع الاشعري واقتباس ابن عقيل والقرقساني ، فهل من الكثير على هذا الكتاب ان يقدر ويناقش لمجرد صدوره عن زنديق ؟

بقي ان نذكر ان القرقساني كان يهوديا ، وهذا يعني انه لم يعنه صحة او خطأ ما يدور في مجال علم الكلام الاسلامي . ومع ان الاشعري وابن عقيل وقعا تحت تأثير الاعتزال ، ولم يكونا معتزليين بالذات ، فقد كان تأصل الخصومة ضد ابن الريوندي بفعل المعتزلة . وليس من شك في ان الوقوع في ابن الريوندي كان مثار سعادة مبسورة لكل من تسول له نفسه ذلك ، ومع ذلك ، فقد مر زمن كان فيه الناس قادرين على التمييز ما دامت

ثمة فرصة للرجوع الى الاصول التي استقى منها ولو كان مرتدا . والى جانب هذا يبدو ان السبب في هذه الخصومة كان جغرافيا اقليميا اذ ظهرت التشنيعات المغرضة الدائرة حول ابن الريوندي في العراق ، على يد الجبائي في البصرة والخياط في بغداد . وفي مقابل ذلك عاش ابن [ص ٢] الريوندي مدة طويلة فيما وراء النهر — اذ يعود في اصله الى مرو الرود — وظل مقدرا في تلك المنطقة كمتكلم بعد مغادرته لها . ومن هنا ، كان للكعبي فيه رأي متوازن ، (بسبب كونه من بلخ) ولم تؤثر فيه تلمذته للخياط وقد ذكره في كتابه « محاسن خراسان » (الذي اقتبس منه ابن النديم في كتابه « الفهرست ») . واهم من ذلك ان (الامام) الماتريدي ، (باعتباره من تلك الاقاليم) ، (توفي ٩٤٤/٣٣٣) ، يشير الى ابن الريوندي بشكل ايجابي جدا وذلك في كتابه « التوحيد » وفي كتابه « تأويل اهل السنة » كما فعل ذلك بعده الماتريدي ، نور الدين احمد بن محمود الصابوني (توفي ١١٨٤/٥٨٠) في كتابه « كفاية في الهداية في اصول الدين » ومصداقا لذلك تحولت الاتهامات المتطرفة ضد ابن الريوندي عند الماتريدي في كتابه « التوحيد » الى تنصيصات منقولة عن ابي عيسى الوراق ، المعتزلي المشهور ، الذي عرف بكونه مؤرخا لتراث الزنادقة واتهم ايضا بكونه صاحب نزعات مانوية ، وكان ابن الريوندي نفسه هو الناقض لها في دفاعه عن الاسلام ، او تفسيره الخاص للاسلام . اننا لسنا على يقين من انتساب ابي عيسى الوراق الى المانوية ، كما دمغ في معظم مصادرنا فيتبين لنا الآن ان ابن الريوندي لم يجاوز المنطق في الاشارة الى هذه التهمة ، كما تذهب اليه اكثر مصادرنا .

وبعد ، فلا نعلم على وجه موثوق به ماذا وقع لابن الريوندي في بغداد والسبب الذي حدى بخصومه العراقيين الى الوقوف منه هذا الموقف الشديد . فالجبائي يتهمه بانه لم يقصد الا اثارة الارتباك والتشكيك ، حتى قيل انه لم يكن يصنف الا ابتغاء الشهرة — وكان ذلك ، بالمناسبة ، تصرفا طبيعيا يمارسه المتكلمون والعلماء عامة . لقد كان الجبائي ممثلا للاعتزال في العراق ، بينما ابن الريوندي ينتمي الى جذور فكرية مختلفة .

ومن ناحية اخرى ، لم يبتعد الشريف المرتضي عن هذه النقطة كثيرا في رده على نقدات الجبائي — وذلك في كتابه « الشافي في الامامة » حين ذكر

ان ابن الريوندي ــ في مصنفاته، وبخاصة كتبه الاربعة المشهورة [ص ٤] التي نقضت عدة مرات ووصفت باقذع الالفاظ لمجرد النقد ــ ابن الريوندي هذا كتب كتبه لان زملاءه المعتزلة طالما وقعوا فيه وطعنوا في سلوكه فأراد بذلك ان يدلل على ضعفهم . لكنه تخلى عن هذا الموقف بعد ذلك وقد كان ابن الريوندي مثل الجاحظ في قدرته على اتخاذ مواقف مختلفة قد لا تكون بالضرورة من رأيه الشخصي ، وبالجملة أعرض ابن الريوندي عن اتباع المعتزلة واتخاذ مواقفهم وحرص على ان يسمي التي استقى منها (الشافي ، ص ١٣ ، س ٣ وما يليه) . وعلى هذا فربما صح القول : ان ابن الريوندي دفع النزعة الجدلية لعلم الكلام المعتزلي الى غايتها . ومع انه لم يكن متطرفا بنفسه ، الا انه استنفذ كل الامكانيات التي يتضمنها منهج أقرب للنقد الهدام منه الى العرض المنظم للافكار المتسقة . كان هذا بالذات السبب في أن كتبه المختلفة لم يجمعها طابع واحد يجعلها تبدو متكاملة . وكمثل على ذلك ، وجدناه في « كتاب التاج » يدلل على قدم العالم ، وفي « كتاب القضيب » دلل على ان الله لم يكن يعلم شيئا مما خلقه في العالم قبل خلقه بل أحاط بالأشياء علما بعد خلقه لها . وفوق هذا ، فلم يلتزم ابن الريوندي بقضايا محددة بل كافح في كسر الغرور الذي اتصفت به المدرسة العراقية ! لقد اراد اثارة روح الشك والتردد في قلوب رجالها دون ان يكون شاكا بنفسه .

فاذا جاء الفارابي ليهاجم ابن الريوندي « ادب الجدل » ، لم يوجه هجومه الى زنديق بل الى ممثل نموذجي لمنهج يقع ضمن الاطار الارسطي ، منهج لا يتسع لليقين الذي يورثه الاستدلال القياسي ، بل يتحول الى منهاج فاسد يتمثل في ولع بالجدل العدواني الصرف .

وواضح ان هذا المنهج لا صلة له بفن التحليلات الثانية التي يتضمنها « كتاب البرهان » ، بل هي من موضوعات « كتاب الجدل » (ويرى الفارابي) انه اذا ساغ للمتكلمين الاعتقاد بأن في استطاعتهم الوصول الى اليقين فذلك وهم واضح ، لان هدف المتكلمين من منهجهم هذا الذي يتمثل في « سكون النفس » انما هو مقولة لا تتعدى البرهان الخطابي ــ وانما تعني [ص ٥] القناعة بفهم شيء معين بقطع النظر عما يحتويه من حقيقة . اما الحقيقة نفسها ، فتبقى صعبة المنال في كل وقت ولا يمكن تقبلها الا كرها (قارن الفارابي ، كتاب البرهان ، ص ٢١٤ ، س ١٧ وما يليه) . وكما

يقضي به المنهج بكامله ، يبدو ان فكرة « سكون النفس » مجرد شعور ذاتي يقضي بأن المرء على حق دون ان يكون ضمانا موضوعيا لاكتشاف الحقيقة.

ولم يكن هذا كله شيئا جديدا ، بل يؤسفنا ان نقرر انه اقرب الى العموميات . وبعد ، فاننا نفتقد اي خبر موثوق عن « كتاب أدب الجدل » لابن الريوندي ، ونقض الفارابي له . وفي هذا المجال ، يمكن ان نتقدم خطوة اخرى ، ذلك انه ليس من المؤكد ما جاء عن نقض الفارابي لهذا الكتاب وحتى الآن لم نتجاوز اشارة ابن ابي اصيبعة في « عيون الانباء » وترد في « كتاب تاريخ الحكماء » للقفطي ، الذي هو واحد من المصادر الرئيسية لابن ابي أصيبعة ، فقرة تتضمن عنوانين : هما « كتاب في أدب الجدل » للفارابي نفسه ، و « كتاب الرد على ابن الريوندي » دون مزيد من التفصيل (ص ٢٧٩ ، س ١٥ ، ط لبرت Lippert) . وعلى ذلك ، فعلينا ان نبحث بطريقة آمنة عن مادة اضافية تدور حول هذا النزاع بين الفارابي وابن الريوندي . من هنا ، فان الخروج من هذا الغموض يشبه البحث عن ابرة في حزمة قش . ومع هذا ، فربما أمكن تضييق دائرة بحثنا بتوجيه السؤال التالي : ما الافكار او المواقف ذات الاتصال بابن الريوندي التي فرضت نفسها على الاجيال التالية وهل نص عليها في مصنفات الفارابي ؟ على ان شيئا واحدا ينبغي ان يبين منذ البداية ذلك ان الفارابي لم يشر بتة الى ابن الريوندي في كتبه التي وصلت ودرست حتى الآن . وينبغي ان يشار الى آن كلا الفارابي وابن الريوندي قدم من شرقي الأمبراطورية العباسية الاول من ما وراء النهر (فاراب) والثاني من خراسان (مرو الروذ) ، واذا فصلت المنطقتين المئات من الكيلومترات ، فانهما قريبتان من حيث الجذور الثقافية . واذا تحدث الفارابي عن علم الكلام بطريقته الخاصة ، فانه قد لم يضع في اعتباره المدرسة العراقية للاعتزال ، وربما كان اهتمامه في الاشعري [ص ٦] يقل من ذلك، لكن نظره توجه الى الكعبي (الذي درس في بلخ) وكذا ابن الريوندي (الذي جاء من مناطق أقرب) .

هناك نقطة أخرى تفرض نفسها على اذهاننا ، الى جانب النزاع الكلامي المذكور ، تلك هي الخاصة بالوحي ، فقد ذاع اتهام ابن الريوندي بجحوده للنبوة ، وهي فكرة ترتكز على شذرات وصلت من كتابه « الزمرد » التي حفظها نقض متأخر لها من تاليف الداعي الاسماعيلي

المؤيد في الدين (توفي ٤٧٠/١٠٧٨) ، ونشر شذراته بول كراوس (Paul Kraus) في مجلة الدراسات الشرقية (R.S.O.) ، المجلد الرابع عشر سنة ١٩٣٤ . وقد صبت هذه المناقشة على الوجه التالي : (ففي راي ابن الريوندي) « ان العقل اعظم نعم الله سبحانه على خلقه » وجاءت النبوة مكملة له ، « فاذا كان الرسول يأتي مؤكدا لما فيه (في العقل) من التحسين والتقبيح والإيجاب والحظر ، فساقط عنا النظر في حجته . . . وان كان بخلاف ما في العقل من التحسين والتقبيح والاطلاق والحظر ، فحينئذ يسقط عنا الاقرار بنبوته » (CF. Ibid, XIV, P. 111)

وقد أشار النص المذكور الى ان هذه حجة البراهمة . وبعد ان تصدى كراوس لايضاح هذا النص ، تبين ان ربطه بابن الريوندي لم يكن الا على شكل واجهة اختفى وراءها ، ولعله خشي من تصريحه بها لما فيها من شناعة . وقد ظهرت مادة جديدة في « كتاب التوحيد » للماتريدي يبدو فيها ان القضية لم تكن على هذا النحو ، بل على النقيض من ذلك وجدنا ابن الريوندي قد بذل وسعه لنقض هذا الراي . فقد كان الامر عنده احراجا منطقيا كاذبا يلقي الحجة به على خصمه ، ذلك انه لا تناقض مباشر بين العقل والوحي ، ويقتصر الامر على موقف حدي يختار فيه المرء بين واحد من الضدين او كليهما ، وذلك بخصوص المواقف والحقائق التي قد يعدها العقل قبيحة ابتداء ، لكنه يكتشف فيما بعد ما فيها من حسن او فائدة عن طريق الوحي . لم يكن ابن الريوندي موافقا للبراهمة ، بل خصما لهم ولا يعني هذا بالضرورة انهم زادوا وضوحا الآن عما سبق. ذلك ان هذه [ص ٧] الحجة المذكورة قد نسبها الماتريدي في «كتاب التوحيد» الى ابي عيسى الوراق . واذا افترضنا أن كلا النصين يتصلان بأصل واحد ، ونقصد به « كتاب الزمرذ » لابن الريوندي ، بدا لنا ابو عيسى مختفيا وراء ستار البراهمة. وعلى هذا، فربما نقل ابن الريوندي هذا النص من « كتاب الغريب المشرقي » لابي عيسى الذي صور فيه المؤلف الغريب الآتي من الشرق ربما على صورة برهمي يظهر دهشته من العقائد الغيبية التي يتفوه بها انصار الوحي . ولم تبذل الاجيال التالية جهدا يذكر لصون الموقف المقابل المعقد للاشخاص والروايات المختلفة ، بعيدا عن الحقد والجهل ، والا لظهرت في بساطة ووضوح الوحدة التامة التي تجمع بين ابن الريوندي من جهة وابي عيسى والبراهمة من جهة أخرى .

لقد وجدنا ظاهرة محددة تنفي هذه الوحدة لا لاسباب تتعلق بالنقد الداخلي للنص وحدها ، بل تضيف الى ذلك ملاحظة تدور حول الاشخاص المعنيين بها ايضا . ذلك ان أبا عيسى والبراهمة لم يعارضوا جوانب من الوحي تتناقض مع العقل أو لا تقبل التفسير به فقط ، بل رفضوا كل حق فردي موروث في الشريعة الالهية لا يتمشى معها خصوصا تقديم القرابين . وتبعا لحكم العقل ، انه ــ كما يقول ابو عيسى في الشذرة المحفوظة في « كتاب التوحيد » للماتريدي ، وكما تنسب الى البراهمة في المصادر الاخرى ــ « مستحق للوم من أذى مخلوقا لم يرتكب خطأ » ، ولكن هذا بالضبط ما يحدث في تقديم الاضاحي . وليس هذا الاعتراض جديدا بالمرة، ففي اثبات المعتزلة للخير المحض لله وقفوا حائرين امام معضلة تعذيب الحيوان المسالم والاطفال الابرياء . ومما يذكر أن المتكلم اليهودي حيوي [= حيويه ؛ (Haiyoya) البلخي ، الذي اشتهر فيما بين ٨٥٠ و ٩٧٥ (للميلاد) اعني خلال سني حياة ابن الريوندي ، قد تساءل ايضا عن حكمة تقديم الاضاحي . لكن فقرتنا هذه تعني بأمر مختلف ، اذ هي منقطعة الصلة بمسالة الخير المحض لله ، وحيوي ، من جهة أخرى ، لم يعارض الذبح في حد ذاته ، بل تساءل : لماذا صار الدم والسمن طعاما سائغا لدى [ص ٨] الله ؟ وما يبدو جديداً حول مناظرة البراهمة تركيزهم على شرعية تقادم العهد على حلية ايلام الحيوان . ويتمشى هذا مع عقيدة الاهمسا (Ahimsa) عندهم ، ويتفق أيضا مع النزعات المانوية عند ابي عيسى الوراق التي لم يدخر ابن الريوندي وسعا في نقضها عليه . ولقد كان لهذه العقيدة سابقة عند كلا ابن الريوندي وابي عيسى ، فبالنسبة للاول كانت مجرد تبرير عقلي استمده من دين غريب عن الاسلام . ومع هذا تفهم ابن الريوندي ما يتعلق بمضمون تلك العقيدة بحكم اقامته في منطقة لم يكن البراهمة والبوذيون فيها طيورا نادرة او سطورا في الاسفار ، وانما حقيقة واقعة . اما بالنسبة لزملائه المتكلمين في بغداد فقد كانت العقائدية المانوية زندقة واضحة .

لقد رد ابن الريوندي على هذا الاحتجاج بالطريقة الماضية على مقولة: ان ذبح الحيوان ان ظهر منافيا للعقل للوهلة الاولى ، فان هذا الانطباع لا يلبث ان يتغير كلية (حين) يتعمق المرء بحث هذه القضية ويكتشف مغزاها الباطن (الماتريدي ، التوحيد ، ص ٢٠١ ، س ١ وما يليه النص محرف للاسف) . الى جانب هذا ، يضع ابن الريوندي هذه الفكرة في سياق

كلامي اوسع : ذلك ان جميع الوصايا التي يتضمنها الكتاب المقدس ذات هدف في ذاته ، لانها وردت على لسان نبي معصوم من الكذب مدلل على صدقه بمعجزاته أو بتصريح الانبياء السابقين عليه باسمه وهذه نقطة لا نستطيع تجاوزها في هذا المكان ، ولكن نكتفي بالقول : بأننا سنصل ـ كما يبدو ـ الى بيت القصيد في شأن الاسلوب الذي صب ابن الريوندي فيه هذه الفكرة . ومرة اخرى طور ابن الريوندي هذه الفكرة بشكل يغاير ما عند ابي عيسى الوراق الذي كان منكرا للمعجزات او امكانية اقامة الدليل عليها ، وكذلك كان ملعونا مثله في العرف المتأخر .

وحملا لكل هذا في الذهن ، نتجه الآن الى الفارابي . ففي فقرة معروفة ومشبعة بحثا تقع في نهاية « كتاب احصاء العلوم » يصف الفارابي [ص ٩] وظيفة علم الكلام. فبعد تعريف عام مشبع بروح أرسطية بحتة، يؤكد الفارابي المنحى التبريري لعلم الكلام دون الطابع البناء له . وبعد التفريق بين وظيفتي المتكلم والفقيه ، يشرع الفارابي في ادراج موقفين اساسين يقفهما المتكلمون في الدفاع عن قيمة الدين الموقف الاول يكمن في اقامة الدليل على ان الدين يتجاوز العقل (ص ١٠١ ، س ٣ ، ص ١٠٣ ، في النهاية) الموقف الثاني في حالة تطبيقه على الصورة التي توافق التأويل المناسب (ص ١٠٤ ، س ١ وما يليه) . ويبدو هذا اساسا وكأنه اشارة الى الحنابلة والاشاعرة من جهة والى المعتزلة من جهة اخرى . لكن دعونا لا ننسى بأنه في هذا الوقت بالذات كانت الاشعرية تتخذ للتو شكلها ، بينما كان الفكر الحنبلي آنئذ بذي منزلة كبيرة في دوائر علم الكلام ، اذ كان قوة هدامة له فقط . والاهم من ذلك ، ان البديل الاول لهذا الراي قد صب بشكل يوافق مشكلة الوحي كما عولجت من قبل ابن الريوندي (يقول الفارابي) : « ان الانسان انما سبيله ان تفيده الملل بالوحي ما شأنه ان لا يدركه بعقله وما يخور عقله عنه ، والا فلا معنى للوحي ولا فائدة . اذا كان انما يفيد الانسان ما كان يعلمه وما يمكن اذا تامله ان يدركه بعقله » .

(ويقول) : « لذلك ينبغي ان يكون ما تفيده الملل من العلوم ما ليس في طاقة عقولنا ادراكه ، ثم ليس هذا فقط ، بل وما تستنكره عقولنا ايضا »

(ويرى الفارابي) أن الدين والوحي لهما وظيفة التربية المدرسية ، لانهما يبينان الى اي حد يتفاوت العقل البشري الضعيف عن العقول الالهية ولهذا فان الدين والوحي ليسا متعارضين في حد ذاتهما ، بل يبدو ذلك ظاهريا في حالات اختلاف التوازن في ادراك الاشياء . (ويقول الفارابي :) في وجوب صحة الدين والوحي : « ان الذي اتى بالنص من عند الله صادق لا يجوز ان يكون قد كذب ، ويصح ذلك اما بالمعجزات التي يعقلها او تظهر على يديه ، واما بشهادات من تقدم قبله من الصادقين المقبولي الاقاويل على صدق هذا ... »

وينبغي ان نقرر ان الفارابي لا ينحاز الى جانب اي واحدة من [ص ١٠] الوظيفتين ، لأن الكتاب الذي ألفه غير قابل للنقد ، بل للوصف . وربما اكتشفنا تعاطفا طفيفا مع البديل الذي قدمه ابن الريوندي ، ذلك انه يستمر ليرينا أن زملاء ابن الريوندي ، العقليين منهم واصحاب التاويل يواجهون صعوبات خطيرة من الوصايا الغيبية ، التي تعجز عن تقديم تفسير لهذه الغيبيات . وفي الاخير انها يجب ان ترتد الى جواب ابن الريوندي على المسالة ، (وفي ذلك يقول الفارابي :) « وقوم من هؤلاء رأوا ان ينصروا امثال هذه الاشياء ــ يعني التي يخيل فيها انها شنعة ــ بأن يتتبعوا سائر الملل فيلتقطوا الاشياء الشنعة التي فيها: فاذا أراد الواحد من اهل تلك الملل تقبيح شيء مما في ملة هولاء ، تلقاه هولاء بما في ملة اولئك من الاشياء الشنعة فدفعوه بذلك عن ملتهم » . وعلى هذا ، فالفارابي لا يهاجم ابن الريوندي في هذا الموضع ، لكن يبدو من المؤكد بانه كان له اسلوبه الخاص الذي لم يستمده من الحنابلة ولا الاشاعرة ، (لانه انتقدهم جميعا) . حتى ان ابن الريوندي نفسه يبدو بالنسبة للفارابي ، ادنى الى ما اعتدنا ، منتميا الى علم الكلام التقليدي الذي تعارفنا عليه . كل هذا يفسر ارتباكنا ، ويفسر لماذا لجأ ابن عقيل الحنبلي الى جواب ابن الريوندي على مسألة ايلام الحيوان ــ ولماذا عنف من قبل الجناح المحافظ لمدرسته ليرجع عن زندقته علانية .

وقد حدث كل هذا في سنة ٤٦٥/١٠٧٢ ، اي بعد مرور اكثر من قرن على وفاة الفارابي .

لقد تناول الفارابي ابن الريوندي بالبحث ، لكنا يؤسفنا ان نقرر انه لا نعرف الطريقة التي اتبعها في هذا الشأن . وما نعلمه من ذلك بالتأكيد انه لم يفعل ذلك بطريقة ودية ، لانه رد عليه . ولعله من المثير ان يتأمل كيف اصطدمت فكرته عن النبوة بأفكار ابن الريوندي ، ولعله ليس من الصعوبة بمكان ان يقدم جواب عام على هذه المسألة ، لكن الاجوبة الشاملة سهلة ميسورة وليست لها اهمية . وبعد ، فقد استهلكنا كثيراً من الافتراضات والظنون (★) .

(★) عندما قدم صديقنا الاستاذ جوزف فان اس ، رئيس قسم الدراسات الشرقية في جامعة توبنكن ، هذا البحث الى مهرجان الفارابي (الذي انعقد في بغداد من ٢٩ تشرين اول الى ١ تشرين ثان عام ١٩٧٥) لم يكن لديه وقتذاك علم باهتماماتنا الخاصة والطموحة في دراسة ابن الريوندي وللمة شعثه من المصادر والمراجع ! وبالرغم من ان بحثه أعلاه يبدو مقتضبا هنا ، وهو ترجمة امينة وكاملة للنص الانكليزي الذي بعثه الينا ، لكن الجديد بل الاصيل فيه هو انه استطاع ان يكشف بوضوح عن النزاع غير المنظور بين المدرسة العراقية والمدرسة الخراسانية في الفكر المعتزلي ابان القرن الرابع الهجري [العاشر الميلادي] . اما بخصوص كتاب ابن الريوندي في ادب الجدل ، الذي رد عليه الفارابي بكتاب خاص ، فكلاهما ويا للاسف مفقود ، ولم نعثر في ما بين ايدينا من المصادر على ما يتصل بهما ، ولاجل ذلك تبقى الامور رهن تخمين وعموميات لا ثمرة فيها على الاطلاق .

(٤٥/٦٣)

الاعسم ، الدكتور عبد الامير :
ـ الشعر المنسوب الى ابن الريوندي ،
مجلة كلية أصول الدين (بغداد) ،
المجلد الاول (١٩٧٥) .

[ص ١٦٨]

(خطة البحث)

(١) تمهيد .

(٢) الشعر المنسوب الى ابن الريوندي .

ا ـ القطعة الاولى .

ب ـ القطعة الثانية .

ج ـ القطعة الثالثة .

د ـ القطعة الرابعة .

(٣) تحليل موقف ابن الريوندي في شعره .

(٤) نظائر لاشعار ابن الريوندي .

(٥) جريدة المصادر والمراجع .

أ ــ المصادر :

١ ــ المخطوطات
٢ ــ المطبوعات

ب ــ المراجـع :

١ ــ العربيـــة
٢ ــ الاوروبية

١ ــ تمهيـد :

لم يعرف ابن الريوندي (ابو الحسين ، احمد بن يحيى بن محمد بـن اسحاق ، المشهور خطأ بالروندي او الراوندي (١) بين مفكـري [ص ١٦٩] القرن الثالث الهجري [التاسع الميلادي] شاعرا كمعاصريه من الشعراء ، او حتى المفكرين الذين قالوا الشعر كابراهيم بـن سيار النظام (٢) . فشهرته كمتكلم ، وناقد ، وجدلي مناظر (٣) ، هي الطاغية على ما وصل الينا مـن المصادر الاولى الموثوقة في سيرته وفكره (٤) . ومع ان مؤلفاته الاربعة عشر ومائة كتاب (٥) فقدت بكاملها . الا اننا لا نعلم انـه خصص كتبـه هاتيك للشعر ، او العناية به على الاقل .

ولعل من أهم الاسباب الكثيرة في ضياع مؤلفات ابـن الريوندي تلـك الضجة العظيمة ، والمفتعلة ، التي أثارها المعتزلة ضده في حياتـه وبعـد

---

(١) ينظر في هذا للتفصيل : Al- A'asam, A. A. : **Ibn ar-Rîwandî's Kitab Fadihat al-Mu'tazilah**, Ph. D. Dissertation, University of Cambridge, 1972, ch. i, pp. 3-4 note

(٢) يراجع بلبع ، عبد الحكيم : ادب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري ، القاهرة ١٩٥٩ .

(٣) قارن التوحيدي ، البصائر والذخائر ، تحقيق د. ابراهيم الكيلاني، دمشق ١٩٦٤ ، ص ٢١٧ .

(٤) يراجع كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » الذي صدر عن دار الآفاق الجديـدة في بيروت ١٩٧٥ . وبوجه خاص انظر النصوص ٢ ــ ١٢ [= ص ١٦ ــ ٩٠] .

(٥) انظر مثلا المسعودي ، مروج الذهب ، ط . باريس ١٨٧٣ ، ٢٣٧/٧ .

وفاته مباشرة الى ان إنتقل صداها الى التيار السني بفضل الأمام الاشعري والتيار الشيعي بفضل النوبختي (٦) . وما وصل الينا من شذرات بعض تلك المؤلفات لا يشير من قريب او بعيد (٧) الى أن ابن الريوندي حاول [ص ١٧٠] نظم الشعر فعلا، بل ان تلك الشذرات لا تتصل بالشعر ابدا. والانكى، ان المصادر المتقدمة الموثوقة المنتمية الى القرن الرابع، والقرن الخامس ، والقرن السادس ، والقرن السابع ، لا تتحدث عن صفة ابن الريوندي كشاعر ولم ترو له شعرا (٨) ، ما عدا المعري الذي انفرد بذكر بيتين من الشعر نسبهما صراحة الى ابن الريوندي ! والمعري ، على قوة حافظته للشعر ، يذكر انه سمع البيتين على انهما لابن الريوندي . وهذا ما يبعث على العجب . بل والاعجب من كل ذلك ، ان غير المعري (المتوفي سنة ١٠٥٧/٤٤٩) لم يذكر البيتين اللذين رواهما حتى عصرنا هذا (٩) .

وابتداء من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) نجد

---

(٦) Cf. Al-A'asam. **op. cit.**, pp. 56-78

(٧) عثر الاستاذ ريتر على شذرات مشوهة قليلة نسبها ابن الجوزي (المنتظم في التاريخ، ط . حيدرآباد ١٩٣٨/١٣٥٧ ، ٩٩/٦ — ١٠٥) الى « كتاب الدامغ » انظر :

Ritter, H. : Philologika VI, Ibn al-Gauzis Bericht über Ibn ar-Rêwendi; in: **Der Islam,** (1930) XIX, pp. 2-9, also cf. pp. 9-17.

كما جمع المرحوم الاستاذ كراوس شذرات مبتسرة من « كتاب الزمرد » وبنى عليها مادة بحثه الممتاز قبل اربعين عاما (انظر :

Kraus, Paul : Beiträge zur islamischen Ketzergeschichte : das Kitab az-Zumurrud des Ibn ar-Rawandi; in: **R.S.O.,** (Roma) 1934, XIV pp. 93-129, 335-379.

وقارن ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي للبحث المذكور في كتابه « من تاريخ الالحاد في الاسلام » ، القاهرة ١٩٤٥ ، (ص ٧٥ وما بعدها) . وقد حققنا شذرات « كتاب فضيحة المعتزلة » مؤخرا (انظر : (Al-A'asam, op. cit ch. iv, pp. 115-173)

(٨) يراجع كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ٤٣ — ١٩١ .

(٩) راجع ص ٢٢١ . (الفصل ٢ ، القطعة ١ ، الفقرة « ا » من التحقيق ص ١٧٣) .

المصادر المتأخرة تشير الى ابيات تنسبها الى ابن الريوندي صراحة بحسبانه شاعرا قال شعرا جيدا وجد سبيله الى كتب البلاغة والادب . فهذا التفتازاني (ت ١٣٨٩/٧٩١) يذكر بيتين لابن الريوندي ينص صراحة على نسبتهما اليه . بل ويترجم له في اثناء حديثه عنهما . وهما بيتان وجدناهما اصلا عند السكاكي (ت ١٢٢٩/٦٢٦) في « المفتاح » واخذهما عنه القزويني (ت ١٣٣٨/٧٣٩) في « التلخيص » ، فلم ينسباهما لأحد (١٠) . والاغرب [ص ١٧١] من كل هذا، ايضا، ان اثنين من معاصري القزويني، هما الصفدي (ت ١٢٦٤/٧٦٤) في شرحه لامية الطغرائي ، والسبكي (ت ٧٧١/ ١٣٧٠) في طبقاته ، يذكران البيتين ، فلم ينسبهما الاول لأحد ، ونص الثاني على انهما لابي العلاء المعري (١١) ، بل انه يزيد شكوكنا بقوله ان هناك من رد على البيتين ، ويذكر الرد . و « ديوان » ابن الوردي (ت ١٣٤٨/٧٤٩) يكشف لنا ان البيتين اللذين يذكرهما السبكي ردا على المعري انما هما من نظم ابن الوردي نفسه (١٢) . وبعد كل هذا ، وجدنا الماوردي (ت ٤٥٠/ ١٠٥٨) أول من يشير الى البيتين المذكورين ولم ينسبهما لأحد . وهو معاصر للمعري ، والمعري رجل مشهور في زمانه ، فلم أهمل النسبة اليه ، كما يذهب السبكي وحيدا بين المتأخرين ؟ اما ابن تغري بردي ، وهو من القرن التاسع ، فيذكر البيتين ولا ينسبهما لأحد ، وكأنه لم يعرف نسبتهما للمعري او لابن الريوندي .

واضافة على هذه الشكوك ، نجد العباسي (ت ١٥٥٦/٩٦٣) يذكر في « معاهد التنصيص » ثلاث مقطعات نسبها الى ابن الريوندي ، بضمنها القطعة السابقة التي نسبها اليه التفتازاني . وواضح لنا أنهم يتابعون شواهد كتاب « المفتاح » وتلخيصه . غير ان المثير هو من أين استقى معرفته بالقطعتين الجديدتين اللتين لم نعثر على مصدر سابق عليه يذكرهما ولو دون نسبة لابن الريوندي (١٣) ؟

---

(١٠) راجع ص ٢٢٦ . (الفصل ٢ ، القطعة ٤ ، الفقرة « أ » من المصادر ص ١٧٩) .

(١١) راجع ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ . (الفصل ٢ ، القطعة ٤ ، الفقرة « أ » من المصادر . والفقرة « ج » ، أيضا ص ١٧٩ ، ١٨١) .

(١٢) راجع ص ٢٣٤ . نفس الموضوع السابق ، الفقرة (ز/١) من التحقيق .

(١٣) راجع ص ٢٢٢ ، ٢٢٤ . الفصل ٢ ، القطعة ٢ ، والقطعة ٣ .

بعد كل هذا وذاك ، يجيء الشيخ علي الخاقاني ، بعد أن امتلأت كتب المحدثين من الاشارة الى اشعار لابن الريوندي ، فيعتبرها صادرة فعــلا [ص ١٧٢] عنه. بلويترجم له ويعرف به في كتابه «شعراء بغداد» (١٤). ولم يستطع ان يذكر له غير أربعة أبيات (١٥) . فدخل ابن الريوندي ، وفــق هذا الاعتبار ، الــى ميدان الشعراء مرغما ، كما دخــل ميدانــي الزنادقة والملحدين من قبل ، كذبا عليه ، وافتراء على مكانته الممتازة في التيار العقلي في الاسلام (١٦) منذ القرن الثالث الهجري .

(٢) الشعر المنسوب الى ابن الريوندي

والشعر المنسوب الى ابن الريوندي ، هكذا نجده دائما ، يتفق مــع شخصيته وتفكيره . وهذا الاتفاق وحده هــو الذي يسوقنا الــى تخفيف شكوكنا ، بداية ، في امر نسبة القطع الاربع التالية اليـــه . ولم نعثر على غيرها فيما بين أيدينا من كتب التراث من شتى المشارب والاضراب .

[القطعة الاولى]

١ ـ قسمت بين الــورى معيشتهم   قسمة سكــران بيّن الغلط
٢ ـ لو قسم الرزق هكــذا رجــل   قلنا له : قد جننت فاستعط

المصدر :

لم يذكر البيتين من القدماء والمحدثين غير المعري (ابي العلاء ، [ص ١٧٣] أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي ، ت ١٠٥٧/٤٤٩) في « رساله

---

(١٤) بغداد ١٩٥٧ ، ٧١/١ ـ ٧٧ .

(١٥) ايضا ، ص ٧٧ س ٣ ـ ٨ . وقد سبق للاستاذ هوتسما ان اشار الــى شعر ابن الريوندي ، ولو انه لم يعتبره شاعرا ، لكنه سجله ونشره ، ولم يصل علمه الى قطعة المعري انظر :

Houtsma, Th. : Zum Kitab al-Fihrist; in: W.Z.K.M., (1889) IV, pp. 229-234 .

راجع ص ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ : القطع ٢ و ٣ و ٤ .

(١٦) Al-A'asam, op. cit. , p. 78

الغفران » (١٧) .

التحقيق :

(ا) ذكر أبو العلاء ان احدا أنشد له شعراً لابن الريوندي ، ونص على البيتين . ثم قال : « ولو تمثل هذان البيتان لكانا في الاصر ، يطولان أرمي مصر ، فلو مات الفطن كمدا لما عتب . فأين مهرب العاقل من شقاء رتب ؟ اكلما خدع خادع ، ارسلت من الكفر تصادع ؟ – والمصادع السهام – وما حسنت السوداء الغالبة بسفيه دعواه ، الا وافق جهولا عواه – أي عطفه – » (١٨) .

وليس في رد المعري هذا ما يفيدنا غير التهمة التقليدية التي سبق وان اكدها قبل ذكره للبيتين ، حيث قال : « وقد سمعت من يخبر ان لابن الراوندي [كذا !] معاشر تذكر أن اللاهوت سكنه ، وانه من علم مكنه . ويختصرون له فضائل يشهد الخالق وأهل المعقول أن كذبها غير مصقول ، وهو في هذا أحد الكفرة ، لا يحسب من الكرام البررة ، وقد أنشد له منشد ، وغيره التقي المرشد (١٩) » [ويذكر البيتين] .

وهكذا نجد ، ليس فيما يريد أن يقوله المعري فكرة واضحة . وكأن [ص ١٧٤] الذي انشد البيتين، وسمعه المعري او نقل اليه سامع آخر، اراد تأكيد اكفار ابن الريوندي . وليس ببعيد ، في راينا ، أن البيتين من نظم ابي العلاء نفسه ، ونسبهما الى ابن الريوندي افتراء ، لانه أراد ابعاد شبهة الإكفار عن نفسه (!) .

---

(١٧) قارن : ط. ابراهيم اليازجي ، القاهرة ١٣٢١/١٩٠٣ ، ص ١٦٨ . ط. كامل كيلاني ، القاهرة ١٩٢٣ ، ص ٢٩٦ ، ط. عائشة عبد الرحمن ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٤٤٢ . واخيرا ط. فوزي عطوي ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٤٩ . وقد نشر قبل كل هؤلاء الاستاذ نيكلسن فصل الزندقة من « رسالة الغفران » ، وترجمه الى الانكليزية (انظر :
Nicholson, R.A. : Abu al-Ala al-Ma'arri's The Risalat u-l-Ghufran (= Section : Zandaka). in: J.R.A.S., 1902. pp. 75 ff.

(١٨) اقتبسنا النص من نشرة الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، ص ٤٤٢ – ٤٤٣ .

(١٩) ايضا ، ص ٤٤٢ .

(ب) وقد ترجم الاستاذ نيكلسن البيتين الى الانكليزية هكذا (٢٠) :

1. Thou didst apportion the means of livelihood to Thy Creatures like a drunkard who shows himself churlish.
2. Had a man made such a division, we should have said to him, «You have swindled. Let this teach you a lesson!»

والتفتت الدكتورة عائشة عبد الرحمن في نشرتها الى أن الاستاذ نيكلسن غلط في ترجمة (استعط) ، فلم يوفق في اعطائها معناها الصحيح (٢١) . والبيت الثاني برمته سيق نثرا في طبعة اليازجي (ص ١٦٨) ، كما اشارت لذلك الدكتورة عائشة (٢٢) . ولم يكن بحسبانها ان يكون البيتان للمعري على الاحتمال ، او على الاقل ، منحولين على ابن الريوندي ، وقد غلط المعري في النسبة . لأن في مقدمته للبيتين وصفا لا يتصل بطبيعة شخصية ابن الريوندي التي نعرفها الآن ، فلم يدع ابن الريوندي يوما ان « اللاهوت سكنه » ! ومن المناسب أن نشير هنا الى ان سليم خياطة (أنظر مقاله : ابن الراوندي ، فذلكة عنه . مجلة المقتطف ، ١٩٣١ ، مجلد ٧٨ ، ٤٥٨/٤) ألمح الى البيتين بقوله : « اورد له ابو العلاء المعري . . . بيتين تهكمهما على الخالق عنيف شنيع » !

[القطعة الثانية]

١ ـ محن الزمان كثيرة لا تنقضي	وسروره يأتيك كالاعياد
٢ ـ ملك الاكارم فاسترق رقابهم	وتراه رقا في يد الاوغاد

[ص ١٧٥]

المصادر :

ذكر هذين البيتين ، لأول مرة ، العباسي (ابو الفتح ، عبد الرحيم ابن عبد الرحمن بن احمد ، ت ١٥٥٦/٩٦٣) في « معاهدة التنصيص » (٢٣)

---

(٢٠) Nicholson. op. cit., p, 356-7

(٢١) و (٢٢) رسالة الغفران ، ص ٤٤٢ تعليق ٣ .

(٢٣) انظر ط. بولاق ، ١٨٥٧/١٢٧٤ ـ ٨ ، ص ٧٦ ـ ٧٧ . ونحن هنا نرجع الى نشرة محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٧/١٣٦٧ ، ١٥٥/١ ـ ١٥٨ . والبيتان هناك يذكران في ص ١٥٨ .

اثناء ترجمته لابن الريوندي ، تعليقا على [القطعة الرابعة] ، التي سنذكرها فيما بعد ، كشاهد في كتاب « التلخيص » للقزويني (٢٤) . ولا نعرف احدا في المصادر الاخرى يسجل هذين البيتين غير الخفاجي (شهاب الدين احمد ابن محمد بن عمر الشافعي ، ت ١٠٦٩/١٦٥٨) في كتابه « ديوان الادب » (٢٥) . ومن المحدثين ، ذكرهما الاستاذ هوتسما ، [كما ذكر القطعتين الثالثة والرابعة] ، ولم يذكر مصدره في الاقتباس (٢٦) . ويبدو لنا ، بالمقارنة ، انه نقلها جميعا من « معاهد التنصيص » (ط. بولاق) ، كما سيفعل سليم خياطة (٢٧) بعد ذلك بمدة طويلة . ويجيء دور الخاقاني (٢٨) ، فيذكر القطعة ، ايضا ، ولم يذكر مصدره .

التحقيق :

(أ) ما اثبتناه تبعا للعباسي (نشرة عبد الحميد) . وتأتي قراءة الخفاجي للبيت الاول هكذا :

محن لزمان كثيرة ما تنقضي   وسرورها يأتيك كالاعياد

(ب) وتتفق قراءة الخاقاني مع رواية الخفاجي . فلعل المثبت عنده نقله من (ديوان الادب) ، ولو انه لم يشر لذلك بين مصادره .

[ص ١٧٦]

(ج) اما هوتسما ، فهو يثبت البيت الاول هكذا :

محن الزمان كثيرة ما تنقضي   وسرورك يأتيك كالأعياد

(د) عندما يتحدث هوتسما عن هذه القطعة ، يعتبرها لمحة لالحاد مبطن . فهو يقول صراحة أن البيتين « لا بد وان يكونا من قصيدة هجائية

---

(٢٤) ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي ، ط. اولى ، القاهرة ١٣٢٢/١٩٠٤ ، ص ٧١، قارن ط. المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة (بلا. ت.) ، ص ٩١ .

(٢٥) مخطوط المتحف العراقي ، برقم ٥٨٥ ، ورقة ٢٠٨ أ [بتنبيه من استاذنا الدكتور كامل مصطفى الشيبي] .

(٢٦) Houtsam, op. cit, , p. 233

(٢٧) مجلة المقتطف ، مجلد ٧٨ ، ٤٥٨/٤ .

(٢٨) شعراء بغداد ، ٧٧/١ .

لتدبير الله للعالم » (٢٩) . اما أن تكون القطعة من أصل قصيدة أكبر ، فهو افتراض ، من الاستاذ هوتسما ، لا دليل عليه .

(هـ) وتبعا لسليم خياطة ، الذي ينص عليهما وفق قرآءة « معاهد التنصيص » ، وجدنا الترجمة الفارسية لمقاله المذكور (٣٠) ، على ان (ملك) في صدر البيت الثاني تحرفت هناك على « مك » (٣١) ، وهو غلط مطبعي ظاهر . ومن المناسب ، هنا ، الاشارة الى أن خياطة قد قدم لهذه القطعة [مبتدأ قطعه الثلاث] ، بقوله (٣٢) : « ولصاحبنا شعر قليل لا تتعدى قطعته البيتين . وهي تساعد القارىء على البلوغ الى دخيلة نفس هذا الانسان الغريب ، الجريء ، المجنون ، المحبوب . فمن شعره » [ويذكر البيتين] (٣٣) .

[القطعة الثالثة]

١ ـ أليس عجيبا بأن امرءا لطيف الخصام دقيق الكلم

[ص ١٧٧]

٢ ـ يموت وما حصلت نفسه سوى علمه انه ما علم

المصادر :

ذكر هذه القطعة ، لاول مرة ، منسوبة الى ابن الريوندي ، فيما نعلم ، العباسي في « معاهد التنصيص » (٣٤) . وسيذكرها بهاء الدين العاملي (ت ١٠٣٢/١٦٢٢ ـ ٣) في « الكشكول » (٣٥) ، فلا ينسبها لاحد . بينما

---

(٢٩) والاصل الالماني للعبارة :
(Offenbar war dies ene Satire gegen Allah's Weltregierung)
انظر هوتسما : Ibid. , l.c.

(٣٠) « ابن الراوندي فيلسوف بزرك بارسي » ، مجلة آرمغان ، (طهران ١٩٣١) ، سنة ١٢ ، العدد ١١ ، ص ٧٣٥ ـ ٧٤٤ .

(٣١) ايضا ، ص ٧٤٣ .

(٣٢) المقتطف ، ٧٨ ، ٤/٤٥٨ .

(٣٣) قارن آرمغان ، ١١/١٢ ، ص ٧٤٣ .

(٣٤) نشرة عبد الحميد ، ١/١٥٨ .

(٣٥) ط. القاهرة ١٩٢٥ ، ص ٢٢٢ ، س ١٠ ـ ١١ .

يذكرها معاصره الخفاجي (٣٦) . وينسبها صراحة الى ابن الريوندي .

ومن المحدثين ، يذكر القطعة منسوبة الى ابن الريوندي ، وبحسبانها صحيحة النسبة ، الاستاذ هوتسما (٣٧) ، وسليم خياطة (٣٨) ، والاستاذ كراوس (٣٩) ، وعلي الخاقاني (٤٠) .

التحقيـــق :

(أ) ما اثبتناه تبعا للعباسي. اما بهاء الدين العاملي ، فقرأ (الخصام)، في البيت الاول ، على (الطباع) ، وهو جميل . والخفاجي يقرأ (دقيق) ، في نفس البيت ، عـلى (رقيق) ، ولـه وجه . وقد تصحفت (امرءا) ، في صدر الاول ، عند خياطة ، على (امرؤا) (٤١) .

(ب) والعباسي ، عندما يشير الى القطعة ، يقدم لهـا بقوله : « ومنه [ص ١٧٨] [من شعره] ، وقيل انشده لغيره » (٤٢) (!)، ولدى التحقيق وجدنا شيخ المعرة يذهب الى مثل هذا الزعم الريوندي (٤٣) .

(ج) والاستاذ هوتسما ، على عادته في التعليق المقارن ، ذكـر القطعة بعد ان قدم لها بقوله : « ان ابن الريوندي قد وضع تجربته الذاتية في هذه الكلمات الملائمة التي تذكرنا بسقراط » (٤٤) .

---

(٣٦) ديوان الادب ، مخطوط ، ورقة ٢٠٨ أ .

(٣٧) W. Z. K. H. , IV, p. 233

(٣٨) المقتطف ، ٤٥٨ ، وقارن ارمغان ، ٧٤٣ .

(٣٩) « كتاب الزمرد لابن الراوندي » ، مجلة الاديب (البيروتيـــة) ، السنة الثانيـــة (١٩٤٣) ، ٩/ص ٣٥ .

(٤٠) شعراء بغداد ، ٧٧/١ .

(٤١) كذلك في الترجمة الفارسية للمقال . انظر ارمغان ، ١١/١٢ ص ٧٤٣ .

(٤٢) معاهد التنصيص ، نشرة عبد الحميد ، ١٥٨/١ .

(٤٣) قارن المعري ، لزوم ما لا يلزم ، ٣٢٧/٢ ـ ٣٢٨ .

(٤٤) والاصل الالماني للعبارة :
Seine eigene Lebenserfahrung legte er nieder in diesen treffenden Worten, welche an Socrates erinnern. (cf **W.Z.K.M. , IV, p. 233**).

(د) اما علي الخاقاني ، فهو يكرر ما ذهب اليه العباسي بلفظ جديد، حيث يقول : « وقوله ، وقيل أنشده » (٤٥) [ويذكر البيتين] .

(هـ) وقد تعجب الشيخ العاملي من هذه القطعة ، فأبدى استحسانه لها ، عندما قال : « ولله در من قال » (٤٦) ، [البيتان] .

(و) اما الأستاذ كراوس ، فهو يرى الامر من زاوية اخرى . فيقول : « ولعله يسلينا ان هذا الرجل [= ابن الريوندي] ، مع اصراره على قدرة العقل الانساني في ادراك حقائق الاشياء ، قد وصل في آخر عمره الى أن قال – أو قيل انه قال – » (٤٧) ، [فيذكر القطعة] .

[القطعة الرابعة]

١ – سبحان من وضع الاشياء موضعها
وفرق العز والاذلال تفريقا

[ص ١٧٩]

٢ – كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

٣ – هذا الذي ترك الأوهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقا

المصادر :

تنقسم المصادر التي وردت فيها هذه القطعة (او البيتان الثاني والثالث) ، الى قسمين :

(أ) مصادر ذكرتها ولم تنسبها لابن الريوندي ، بل لمجهول :

فالماوردي (٤٨) ، (ابو الحسن ، علي بن محمد بن حبيب ، ت ٤٥٠/ ١٠٥٨) ، يذكر الابيات الثلاثة بلفظ مختلف [راجع بعد] . وقد اورد

---

(٤٥) شعراء بغداد ، ١/٧٧ .

(٤٦) الكشكول ، ص ٢٢٢ .

(٤٧) مجلة الاديب ، ٢/٩ ص ٢٥ من اسفل .

(٤٨) ادب الدنيا والدين ، على هامش الكشكول للعاملي ، القاهرة ١٩٢٥ ، ص ١١٠ .

السكاكي ، (سراج الدين ، ابو يعقوب ، يوسف بن ابي بكر محمد بن علي، ت ١٢٢٩/٦٢٦) ، في (مفتاح العلوم) (٤٩) البيتين الثاني والثالث ، وتبعا له القزويني في تلخيصه للمفتاح (٥٠) . وتبعا للاخير جمهرة أصحاب الحواشي والشروح على كتاب التلخيص (٥١) في علم البلاغة . اما الصفدي (صلاح الدين ، خليل بن أيبك بن عبد الله ، ت ١٢٦٤/٧٦٤) ، فهو يذكر البيتين (٢ و ٣) في شرحه للامية الطغرائي (٥٢) ، وكذلك ابن تغري بردي (أبو المحاسن ، يوسف الإتابكي ، [ص ١٨٠] ت ١٤٦٩/٨٧٤ — ٧٠) في كتابه « النجوم الزاهرة » (٥٣) .

(ب) مصادر تنسب القطعة أو بعضها لابن الريوندي :

اول من ينسب البيتين (٢ و ٣) الى ابن الريوندي صراحة ، هو التفتازاني (٥٤) في شرحه لتلخيص القزويني المذكور . اما العباسي (٥٥) ، الذي عني كثيرا بترجمة ابن الريوندي ، فهو يذكر القطعة كاملة ، مؤكدا نسبتها لابن الريوندي . ولعل مصدره في النقل يقربه من مصدر المارودي المذكور . وبعد هذين ، سنجد القطعة برمتها مذكورة عند الخفاجي (٥٦) ، ايضا . بينما يكتفي الباقون بالبيتين (٢ و ٣) ، كالحضرمي (جمال الدين ، محمد بن محمد بن مبارك ، ت ١٥٢٣/٩٣٠) في كتابه « نشر العلم في شرح لامية العجم » (٥٧) ، وابن كمال باشا (شمس الدين ، احمد بن سليمان

---

(٤٩) ط. المطبعة الادبية ، القاهرة ١٨٩٩/١٣١٧ ، ص ١٠٥ [بتنبيه من الدكتور الشيبي] .

(٥٠) ط. القاهرة ١٩٠٤/١٣٢٢ ، ص ٧١ = ط. المكتبة التجارية الكبرى ، ص ٩١ .

(٥١) انظر في هذا ، مطلوب ، الدكتور احمد ، القزويني وشروح التلخيص ، بغداد ١٩٦٧ .

(٥٢) الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، ط. بولاق ١٨٧٣/١٢٩٠ ، ١١٤/٢ . كذلك قارن طبعة القاهرة ١٨٨٨/١٣٠٥ ، ٧٤/٢ .

(٥٣) ط. دار الكتب بمصر ، ٣١٢/٧ .

(٥٤) المطول ، ط. حجر [افغانستان ؟] ١٨٨٤/١٣٠١ ، ص ١٠٠ .

(٥٥) معاهد التنصيص ، ط. بولاق ، ص ٧١ = نشرة عبد الحميد ، ١٥٥/١ .

(٥٦) ديوان الادب ، مخطوط ، ورقة ٢٠٨ أ .

(٥٧) القاهرة ١٩٠٢/١٣٢٠ ، ص ١٤ [بتنبيه من الدكتور الشيبي] .

الرومي ، ت ١٠٥٥/٩٤٠) في رسالتـــه « تصحيح لفظ الزنديق » (٥٨) ، والجزائري (السيد نعمة الله بن عبد الله بن محمد بـن حسين الموسوي ، الششتري ، ت ١١١٢/١٧٠٠) في « زهر الربيع » (٥٩) . ومن المتأخرين ، يذكر البيتين الشيخ ابن يعقوب (محمد بن قاسم [ص ١٨١] ت ؟) (٦٠) . والطيب القنوجي (السيد بن الحسن النجادي) ، في كتابه « التاج المكلل في جواهر مآثر الطراز الاول » (٦١) . واخيرا محمد باقـر بن عـلي رضا ، في كتابه « جامع الشواهد » (٦٢) .

(ج) وينفرد من بين كل السابقين [الفقرة ب] السبكي ، (تاج الدين ، ابو نصر ، عبد الوهاب بن تقي الدين بن عبــد الكافي ، ت ١٣٧٠/٧٧١) ، فيذكر البيتين (٢ و ٣) وينسبهما صراحة الى ابي العلاء المعري (٦٣) . ولم يعط ناشرو كتاب « تعريف القدمـاء بأبـي العلاء » (٦٤) رايهم في ذلـك . واكتفوا بأن احالوا الى العباسي في « المعاهد » حيث ينسب البيتين لابـن الريوندي (٦٥) ، كما مر بنا (٦٦) .

(د) ويتحمس المحدثون ، والمعاصرون منهم بوجه خاص ، الى ذكـر

---

(٥٨) انظر محفوظ ، الدكتور حسين علي : رسالـة في تحقيق لفظ الزنديـق ، لابـن كمال باشا ، (تحقيق) ، مجلـة كليـة الاداب (بجامعـة بغـداد) ، ١٩٦٢ ، ٥ ، ص ٥٣ [= المستل ، ص ٩] .

(٥٩) ط. حجر ، بومبي ١٩٢٢/١٣٤١ ، ص ٣٥٩ ، وانظـر ص ٣١٢ ايضا . ثم قـارن احمد افشار شيرازي ، ماني ودين او ، طهران [١٩٥٥] ، ص ٤٣٢ .

(٦٠) كتاب روض الاخيار المنتخب من ربيع الابـرار [للزمخشري] ، ط. بولاق ١٢٨٠/ ١٨٦٣ ، ص ٧٨ س ٢ - ٤ . [ولم اعثر على الموضع المناظر في كتـاب ربيع الابرار للزمخشري ، مخطوط الاوقاف ببغداد تحت الارقام ٣٨٦ - ٣٨٩] .

(٦١) بومبي ١٩٦٣/١٣٨٣ ، ص ٢٩٨ . برقم ٣٢٩ .

(٦٢) ط. ايران [؟] ، ١٨٧١/١٢٨٨ ، ص ٢١٠ .

(٦٣) طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة ١٩٠٦/١٣٢٤ ، ٩٧/٣ .

(٦٤) باشراف الدكتور طه حسين ، القاهرة ١٩٤٤/١٣٦٣ .

(٦٥) ايضا ، ص ٤٠٩ ، تعليق ٣ .

(٦٦) انظر الهامش (٥٥) قبل ص ٢٢٧ .

ابن الريوندي مقترنا بالبيتين (٢ و ٣) ،او ان البيتين يذكران بحسبانهما فعلا من شعر ابن الريوندي (٦٧) . وحاول اخيرا ، أن يتعرف على أصل [ص ١٨٢] البيتين المذكورين، استاذنا الدكتور الشيبي في اثناء حديثه عن شعر صالح بن عبد القدوس (٦٨) ، ولكنه لم يقطع برأي (٦٩) . وقد سبق هؤلاء اجمعين الاستاذ هوتسما عندما ذكر القطعة كاملة (الابيات ١ و ٢ و٣) معتبرا البيت الاول مكملا وسابقا على البيتين التاليين (٧٠) .

التحقيق :

(أ) القطعة التي اثبتناها كما وردت في « معاهد التنصيص » . وقد سبق العباسي في ذكر البيتين (٢ و ٣) الى هذه الرواية جمهرة من المؤلفين كالسكاكي والقزويني والصفدي والسبكي . كما ايد المتأخرون عنه هذه الرواية كالجزائري ، والقنوجي ، وكيلاني ، البلادي البحراني ، وعبد الحميد ، ومحمد باقر بن علي رضا ، وابن يعقوب .

(ب) وردت (النحرير) على (التجرير) عند التفتازاني (في المطبوع) . كما تحرفت (الاوهام) ، في البيت الثالث ، على (الافهام) عند الحضرمي ، كذلك اوردها سليم خياطة ، في حين ان موقع (الاوهام) هنا أقرب للقصد . ويرد البيت الثاني ، عند ابن كمال باشا ، في عجزه

---

(٦٧) قارن الشيخ علي محفوظ ، الابداع في مضار الابتداع ، ط. رابعة ، القاهرة (بلا. ت.) ، ص ٣٣٢ . كامل كيلاني ، رسالة الغفران للمعري ، القاهرة ١٩٢٣ ، ص ٢٩٦، تعليق ١ . احمد امين واحمد صقر ، الهوامل والشوامل للتوحيدي ، القاهرة ١٣٧٠/١٩٥١، ص ٢١٢ ، تعليق ١ [بتنبيه من الدكتور حسين علي محفوظ] . سليم خياطة ، المقتطف ، ٤/٧٨ ص ٤٥٨ [ولاحظ ارمغان ، ١١/١٢ ص ٧٤٤] . ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، نشرته لكتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للاشعري ، القاهرة ١٣٦٩/١٩٥٠ ، ٢٢١/١، تعليق ، والدكتور علي الوردي ، وعاظ السلاطين ، بغداد ١٩٥٤ ، ص ١٠٥ . الشيخ علي ابن حسن البلادي البحراني ، كتاب انوار البدرين في تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين ، النجف ١٣٨٠/١٩٦٠ ، ص ١٢٨ .

(٦٨) ديوان صالح بن عبد القدوس ، منشورات دار الثقافة ، بيروت (تحت الطبع) .

(٦٩) ايضا ، ص ٨٨ من مخطوطة المؤلف .

(٧٠) انظر : Houtsma, op.cit. , p. 233

مقروءا هكذا (= الاصل المخطوط) (٧١) :

[ص ١٨٣]

. . . . كم جاهل جاهل تلقاه مرزوقـا

وقد صححه الدكتور حسين علي محفوظ في نشرتـه المذكـورة . و (حائرة) في صدر البيت الثالث اثبتها هوتسما (حايرة) . وصدر الثاني يرويه الشيخ علي محفوظ هكذا :

كم عاقل عاقل ضاقت معيشته . . . .

بينما يرويه الدكتور الوردي على سجيته ، كما يأتي [كما فعل محيي الدين عبد الحميد] :

كم عالم عالم أعيت مذاهبه . . . .

(ج) ومن المناسب هنا الاشارة الى ان قراءة الدكتور الوردي تذكرنا بقراءة ابن تغري بردي للبيت الثاني :

كم فاضل فاضل أعيت مذاهبه . . . .

وسنجد (الالباب) مكان (الاوهام) في البيت الثاني ، وهي صحيحة وممتازة [انظرها في البيت ٣ من قطعة الماوردي في الفقرة التالية] .

(د) وقد سبقت كل هـذه القراءات الشاذة قـراءة الماوردي الـذي سجل الابيات الثلاثة بلفظ مختلف :

سبحان مـن أنزل الايـام منزلهـا
وصير النـاس مرفوضـا ومرموقـا

فعاقـل فطـن اعيـت مذاهبـه
وجاهـل خـرق تلقـاه مرزوقـا

هذا الـذي ترك الالبـاب حائـرة
وصـير العالـم النحريـر زنديقـا

---

(٧١) يرجع الدكتور محفوظ في تحقيقه لرسالة ابن كمال الـى مخطوطة الوصل . قارن الموضع المناظر في مخطوطة الاوقاف ببغداد برقم ٤٧٢٣ ، ومخطوطة مانجستر برقم(B) 811

اما الخفاجي ، فهو يتابع الماوردي في قراءته للبيت الاول ، وصدر الثاني ، ويثبت عجزه هكذا :

[ص ١٨٤]

. . . . واحمق جاهل تلقاه مرزوقا

بينما يصحح (الالباب) على (الاوهام) ، ويخطأ في قراءة (العالم) على (العاقل) في البيت الثالث .

(هـ) ذكرنا في الفقرة (ج) من مصادر هذه القطعة بأن السبكي نسب البيتين الثاني والثالث الى ابي العلاء المعري . غير اننا لا نعثر على هذين البيتين في المطبوع والمخطوط من آثار أبي العلاء . كما لا نعرف شخصا آخر ذهب الى هذا الزعم كالسبكي .

ومن المناسب ان نشير هنا الى ما يذكره الخفاجي في مقدمته للقطعة ، حيث قال : « وقوله [اي قول ابن الريوندي] ، وهو من نسبة الكتبي لنصر الخزرزي [كذا] » (٧٢) ويذكر الابيات ١ و ٢ و ٣ . والكتبي هذا ، بلا شك ، هو ابن شاكر (صلاح الدين ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الداراني الدمشقي ، ت ١٣٦٣/٧٦٤) . ولكننا للاسف ، لم نعثر على اصل الاقتباس في كتابه « فوات الوفيات » (٧٣) ، أو « عيون التواريخ » (٧٤) . وفي موضع آخر من كتاب « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (٧٥) ، نتعرف على (نصر) هذا . فهو نصر الخبز ارزي . وقد نبه الى هذا منذ عهد قريب الشيخ عباس القمي (٧٦) ، الذي ذكر ان [ص ١٨٥] الخبز ارزي هذا توفي سنة ٣١٧ هـ [= ٩٢٩ م] (٧٧) .

---

(٧٢) ديوان الادب ، مخطوط ، ورقة ٢٠٨ آ .

(٧٣) ط. محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥١ .

(٧٤) قارن مخطوط أحمد الثالث (اسطنبول) تحت سنة ٣١٧ هـ. كذلك يلاحظ مخطوط ليدن برقم Ms. 1957 ، ومخطوط لانديرك برقم Ms. 234 ، ومخطوط باريس برقم Ms. 1588 ، ومخطوط كمبردج برقم Add. 2922 .

(٧٥) ط. دمشق ١٩٢٦/١٣٤٥ — ٧ ، ٢٩٧/١٣ .

(٧٦) الكنى والالقاب ، ط. النجف ١٩٥٦/١٣٧٦ ، ١٨٥/٢ — ١٨٦ .

(٧٧) أيضا ، ١٨٦/٢ س ١ من اسفل .

(و) وكما لاحظنا من استعراض مصادر القطعة ، ان المشهور لدى الاكثرين الاستشهاد بالبيتين (٢ و ٣) . وتبعا للسكاكي ، الذي استشهد بهما لاول مرة في كتابه « مفتاح العلوم » (١٠٥ س ٥ ـ ٦ من أسفل) ، سيهتم اساتذة البلاغة فيما بعد بالاشارة اليهما ، كما فعل القزويني في (التلخيص) (٧٨) ، وتبعا له شراح هذا الكتاب الاساسي في علم البلاغة (٧٩) ، حتى اقترن اسم ابن الريوندي ، صراحة ، بهذين البيتين . فقد ذكر الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، في التعريف بابن الريوندي ، بأنه « هو صاحب البيتين المشهورين اللذين ينشدهما علماء المعاني » (٨٠) . والاصل في موضع استشهاد البلاغيين بالبيتين ، عندما « يوضع المظهر موضع المضمر » (٨١) . وسيشرح لنا التفتازاني هذه القاعدة « ان كان المظهر الموضوع موضع المضمر اسم اشارة فلكمال العناية بتمييزه . أي تمييز المسند اليه ، لاختصاصه بحكم بديع » (٨٢) . ويعلق على هذا (الحكم البديع) ، فيما بعد ، البرقوقي فينص على انه ما « أسند للمسند اليه ، المعبر عنه باسم الأشارة » (٨٣) . وقد أفرط البلاغيون في ادراك ماذا قصد ابن الريوندي في البيتين (٨٤) . حتى صرح التفتازاني بأنه « لا يخفى ما فيه [= قول ابن الريوندي] من التعسف والتهكم عطف على كمال [ص ١٨٦] العناية . . . او لا يكون ثمة مشار اليه اصلا » (٨٥) ! وتعقيبا على هذا الحكم ، يشير البرقوقي من المحدثين الى أن « كلام ابن الراوندي [كذا !] هذا، احدى حماقاته ، وهو بالجهال اليق » (٨٦). بل ان

---

(٧٨) نشرة البرقوقي ، ص ٧١ = ط. التجارية ، ص ٩١ .

(٧٩) يراجع « كتاب شروح التلخيص » ، نشرة الحلبي ، القاهرة ١٩٣٧ .

(٨٠) انظر تحقيقه لكتاب مقالات الاسلاميين للاشعري ، ٢٢٠/١ تعليق ٢ .

(٨١) التلخيص ، ص ٧١ = ط. التجارية ، ص ٩١ .

(٨٢) المطول ، ص ١٠٠ س ١٨ وما بعده .

(٨٣) التلخيص ، نفس الموضع (تعليق الناشر) .

(٨٤) انظر مثلا التفتازاني ، المطول ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ . وانظر النص محققا في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ٢٠٧ ـ ٢١١ .

(٨٥) أيضا ، ص ١٠١ . و « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، نفس الموضع من النص السابق ص ٢١١ .

(٨٦) التلخيص ، ص ٧١ [= ص ٩١] ، تعليق .

كامل كيلاني اعتبر البيتين شنيعين، ولو ان شناعتهما أقل من ما رآه في بيتي القطعة الاولى [تبعا للمعري] (٨٧) . بينما وجدنا السبكي ، الذي نسب البيتين لابي العلاء ، يقول : « قبحه الله ! ما اجراه على الله ـ عز وجل ـ ! » (٨٨) . وهذا الاستقباح انما ينحسر على قائل البيتين : المعري او ابن الريوندي (!) . ولاجل ذلك ، وجدنا الشيخ علي محفوظ يطيل في تفسير (البدعة) في البيتين بقوله : « ومن البدع ان من رزقه الله عقلا وعلما ، يعتقد اذا رأى من أفاض الله عليه المال والجهل ، وضعف العقل ، انه أحق منه بافاضة المال . فيقول في نفسه : كيف منعني قوت يومي ، وأنا العاقل ، الفاضل ، وافاض على هذا نعيم الدنيا ، وهو الجاهل الغافل ؟ » (٨٩) . حتى أصبح القصد من المعنى ، اصلا ، اشارة الى الفقر والهتك واللصوصية والزندقة عند الدكتور الوردي (٩٠) ، لكن ذلك كله مرده شعور هذا (العاقل) بالظلم امام (الجاهل) . « وهذا المعنى اعتراض على الله في قسمة الحظوظ بين الخلق » (٩١) . ولأجل كل ذلك استعاذ الدكتور الوردي عند ذكره لهذه الحال (٩٢) .

[ص ١٨٧]

والمدهش ، الى جانب كل هذا الذي ذكرناه ، ان نجد الشيخ علي الخاقاني لا يذكر هذه القطعة ، وكأنه لم يعرف بها على الاطلاق (٩٣) .

---

(٨٧) انظر قبل ص ٢٢٠ ، وقارن سليم خياطة ، المقتطف ، ٤/٧٨ ص ٤٥٨ .

(٨٨) طبقات الشافعية ، ٣/٩٧ . وقارن النص نفسه في « تعريف القدماء بأبي العلاء » ، باشراف الدكتور طه حسين ، ص ٤١٠ س ١ ــ ٣ .

(٨٩) الابتداع ، ص ٣٣٢ .

(٩٠) وعاظ السلاطين ، ص ١٠٥ .

(٩١) علي محفوظ ، الابتداع ، ص ٣٣٢ .

(٩٢) وعاظ السلاطين ، ص ١٠٥ .

(٩٣) ينظر : شعراء بغداد ، ١/٧٧ . فهل يكفي ان نذكر القطعتين الثانية والثالثة في سيرة ابن الريوندي (ص ٧١ ــ ٧٦) لكي ندرجه في قائمة شعراء الحاضرة العباسية ؟ انا واثق ان الشيخ الخاقاني ، حبا منه لتسجيل التراث ، اقدم على اعتبار ابن الريوندي بين الشعراء . ولكن لا تبرير لنسيانه ذكر القطعة الاولى ، والقطعة الرابعة على اقل تقدير (!) وهو العارف بكل مشهور مستور .

(ز/١) ولعله من المفيد ، هنا ، الاشارة الى الردود على هذه القطعة، التي فهم منها أنها اعلان صريح عن الكفر والزندقة . فالسبكي ، ولاول مرة في مصادرنا فيما نعلم ، يذكر ان أحداً عنى بالرد على البيتين (٢ و ٣) من هذه القطعة ، فقد قال : « وقد احسن الذي قال نقضا عليه » (٩٤) . ويذكر البيتين التاليين :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل شبعان ريانا

هذا الذي زاد اهل الكفر لاسلموا
كفراً ، وزاد أولي (٩٥) الايمان ايمانا

وفي رواية السبكي هذه اغفال واضح لناقض أصل بيتي ابن الريوندي ، وقد نبهني أستاذي الدكتور كامل مصطفى الشيبي الى أن قائل هذين البيتين ، انما هو ابن الوردي (زين الدين ، ابو حفص ، عمر بن مظفر بن عمر ، ت ١٣٤٨/٧٤٩) ، صاحب كتاب « تتمة تاريخ [ص ١٨٨] » المختصر (٩٦) ، المشهور . وفي ديوانه (٩٧) نقرأ البيتين ، على ان صدر البيت الاول ورد هكذا :

كم عالم عالم يشكو طوى وظما . . . . (٩٨)

وهي القراءة الصحيحة . واحسب ان السبكي خلط بين صدر بيت ابن الريوندي (رقم ٢) ، وبين بيت ابن الوردي (رقم ١) .

---

(٩٤) طبقات الشافعية ، ٩٧/٣ .

(٩٥) في الاصل المطبوع (أهل) ، والتصحيح من ناشري « تعريف القدماء بابي العلاء » [ص ٤١٠ ، تعليق ١] . وهكذا وجدناه في شعر ابن الوردي . انظر بعد .

(٩٦) ط. القاهرة ١٨٦٨/١٢٨٥ . وانظر بوجه خاص ٢٤٨/١ ، فهناك تجد ترجمة الابن الريوندي . انظر :
Al-A'asam, Ibn ar-Rîwandî, Bibliography I, no. 49, p. 389.

(٩٧) ديوان ابن الوردي ، ط. الجوائب ، اسطنبول ١٨٨٣/١٣٠٠ .

(٩٨) ايضا ، ص ٣٠٢ . وبقية البيت وكذلك البيت الثاني كما سجلناهما اعلاه عن السبكي . و (اولي) هكذا في الديوان ، ايضا .

(ز/٢) ويذكر البحراني (يوسف بن احمد بن ابراهيم الحائري ، ت ١٧٧٢/١١٨٦) بيتين للشيخ صالح بن عبد الكريم الكرزكاني البحراني ، ت ١٦٨٧/١٠٩٨) في الرد على ابن الريوندي ، هذا نصهما (٩٩) :

ان الكريم الـذي يعطي عـلى قـدر
يـراه ذو اللـب احسانـا وتوفيقـا
فـذو الجهالـة مرزوق لتكملـة
وذو النباهة من ذا صار ممحوقا (١٠٠)

وسيشير فيما بعد ، فيما بين أيدينا من مصادر، الشيخ علي بن حسن البلادي البحراني في كتابه « انوار البدرين في تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين » (١٠١) ، بعد ان ذكر بيتي ابن الريوندي (٢ و٣) ، [ص ١٨٩] وقال « ومن شعره ما أجاب به ابن الراوندي [كذا !] » (١٠٢) ، ثم يذكر « فأجابه قدس سره ، يقول .. » (١٠٣) ، ثم يذكر بيتي الكرزكاني (١٠٤) . فتتصحف عنده (لتكملة) على (ليكمله) ، ولا تستقيم !

(ز/٣) كذلك ذكر بهاء الدين العاملي (١٠٥) بيتين نسبهما للقيراطي [كذا !] ، اعتبرهما فيما بعد عبد الرحيم بن محمد تقي التبريزي (١٠٦) ، ردا على ابن الريوندي بخصوص البيتين (٢ و ٣) من هـذه القطعة . وبيتا القيراطي ، هما [تبعا للعاملي] :

كـم مـن اديـب فطـن عالـم
مستكمـل العقـل مقـل عديـم

---

(٩٩) انيس المسافر وجليس الحاضر ، بومبي ١٨٧٤/١٢٩١ ، ٢١٥/٢ .

(١٠٠) قارن د. حسين علي محفوظ ، تحقيق لفظ الزنديق ، مجلة كلية الاداب ، ٥٣/٥ تعليق ٥٩ .

(١٠١) ط. الغري ، النجف ١٩٦٠/١٣٨٠ .

(١٠٢) انوار البدرين ، ص ١٢٧ .

(١٠٣) ايضا ، ص ١٢٨ .

(١٠٤) ايضا ، ص ١٢٧ . فقد كان « شيخ شيراز بامر السلطان شاه سليمان » .

(١٠٥) الكشكول ، ص ٢٥٩ س ٧ — ٨ .

(١٠٦) حاشية على كتاب المطول للتفتازاني (نفس الطبعة) ، ص ١٠٠ .

وكــم جهـــول مكثــر مالـــه
ذلــك تقديــر العزيــز العليــم

وقد سجل التبريزي البيت الاول هكذا :

كـــم مـــن أديـب فهـــم قلبـــه
ستكمـل العقـــل لقـــد عديـــم

اما البيت الثاني فقد تغيرت (وكم) على (ومن) ، وتحرفت (مكثر) على (كمثر) ، ولا معنى لها . هــذا بالاضافة الى التحريف واختلال الوزن في البيت الاول [يلاحظ ان « ستكمل » هي سبب هذا الخلل] !

(ز/٤) ولعل من المناسب ، قبل ان نختم الحديث عن النقوض عـلى [ص ١٩٠] هذه القطعة ، بأننا تعودنا أن نجد نقوضا كثيرة في الرد على كلام او مقولة أو كتاب لابن الريوندي في مختلف الوان المعرفة التي طرقها ، ومنذ زمن بعيد (١٠٧). ولاجل هذا، فليس من الغريب في رأينا ان يتعرض البيتان (٢ و٣) من هذه القطعة لكل هذا الاهتمام من قبـل الشعراء والادبـاء . ويذكر عبد الرحيم التبريزي في حاشيته على « كتاب المطول » للتفتازاني ، و « قد رد على ابن الراوندي [كذا !] مـن قال » (١٠٨) . ويذكـر البيت التالــي :

نكد الاديب وطيـب عيش الجاهـــل
قــد ارشداك الـى حكيـم عاقـــل

فهل كان عقل ابن الريوندي قاصرا عـن ادراك هذه الحكمة في الرزق الكثير مع الجهل وبين الفقر والعوز مع العلم ؟ واذا فطن الى هذه الصلـة ، فلماذا لم يعتبرها (حكمة) ، واعتبرها (ظلما) واقعا مـن موزع الـرزق

---

(١٠٧) انظـر : Al-A'asam, op. cit. . ch. iii, pp. 58, 59, 63, 71-72 etc.
وقارن بحث الاستاذ كراوس Kraus, R.S.O. , XIV, pp. 360-364.
وراجع بدوي ، من تاريخ الالحاد في الاسلام ، ص ١٦١ ـ ١٦٨ .

(١٠٨) المطول ، ص ١٠٠ (حاشية) .

والفقر ؟ او يمكن ان يكون على هذه الصورة رجل مستنير كابن الريوندي ، كشف البحث العلمي الجديد (١٠٩) اهميته العظيمة في توجيه [ص ١٩١] اهتمام المفكرين الى المكانة البارزة التـــي يحتلها العقل في حـــلّ المشاكل الإنسانية ، ولا مكان ، بعد ذلك ، للخرافة ؟

ان ما سنعقده في الفصل التالي جواب على كل هذه التساؤلات .

(٣) تحليل لموقف ابن الريوندي في شعره

والآن ، كيف نفسر غرض ابن الريوندي في القطع الشعرية الاربع المارة الذكـــر ؟ ان العقـــل Reason في سطورها يبدو كأنه ضحية المعرفـــــة Knowledge عند رجـــل مثقف مستنير كابن الريونـــدي (١١٠) . ولقـــد سمى ابو حيان التوحيدي هذه المشكلة : مشكلة قناعة العاقل الذي يجـــد علمه الواسع غير المجدي يدفعه لعوز يناقض النعيم الذي يرفل فيه الجاهل الذي وجد جهله المركب مجديا في توسعة الرزق والحيـــاة الكريمة المظهر ، بأنها مسألة اولى . ونص عليها بأنها « ملكة المسائل » . وفسرها بقوله : هي « الشجا في الحلق ، والقذى في العين ، والغصة في الصدر ، والوقر عـــلى الظهر ، والسل في الجسم ، والحسرة في النفس . وهذا كله لعظم مـــا دهم منها ، وابتلى الناس به فيها . وهـــي حرمـــان الفاضل ، وادراك الناقص .

---

(١٠٩) انظر ، بالاضافة الى مراجعنا في التعليق (١٠٧) السابـــق ، مقالـــة الاستاذ كراوس « كتاب الزمرذ لابن الراوندي » ، مجلة الاديب ، ٩/٢ ص ٢٩ وما بعدها . وللاستاذ هورتن بحوث متعددة في ابن الريوندي ، ولو انها تنقصها الدقة برأينا اليوم ، لكنها رائدة في الكشف عن بصيرته وعلمه . انظر كتابه القيم الكبير :

Horten, Max, Die Philosophischen Systeme der spekulativen Theologen im Islam, Bonn 1912. pp. 350-352, (also v. index).

وانظر كتابه الاخر :

Horten. Philosophischen Probleme der spekulativen Theologie im Islam, Bonn 1910, pp. 52, 88. 90, 149, 180, 183, 198, 219, 276.

وبشان بحوثه الاخرى انظر : Al-A'asam, **op. cit.** , pp. 399 f.

(١١٠) قارن صدر البيت ٢ من القطعة ٤ بما قاله في القطعة ٣ .

ولهذا المعنى خلع ابن الراوندي [كذا !] ربقة الدين » (١١١) !

وابو حيان يبدو هنا كأنه وضع يده على علة ابن الريوندي ، التي عانى منها هو نفسه ، كما عاناها شيخ المعرة . ولاجل ذلك سموا ثلاثتهم « زنادقة الاسلام الثلاثة » (١١٢) . وواقعهم التاريخي يشير صراحة الى انهم كانوا مجموعة تختلف تماما عن المجموعات الاخرى في الاسلام العقلي بالروح والعقيدة (١١٣). ولقد وجد ابو العلاء المعري في [ص ١٩٢] المعاصرين من يدافع عنه (١١٤)، كما دافع عنه بعض الأقدمين (١١٥). وكذلك حال ابي حيان التوحيدي، الذي تشمر للدفاع عنه غير واحد في العصر الحديث (١١٦). وبقي الاستاذ ابو الحسين بن الريوندي دون تبرئة من الانتساب الى التهم هاتيك التي وجدناها تتعدى الى التهكم من شخصيته عند المتأخرين (١١٧)، والانكى ، عند المحدثين (١١٨) . وتابعهم دون روية أو نظر بعض المعاصرين (١١٩) .

ولكي نفسر هذا الأتجاه (التمردي) ، ان صح القول ، عند ابن الريوندي ، لا بد من الاشارة الى المصدر الاول الذي يوضح اسباب علة ابن الريوندي في حياته . فهذا معاصره الخياط (ابو الحسين ، عبد الرحيم

---

(١١١) الهوامل والشوامل ، مسألة رقم ٨٨ ، ص ٢١٢ . [بتنبيه من الدكتور محفوظ].

(١١٢) السبكي ، طبقات الشافعية ، ٣/٤ .

(١١٣) انظر : Klein, W.C., **Al-Ibanah 'an usul ad-diyanah by al-Ash'ari,** New Haven 1940, (introduction) p. 23.

(١١٤) انظر مثلا : الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، الغفران ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٥٨ .

(١١٥) يراجع « تعريف القدماء بابي العلاء » ، باشراف الدكتور طه حسين ، نص ابن العديم .

(١١٦) انظر مثلا : الدكتور ابراهيم الكيلاني ، ابو حيان التوحيدي ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٥٠ .

(١١٧) انظر مثلا : الجزائري ، زهر الربيع ، ط بومبي ، ص ٣٨ ، ٧٠ ، ١٦٣ .

(١١٨) انظر مثلا : الرافعي ، مصطفى صادق ، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، القاهرة ١٩٦١/١٣٨١ [= ١٩٦٥/١٣٨٤] ، ص ٢٠٤ - ٢٠٨ .

(١١٩) انظر مثلا : العلوجي ، عبد الحميد : عطر وحبر ، بغداد ١٩٦٧/١٣٨٧ ، ص ١٨٧ - ١٨٨ . كذلك انظر ص ٢٢٤ .

ابن عثمان، ت حوالي ٣٠٠/٩١٢) ، والذي نقض له كتابه «فضيحة المعتزلة» في عمله الكبير « كتاب الانتصار والرد على ابن الريوندي الملحد » (١٢٠) ، يذكر في مطاوي رده بأن المعتزلة قد نفوا عنهم ابن الريوندي ، بل طردوه عن مجالسهم عندما خالفهم في الاقوال . ففسر خلافه [ص ١٩٣] الحاداً وتخليطا ونصرة للدهرية (١٢١) . وكان الخياط نفسه معاصراً لهذا الحدث . فهو يزعم انه كان يعرفه معرفة شخصية « وهو معتزلي في آخر ايامه قبل ان تطرده المعتزلة من مجالسها ، وتنفيه عن نفسها » (١٢٢) . وقد ادى عزل ابن الريوندي هكذا بالقوة الى تمرده عليهم ، وهم أصحاب الجدل العقلي فاضطر الى البحث عن كل ما يغضب أولئك القيمين على الدين ، وكانوا برايه ملحدين . فانتهى الى فقر وعوز وحاجة لتضييقهم الخناق عليه ، حتى فسر لنا الاستاذ ابو القاسم البلخي الكعبي ، وهو تلميذ الخياط ، ان ابن الريوندي « صار الى ما صار اليه حمية وانفة من جفاء أصحابه ، وتنحيتهم اياه من مجالسهم » (١٢٣) . ومعنى هذا ، عندنا اليوم ، أن ابن الريوندي كان محاربا في رزقه ! ومن هنا وجدناه ، اذا صحت الروايات الكثيرة في انه الف لخصوم المعتزلة مقابل (دراهم معدودة) (١٢٤)،

---

(١٢٠) انظر نشرة نيبرك ، القاهرة ١٩٢٥ [= ط. الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٧] .

(١٢١) ايضا ، ص ١٤٩ [= بيروت ، ص ١٠٧ - ١٠٨] .

(١٢٢) ايضا ، ص ١٠٢ [= بيروت ، ص ٧٦] .

(١٢٣) وردت هذه العبارة في القطعة المنسوبة الى « كتاب محاسن خراسان » للبلخي المذكور ، كما اقتبسها ابن النديم في الفهرست . قارن الاستاذ Houtsma في بحثه المنشور في W. Z. K. M. , IV, p. 223 وقارن ابن النديم ، الفهرست ، ط. القاهرة ١٣٤٨/١٩٢٩ ، ص ٤ - ٥ . وقد سقطت هذه القطعة بكاملها من نشرة الاستاذ Gustav Flügel لكتاب الفهرست (لايبزك ١٨٧٠) . كذلك راجع ما قلناه في التعليق على النص المذكور في كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ص ٨٧ - ٨٩ .

(١٢٤) يذكر العباسي حادثة ينفرد بها بين المصادر المتقدمة والمتاخرة (يراجع كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ص ٢٢٩) حيث يقول : « وذكر ابو العباس الطبري : ان ابن الراوندي [كذا !] كان لا يستقر على مذهب ، ولا يثبت على حال . حتى انه صنف لليهود كتاب البصيرة ردا على الاسلام ، لاربعمائة درهم اخذها فيما بلغني من يهود سامرا . فلما قبض المال رام نقضها حتى اعطوه مائة درهم اخرى . فامسك عن النقض » (انظر : معاهد التخصيص ط. عبد الحميد ، ١٥٥/١) . قارن : الخاقاني ، شعراء بغداد ٧٥/١ ولا يشير الى موضع الاقتباس .

قد حاول ان يكسب رزقه مما توفر عليه من علم ، فوضع عقله منه موضع المدبر له والموجه لأهدافه ، حتى ولو عارض بذلك كل الحقائق في عصره والسابقين عليه (!) . وذلك لعمري ، موقف شاذ أملته على ابن الريوندي ظروف شتى أبرزها عقله المستنير ، وعلمه الواسع ، وفقره الدائم . حتى جاء الاستاذ السيد المرتضى، ففسر تمرده [ص١٩٤] في التأليف، ليس لكسب الرزق ، و « انما عمل الكتب التي شنع بها عليه معارضة للمعتزلة وتحديا لهم . لأن القوم اساؤا عشرته ، واستنقصوا معرفته . فحمله ذلك على اظهار هذه الكتب ليبين عجزهم عن استقصاء نقضها ، وتحاملهم عليه في رميه بقصور الفهم والغفلة » (١٢٥) .

وحتى نستطيع ان نتلمس حقيقة موقف ابن الريوندي العقلي في أشعاره ، نذكر هنا شهادة ابي القاسم البلخي بأنه انفصل عن المعتزلة وصار حاله الى ما عرفناه من الضيق في الرزق « لأن علمه كان أكثر من عقله » (١٢٦) ويشير الاستاذ كراوس الى هذا النص بحسبانه

---

(١٢٥) انظر : الشافي في الامامة ، ط. حجر [قزوين ؟] ١٣٠١/١٨٨٤ ، ص ١٣ . وقد نقل عنه المتاخرون والمحدثون هذا النص برمته لتبرير موقف ابن الريوندي . انظر مثلا : الخوانساري ، محمد باقر ، روضات الجنات ، طهران ١٣٠٧/١٨٨٩ ، ص ٥٤ . عباس القمي ، الكنى والالقاب ، ط. النجف ، ٢٨٣/١ . محسن الامين العاملي ، اعيان الشيعة ، ط. دمشق ١٣٥٧/١٩٣٨ ، ١٠/ص ٣٤٤ [= ط. بيروت ١٩٦١ ، ٢٢٤/١٠] . والخاقاني، شعراء بغداد ، ٧٤/١ . والدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، ادب المرتضى ، بغداد ١٩٥٧ ، ص ٢١٩ ، .... الخ !

(١٢٦) انظر : Houtsma, op. cit. , p. 228 وقارن ابن النديم ، الفهرست ، ط. القاهرة ص ٤ . وعن ابن النديم ينقل المتاخرون ، انظر بشكل خاص العباسي ، معاهد التنصيص، نشرة عبد الحميد ، ١٥٦/١ . وقد نبه الاستاذ كراتشكوفسكي منذ عهد بعيد الى نقل ابن القارح (انظر رسالته ، نشرة كيلاني مع رسالة الغفران ، ص ٣٢ . وقارن نشرة كرد علي ، رسائل البلغاء ٢٦٣ . ونشرة فوزي عطوي مع رسالة الغفران ، ص ٣٢ . ويراجع كتابنا « تاريخ ابن الريوندي الملحد »، ص ١١٦ — ١١٧ وهناك النص محقق على قراءة مخطوط دار الكتب المصرية ، برقم ٨٠ مجاميع تيمور ، ورقة ٣٥٤ أ) عن ابن النديم . انظر :
Ign. Kratschkovsky, in: C-R. A.S. de l'URSS, 1926, p. 26.
كذلك تلاحظ مقدمة الاستاذ نيبرك لكتاب الانتصار ، ط. القاهرة ١٩٢٥ ، ص ٢٦ .

[ص ١٩٥] «عبارة (١٢٧)كانت تضرب مثلا للعقليين والملاحدة» (١٢٨)، فيضرب لذلك مثلين أحدهما أحمد بن الطيب السرخسي (١٢٩) ، والثاني تعجب ابن المقفع من زيادة عقل الخليل بن احمد على علمه ، وتعجب الخليل من زيادة علم ابن المقفع على عقله (١٣٠) . ولأجل ذلك ، فزيادة العلم على العقل برأي كراوس ، انما تدفع الى الألحاد ، بينما نفهمها نحن على أنها تزيد من تمرد العالم وتشطح بالفيلسوف . ولأجل هذا نحن لا نذهب الى أن ابن الريوندي وضع معرفته كلها لخدمة ما هو بدعة وضد الدين ، كما يرى الاستاذ كابريلي (١٣١)، فانما هذا تهويل لا اساس له من الصحة. فليس بين ان يكون عقله أقل من علمه ، وبين تسخير علمه للبدع من صلة الا لأنه عاش جائعا معوزا ، طالبا للرزق بأي وسيلة، فلم يجده، الا [ص ١٩٦] بعد عسر في تأليف الكتب لخصوم المعتزلة . وغرور المعتزلة ، وحده، هو الذي أشاع ان خروجه عليهم انما كان خروجا على الاسلام بحسبانهم الممثلين الوحيدين للاسلام الحقيقي في التيار الفكري في القرن الثالث الهجري (١٣٢) . وهذا ما ورثه الاسماعيلية . فلقد وجدنا المؤيد في الدين الشيرازي (ت ٤٧٠/ ٩٧٩) يصف لنا ابن الريوندي بأن « مصيبته بعقله أعظم من مصيبته في دينه » (١٣٣) . وهذا كله ، نجد صداه فيما بعد ، في كتب المتأخرين والمحدثين ، بأن ابن الريوندي انما ملك عقلا لم يقف موقف الفاحص فحسب ، بل كشف عن أن لا حد للمعرفة ، ولا ضابط لها ، وليس من قوة

---

(١٢٧) تبعا لابن النديم والاستاذين هوتسما ونيبرك ، انظر التعليق السابق .

(١٢٨) قارن Kraus, R.S.O. , XIV, p. 117 وبدوي ، من تاريخ الالحاد ، ص ١٠٩ تعليق ١ .

(١٢٩) الذي كان الغالب عليه علمه لا عقله . انظر الفهرست ، ط. القاهرة ص ٢٦١ .

(١٣٠) قارن الاغاني ، ٦٧/١٨ . وابن خلكان ، ١٢٥/٢ .

(١٣١) انظر : F. Gabrieli, L'opera d'ibn al-Moqaffa', in : R.S.O. , XIII, pp. 197 ff.

[= بدوي ، من تاريخ الالحاد ، ص ٤٠ وما بعدها ، وبخاصة ص ٤٨ ، تعليق ١] .

(١٣٢) لقد فصلنا القول في هذا الموضوع ، انظر : Al-A'asam, op. cit. . ch ii, esp. p. 60-61

(١٣٣) المجالس المؤيدية ، المجلس ٥٢٢ . انظر : Kraus, op. cit. , p. 109.

[= بدوي ، من تاريخ الالحاد ، ص ٩٨] .

للافكار الا وهي متناقضة سوفسطائية المنحى ، وبحسبانها زنديقية وخارجة عن قواعد التفكير العام للاسلام .

وهذه الفرضية ، هي وحدها الصحيحة اتجاه ما اكتشفناه من قوة التمرد في اسلوب ابن الريوندي ، ومن ثورته الشجاعة ضد طغيان اهل العقل [= المعتزلة] بما كان لديه من علم . وتلك حقيقة اوضحها الخياط عندما قال له : «وما ضررت بذلك غير نفسك» (١٣٤) ! وتبقى حقيقة اخرى تذكرنا بها عبارة شوبنهاور « ان الشخص الذي يملك عقلية فلسفية حقة ، انما هو ذلك الذي يتمتع بالقدرة على التعجب من الاحداث المألوفة وامور الحياة العادية ، بحيث يتخذ موضوع دراسته من اكثر الاشياء الفة واشدها ابتذالا » (١٣٥) وهذا ما حدث لابن الريوندي. [ص ١٩٧] فتعرض ، لاجل نظرته الفاحصة ، للحرمان ، والطرد ، والنفي ، والتشهير ، والتكفير . ولعل عبارة الغزالي (ابي حامد ، محمد بن محمد بن محمد ، حجة الاسلام ، ت ٥٠٥/١١١١) (١٣٦) المشهورة : « ان الانسان اذا كان عالما ، ولم يكن له عقل ، سقط جاهه ومرتبته » (١٣٧) ، اذا قلب محتواها انطبقت على ابن الريوندي ، الذي اصبح علمه الواسع المحرك لأفكاره . فكان عالما ، وكان له عقل كبير ، غير انه سقط جاهه لجراته على العقل ، وشجاعته في العلم . فسقطت مرتبته الاجتماعية ، وعاش فقيرا معدما بين اناس يجهلون معظم ما كان يعرفه حق المعرفة .

انظره كيف يعكس لنا انه امتحن الحياة ، فلم يعرف السرور الا نادرا (البيت ١ من القطعة ٢) . وهو العاقل الكبير قد ارهقه الفكر ، فعاش

---

(١٣٤) الانتصار ، ط. القاهرة ١٩٢٥ ، ص ١٧٣ [= ط. بيروت ، ص ١٢٢] .

(١٣٥) انظر : Schopenhauer, **Lemonde comme polonté et comme représentation,** tr. Fr. par: Burdeau, Alcan, ii, p. 294.

والاقتباس من ترجمة زكريا ابراهيم ، ابو حيان التوحيدي ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٨٩ [الذي ينقل عنه ، ايضا] .

(١٣٦) انظر الآن كتابنا « الفيلسوف الغزالي : اعادة تقييم لمنحنى تطوره الروحي » ، منشورات دار عويدات ، بيروت ١٩٧٤ ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(١٣٧) التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، القاهرة ١٣١٧/١٩٠٠ ، ص ١١٩ ، س ٣ـ٤ .

محروما اتجاه الجاهل المركب الجهل الذي عاش في نعيم (البيت ٢ من القطعة ٤) . وسبب كل ذلك في رايه ، ان قسمة الرزق بين الناس انما صدرت بلا حق (البيت رقم ١ من القطعة ١) . ولأجل ذلك ، فهو يوجه لومه الى مقسم الارزاق بعنف (البيت رقم ٢ من القطعة ١) ، لانه ظلمه ، فجعله عبداً ، بينما نسي خصومه (البيت ٢ من القطعة ٢) . وليس ، بعد كل هذا ، بغريب على صاحب العطاء ان يتركه حائر الفكر . بل انه صار يتشكك في عقيدته (البيت ٣ من القطعة ٤) . وهذه الحيرة ، حيرة العقل ، ستقوده الى نتيجة فاشلة في النهاية الى الاعلان بأن العلم لا يجدي للحصول على المزيد من العلم (البيت ٢ من القطعة ٣) . وهو يندهش لهذه النتيجة التي تصدر عن مناظر جدل فيلسوف مثله (البيت ١ من القطعة ٣) .

[ص ١٩٨]

(٤) نظائر لاشعار ابن الريوندي :

ولم يكن ابن الريوندي ، وحده ، على مر تاريخنا ، والفكر الانساني ، قد عانى كهذه المعاناة . فهناك العديد من امثاله ، لكنهم يختلفون في الوسيلة التي عبروا بها عن تمردهم الروحي على عقولهم ، وعلى عقولهم التي خلعت بعلومهم . ها نحن أولاء نجد في البحث عن نظائر لاشعار ابن الريوندي في تراثنا . ولا نقصد من هذا الاستعراض احصاء اشعار المتمردين كافة ، بل ايضاح النزعة « الريوندية » في الشعراء ، أو ناظميها . فهذا الجزائري يروي لنا في كتابه « زهر الربيع » (١٣٨) : « عن بعض الحكماء ، قال حججت ، فبينما انا اطوف ، واذاً [في الاصل : اذا بالتنوين] باعرابي متوشح بجلد غزال ، وهو يقول :

اما تستحي يا رب انك خلقتني

اناجيك عريانا ، وانت كريم

قال : وحججت في العام القابل ، فرايت [في الاصل : فرايت] الاعرابي وعليه ثياب ، وله حشم وغلمان . فقلت له : انت الذي رايتك في

---

(١٣٨) ط. بومبي ، ص ٥ ، س ٥ ـ ٨ من اسفل .

العام الماضي ؟ قال : نعم . خدعت كريما ، فانخدع » (١٣٩) (!) وهذه الحكاية الخرافية ، التي تتفق مع الاتجاه العقلي لنعمة الله الجزائري ، انما تؤيد وجودها نزعة تمردية في الشعر العربي . لحاجة وعوز ، وفاقة ؛ ومرض ، وجوع ، وعري ، وضياع حقوق ، ... الخ !

(أ) فهذا ابن قتة (سليمان بن حبيب المحاربي البصري ، التابعي) الشاعر ، روي عنه انه قال (١٣٩) :

[ص ١٩٩]

وقد يحرم الله الفتى وهو عاقل
ويعطي الفتى مالا وليس له عقل

(ب) وقد ذهب ابو العلاء الى هذا المعنى ، فقال (١٤٠) :

اذا كان لا يحظى برزقك عاقل
وترزق مجنونا ، وترزق احمقا

فلا ذنب يا رب السماء ، على امرئ
رأى منك ما لا يشتهي ، فتزندقا

(ج) ويروي ابن تغري بردي عن الزمخشري (جار الله ، المعتزلي المشهور ، ت ١١٤٤/٥٣٨) هذين البيتين (١٤١) :

وأخرني دهري وقدم معشرا
على انهم لا يعلمون ، واعلم

ومذ أفلح الجهال ايقنت انني
انا الميم ، والايام افلح أعلم

---

(١٣٩) انظر احمد تيمور باشا ، ضبط الاعلام ، القاهرة ١٩٤٧/١٣٦٦ ، ص ١٢٣ .

(١٤٠) ورد هذان البيتان منسوبين الى المعري في مصادر متعددة . انظر في هذا « تعريف القدماء بابي العلاء » ، ص ٢٢ ، ٥٨ ، ١١٦ ، ١٤٦ ، ٣٠٤ ، ٣٢٢ ، ٤٠٩ .

(١٤١) النجوم الزاهرة ، ٣١٢/٧ .

ويعلق ابن تغري بردي بقوله : « الافلح ، هو مشقوق الشفة العليا ، والاعلم مشقوق الشفة السفلى . وفائدة ذلك ان مشقوق الشفرتين العليا والسفلى لا يقدر ان يتلفظ بالميم ، ولا ينطق بها » (١٤٢) .

(د)ولعله من الطريف ان نشير الى قول الشريف الرضي (ابي الحسن ، محمد بن الحسين بن موسى ، الموسوي، ت ١٠١٥/٤٠٦)(١٤٣)، [ص ٢٠٠] الذي يسبر غور هذا المعنى (١٤٤) :

ما قدر فضلك ما اصبحت ترزقه

ليس الحظوظ على الاقدار والمهن

قد كنت قبلك من دهري على حنق

فزاد ما بك في غيظي على الزمن

(هـ) وهذا الخاطر العجيب في ذهن الرضي ، كان واضحا تماما في قول القاضي الفاضل (مجير الدين ، ابي علي عبد الرحيم بن القاضي الاشرف علي بن القاضي السعيد ، ت ١١٧٣/٥٩٦) (١٤٥) ، عندما قال (١٤٦) :

ما ضر جهل الجاهلين

ولا انتفعت انا بحذقي

وزيادة في الحذق فهمي

زيادة في نقص رزقي

(و) ومما يقرب هذه المعاني ، بشكلها الاجمالي ، الى ابن الريوندي ، ما رواه اليافعي (عفيف الدين ، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن

---

(١٤٢) ايضا ، الموضع نفسه .

(١٤٣) انظر ، القمي ، الكنى والالقاب ، ٢٤٧/٢ – ٢٤٨ .

(١٤٤) ابن تغري بردي ، النجوم ، ٣١٢/٧ .

(١٤٥) القمي ، المصدر السابق ، ٤٧/٣ .

(١٤٦) ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ٣١٢/٧ .

فلاح اليماني ، ت ١٣٦٧/٧٦٨) (١٤٧) في كتابه « روض الرياحين في حكايات الصالحين » (١٤٨) :

كم من قوي قوي في تقلبه
مهذب الراي ، عند الرزق منحرف

[ص ٢٠١]

وكم ضعيف ضعيف في تقلبه
كأنه من خليج البحر يغترف

هذا دليل على أن الاله له
في الخلق سر خفي ليس ينكشف

(ز) وهذا التسليم والخنوع ، انما ذهب اليه شاعر مجهول (لدينا على الاقل) ، عندما قال (١٤٩) :

أرى اناسا بأدنى الدين قد قنعوا
ولا اراهم رضوا بالعيش بالدّون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(ح) ولعل تبرير حكم الشاعر السابق ، ما يوضحه قول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، الذي رواه الماوردي (١٥٠) :

وقد يحكم الأيام من كان جاهلا
ويردي الهوى ذا الراي ، وهو لبيب

ويحمد في الامر الفتى ، وهو مخطىء
ويعذل في الاحسان ، وهو مصيب

---

(١٤٧) القمي ، المصدر السابق ، ٢٥٣/٢ .

(١٤٨) ط. مصر ١٩٣٤/١٣٥٣ ، ص ٩٣ .

(١٤٩) انظر بهاء الدين العاملي ، الكشكول ، ص ٢١٦ ، س ٨ ـ ٩ من اسفل . وانظر ، ايضا ، ص ٤٥ ، س ١٣ ـ ١٤ ، فهناك نجد (اناسا) مكتوبة على (رجالا) ، و (بالعيش) علي (في العيش) من البيت الاول .

(١٥٠) ادب الدنيا والدين ، ص ٢٨٤ ، س ١٩ ـ ٢٧ .

(ط) وهذا بعينه ، في راينا ، انما يأتي من وجاهة وعز المال . ولأجل ذلك حذر شاعر آخر ، بقوله (١٥١) :

[ص ٢٠٢]

لاتخضعن لمخلــوق عــلى طمــع
فان ذلــك نقص منك فــي الديــن
واسترزق اللــه ممــا في خزائنــه
فانمــا هــو بــين الكاف والنــون

(ي) فلا شك ، ان رد فعل ما ذهب اليه ابن الريوندي ، وما وجدناه عند غيره ، حتى وبالصورة السلبية للتمرد المبطن عند بعضهم ، قد فــات على الاكثرين ، ومنهم ابن الريوندي ، ما ذهب اليه الشاعر (١٥٢) :

رأيــت العــز فــي ادب وعقــل
وفي الجهــل المذلــة والهــوان

فليس المال كل شيء في حياة العالم . ولــو ان الفقر والجوع أمــران يعرضان هذا العالم للــذل ، أيضا ، كما ذهب اليــه القاضي عبــد الوهاب المالكي ، الذي خرج من بغداد الى مصر مهاجرا . فقال (١٥٣) :

بغــداد دار لأهــل المــال طيبــة
وللمفاليس دار الضنــك والضيــق
اقمــت فيهــا مضاعــا بــين ساكنهــا
كأنني مصحف في بيــت زنديق (١٥٤)

---

(١٥١) أيضا ، ص ٣١٦ ، س ٣ ــ ٩ .

(١٥٢) أيضا ، ص ٢٤٩ ، س ١٧ ــ ١٩ .

(١٥٣) انظر : الجزائري ، زهر الربيع ، ط. بومبي ، ص ١٥٠ ، س ١٠ ــ ١٢ .

(١٥٤) تحرف صدر البيت الثاني عند شهاب الدين الخفاجي ، هكذا :

اصبحت مضاعا بين اظهرهم ... ...

ولا يستقيم !. انظر : الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، القاهرة ١٢٨٢/١٨٦٥ ، ص ١٢ = ط. القاهرة ١٣٢٠/١٩٠٢ ، ص ٩٨ .

وهكذا كان حال ابن الريوندي (١٥٥) !

[ص ٢٠٣]

(٥) جريدة المصادر والمراجع :

(اولا) المصادر :

(أ) المخطوطات :

ابن الريوندي ، احمد بن يحيى :

١ ـ كتاب فضيحة المعتزلة ، تحقيق الدكتور عبد الامير الاعسم ، ضمن رسالة الدكتوراه ، جامعة كمبردج ١٩٧٢ . ص ١١٥ ـ ١٧٣ [انظر المراجع الاوربية] .

ابن كمال باشا ، شمس الدين :

٢ ـ تصحيح لفظ الزنديق ، مخطوط مكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٤٧٢٣ . مخطوط مكتبة جون رايلاندز بمانجستر برقم 811 (B)

الخفاجي ، شهاب الدين :

٣ ـ ديوان الادب ، مخطوط المتحف العراقي برقم ٥٨٥ .

الزمخشري ، جار الله :

٤ ـ كتاب ربيع الابرار ، مخطوط مكتبة الاوقاف ببغداد ، اربعة اجزاء ، بالارقام ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

الكتبي ، ابن شاكر :

٥ ـ عيون التواريخ ، مخطوط مكتبة احمد الثالث باسطنبول ، ومخطوط مكتبة ليدن برقم Ms. 1957 ، ومخطوط لاندبيرك برقم Ms. 234 ومخطوط باريس برقم Ms. 1588 . ومخطوط كمبردج برقم Add. 2922

---

(١٥٥) انظر ما قلناه عن النهاية المحزنة لابن الريوندي :
Al-A'asam. op. cit. , ch. i, pp. 16-17, note 34

(ب) المطبوعات :

ابن تغري بردي ، ابو المحاسن :

٦ ـ النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة . القاهرة ١٩٣٢/١٥٣١ .

ابن الجوزي ، ابو الفرج :

٧ ـ المنتظم في التاريخ ، حيدر آباد ١٩٣٨/١٣٥٧ .

ابن خلكان ، ابو العباس :

٨ ـ وفيات الاعيان ، نشرة الاستاذ Wüstenfeld كوتنكن ١٨٣٥ .

[ص ٢٠٤]

ابن كمال باشا ، شمس الدين :

٩ ـ رسالة في تحقيق لفظ الزنديق . [انظر تسلسل ٢ قبل] . تحقيق الدكتور حسين علي محفوظ ، مجلة كلية الآداب (بجامعة بغداد) ١٩٢٦ الجزء ٥ .

ابن النديم ، محمد بن اسحاق :

١٠ ـ كتاب الفهرست ، نشرة الاستاذ G. Flügel لايبزك ١٨٧٠ . و ط. القاهرة ١٩٢٩/١٣٤٨ .

ابن الوردي ، ابو حفص عمر :

١١ ـ تتمة تاريخ المختصر . ط. القاهرة ١٨٦٨/١٢٨٥ .

١٢ ـ ديوان ، مط . الجوائب ، اسطنبول ١٨٨٣/١٣٠٠ .

ابن يعقوب ، محمد بن القاسم :

١٣ ـ كتاب روض الاخيار المنتخب من ربيع الابرار ، ط. بولاق ١٨٦٣/١٢٨٠ .

الاشعري ، ابو الحسن :

١٤ ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، نشرة محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٠/١٣٦٩ .

الاصفهاني ، أبو الفرج :

١٥ ـ الاغاني ، ط. مصر ١٣٢٢ ـ ١٣٢٣/١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ .

البحراني ، الشيخ يوسف :

١٦ ـ انيس المسافر وجليس الحاضر ، بومبي ١٢٩١/١٩٨٧٤ .

التفتازاني ، سعد الدين :

١٧ ـ كتاب المطول ، ط. حجر [أفغانستان ؟] ١٣٠١/١٨٨٤ .

التوحيدي ، أبو حيان :

١٨ ـ البصائر والذخائر ، تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني ، دمشق ١٩٦٤ .

[ص ٢٠٥]

١٩ ـ الهوامل والشوامل ، تحقيق أحمد امين واحمد صقر ، القاهرة ١٣٧٠/١٩٥١ .

الجزائري ، نعمة الله :

٢٠ ـ زهر الربيع ، ط. حجر ، بومبي ١٣٤١/١٩٢٢ .

الحضرمي ، جمال الدين :

٢١ ـ نشر العلم في شرح لامية العجم ، القاهرة ١٣٢٠/١٩٠٢ .

الخطيب البغدادي :

٢٢ ـ تاريخ بغداد ، دمشق ١٣٤٥/١٩٢٦ .

الخفاجي ، شهاب الدين :

٢٣ ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، ط. القاهرة ١٢٨٢/١٨٦٥ ، وط. القاهرة ١٣٢٠/١٩٠٢ .

الخياط ، أبو الحسين :

٢٤ ـ الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ، نشرة الاستاذ H. S. **Nyberg** ط. أولى ، القاهرة ١٩٢٥ ، وط. الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٧ .

السبكي ، تاج الدين :

٢٥ ـ طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة ١٩٠٦/١٣٢٤ .

السكاكي ، أبو يعقوب :

٢٦ ـ مفتاح العلوم ، القاهرة ١٨٩٩/١٣١٧ .

الصفدي ، صلاح الدين :

٢٧ ـ الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، ط. بولاق ١٨٧٣/١٢٩٠ ، وط. القاهرة ١٨٨٨/١٣٠٥ .

العاملي ، بهاء الدين :

٢٨ ـ الكشكول . القاهرة ١٩٢٥ .

العباسي ، عبد الرحيم :

٢٩ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، ط. بولاق ١٨٥٧/١٢٧٤ ، ونشرة محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٧/١٣٦٧ .

الغزالي ، أبو حامد :

٣٠ ـ التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، القاهرة ١٩٠٠/١٣١٧ .

[ص ٢٠٦]

القزويني ، جلال الدين :

٣١ ـ التلخيص ، نشرة عبد الرحمن البرقوقي ، ط. القاهرة ١٣٢٢/ ١٩٠٤ ، وط. المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة (بلا تاريخ) .

٣٢ ـ شروح التلخيص ، ط. عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٧ .

الكتبي ، ابن شاكر :

٣٣ ـ فوات الوفيات ، نشرة محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥١ .

الماوردي ، أبو الحسن :

٣٤ ـ أدب الدنيا والدين ، [على هامش الكشكول للعاملي] ، القاهرة ١٩٢٥ .

المرتضى ، الشريف :

٣٥ ـ الشافي في الامامة ، ط. حجر [قزوين ؟] ١٨٨٤/١٣٠١ .

المسعودي ، ابو الحسن :

٣٦ ـ مروج الذهب ، نشرة الاستاذين De Meynard et De Courtelle باريس ١٨٧٣ .

المعري ، ابو العلاء :

٣٧ ـ رسالة الغفران ، ط. ابراهيم اليازجي ، القاهرة ١٩٠٣/١٣٢١ ، و ط. كامل كيلاني ، القاهرة ١٩٢٣ ، ونشرة الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، القاهرة ١٩٥٠ ، ونشرة فوزي عطوي ، بيروت ١٩٦٨ .

اليافعي ، عفيف الدين اليماني :

٣٨ ـ روضر الرياحين في حكايات الصالحين ، ط. القاهرة ٩١٣٤/١٣٥٣ .

(ثانيا) المراجع الحديثة :

(أ) العربيــة :

الاعسم ، الدكتور عبد الامير :

٣٩ ـ الفيلسوف الغزالي ، أعادة تقييم لمنحنى تطوره الروحي ، منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٤ .

٤٠ ـ تاريخ ابن الريوندي الملحد ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٥ .

[ص ٢٠٧]

الامين ، محسن :

٤١ ـ أعيان الشيعة ، ط ١ دمشق ١٩٣٨/١٣٥٧ ، و ط ٢ بيروت ١٩٦١ .

البحراني ، علي بن حسن البلادي :

٤٢ ـ انوار البدرين في تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين ، النجف ١٩٦٠/١٣٨٠ .

بدوي ، الدكتور عبد الرحمن :

٤٣ ـ من تاريخ الالحاد في الاسلام ، القاهرة ١٩٤٥ .

بلبع ، الدكتور عبد الحكيم :

٤٤ ـ أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري ، القاهرة ١٩٥٩ .

التبريزي ، عبد الرحيم :

٤٥ ـ حاشية على كتاب المطول ، [على هامش المطول ، انظر التفتازاني ، قبل] .

تيمور ، احمد باشا :

٤٦ ـ ضبط الاعلام ، القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٧ .

الخاقاني ، علي :

٤٧ ـ شعراء بغداد ، بغداد ١٩٥٧ .

الخوانساري ، محمد باقر :

٤٨ ـ روضات الجنات ، طهران ١٣٠٧/١٨٨٩ .

خياطة ، سليم :

٤٩ ـ « ابن الراوندي ، فذلكة عنه » مجلة المقتطف [القاهرية] ، ١٩٣١ ، ٧٨/٤ . وقد نشرت ترجمة فارسية للمقال المذكور تحت عنوان « ابن راوندي ، فيلسوف بزركك بارسي » ، مجلة ارمغان ، طهران ١٩٣١ ، ١٢/١١ .

الرافعي ، مصطفى صادق :

٥٠ ـ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ط. القاهرة ١٣٨١/١٩٦١ ، وط. القاهرة ١٣٨٤/١٩٦٥ .

زكريا ابراهيم ، الدكتور :

٥١ ـ ابو حيان التوحيدي ، القاهرة ١٩٦٤ .

[ص ٢٠٨]
الشيبي ، الدكتور كامل مصطفى :
٥٢ ــ ديوان صالح بن عبد القدوس ، منشورات دار الثقافة ، بيروت [تحت الطبع] .
طه حسين ، الدكتور ، وجماعته :
٥٣ ــ تعريف القدماء بأبي العلاء ، القاهرة ١٣٦٣/١٩٤٤ .
الطيب القنوجي ، السيد بن الحسن النجادي :
٥٤ ــ التاج المكلل في جواهر مآثر الطراز الاول ، بومبي ١٣٨٣/١٩٦٣ .
عائشة عبد الرحمن ، الدكتورة :
٥٥ ــ الغفران ، القاهرة ١٩٦٨ .
العلوجي ، عبد الحميد :
٥٦ ــ عطر وحبر ، بغداد ١٣٨٧/١٩٦٧ .
القمي ، الشيخ عباس :
٥٧ ــ الكنى والالقاب ، النجف ١٣٧٦/١٩٥٦ .
كراوس ، الاستاذ بول :
٥٨ ــ « كتاب الزمرد لابن الراوندي » ، مجلة الاديب [البيروتية] ، ١٩٤٣ ، ٩/٢ .
الكيلاني ، الدكتور ابراهيم :
٥٩ ــ أبو حيان التوحيدي ، القاهرة ١٩٥٧ .
كيلاني ، كامل :
٦٠ ــ رسالة الغفران للمعري ، القاهرة ١٩٢٣ .
محفوظ ، الشيخ علي :
٦١ ــ الابداع في مضار الابتداع ، ط ٤ ، القاهرة [بلا تاريخ] .

محمد باقر بن علي رضا :

٦٢ ـ جامع الشواهد ، ط. ايران [؟] ١٢٨٨/١٨٧١ .

محيي الدين ، الدكتور عبد الرزاق :

٦٣ ـ ادب المرتضى ، بغداد ١٩٥٧ .

مطلوب ، الدكتور احمد :

٦٤ ـ القزويني وشروح التلخيص ، بغداد ١٩٦٧ .

[ص ٢٠٦]

نيبرك ، الاستاذ هـ . س . :

٦٥ ـ مقدمة كتاب الانتصار للخياط ، القاهرة ١٩٢٥ .

الوردي ، الدكتور علي :

٦٦ ـ وعاظ السلاطين ، بغداد ١٩٥٤ .

(ب) الاوروبية :

Al - A'asam, A. A.

Gabrieli, F. :

67. **Ibn ar - Riwandi's Kitàb Fadihat al - Mu'tazilah,** Ph. D. **Dissertation, Cambridge 1972.**

68. **L'opera d'ibn al-Moqaffa'; in R.S.O. , xiii .**

Horten, Max :

69. **Die Phiosophischen Probleme der spekulativen Theologie im Islam,** Bonn 1910.

70. **Die Philosophischen Systeme der spekulativen Theologen im Islam.** Bonn 1912.

Hautsma, Th.:

71. Zum Kitàb al-Fihrist; in : **W. Z. K. M.** , iv.

Klein, W. C. :

72. **Al-Ibànah 'an usul ad-diyanah by al-Ash'ari,** New Heven 1940

Kratschkovsky, Ign. :

73. Un document oublié sur les œuvres d'bn ar-Râwandi; in. **Comptes-Rendus de L'Académie des Sciences de l'U R S S,** 1926,

Kraus, Paul :

74. Beitrage zur islamischen Ketzergeschichte : **das Kitab az-Zumurrud des Ibn ar-Râwandi;** in: **R.S.O.**, xiv.

Nicholson, R. A. :

75. Abu al-'Ala' al-Ma'arri's **The Risalat u-l-Ghufran** in : **J. R. A. S.** , 1902.

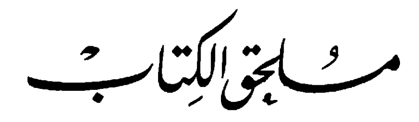
Schopenhauer :

76. **Le monde comme volonté et comme réprésentation ;** tr. Fr. Burdeau, Alcan, vol. ii.

Ritter, H.:

77. Philologika vi, Ibn al-Gauzis Bericht über Ibn ar-Rêwendi; in: **Der Islam, xix.** (*)

(*) جريدة المصادر والمراجع هذه تابعة لبحثنا في « الشعر المنسوب الى ابن الريوندي » فقط ، وليست احصاء للمصادر والمراجع المستعملة في هوامش وتعليقات هذا المجلد. ان مثل هذا الاحصاء التفصيلي للمصادر والمراجع كافة سيظهر في خاتمة المجلد الثاني ، ان شاء الله .


ملحق الكتاب

مقالة « ابن الراوندي »

للأستاذ باول كراوس

ترجمها عن الالمانية

الدكتور عبد الرحمن بدوي

في كتابه « من تاريخ الالحاد في الاسلام »

القاهرة ١٩٤٥

« تشير أرقام الصفحات في الزاوية العليا إلى تسلسل صفحات الأصل ؛ أما الأرقام في أسفل الصفحات فهي تسلسل صفحات كتابنا هذا » .

ابن الراوندى*

لپاول كرَوْس

الإهداء

إلى هـ . هـ . شيدَر

إجلالا واعترافاً بالجميل

— ١ —

مقــــدمة

تتجه الدراساتُ الإسلاميةُ فى عناية شديدة إلى بحث القرنين الثالث والرابع ؛ هذين القرنين اللذين كان فيهما طابعُ الرجل الإسلامى ما يَزال فى تطورٍ تتنازعُـه القوى المتعارضةُ لطبعه بطابَعها الخاص . وإدراكُ هـذه الاتجاهات ، وتقريرُ العواملِ الفعاله الخارجية والمقاومات الشديدة التى أثارتها هذه العوامل ، كلُّ هـذا سيكون الواجبَ الرئيسىَّ للبحث العلمى لزمان طويل .

(*) نشرت هذه المقالة باللغة الألمانية « فى مجلة الدراسات الشرقية » RSO ، المجلد رقم ١٤ (١٩٣٤) تحت عنوان : — *Beiträge zur islamischen Ketzergeschichte*.

كانت مسألةُ المسائل فى القرن الثالث تشكيلَ الإسلام من ناحيـة الـكلام والعقيدة . ولقد أبان نيبَرْج للمرة الأولى فى بحوثه عن القوى الفعالة فى حركة المعتزلة عما كان لهاتيك الدوائر التى وقفت مَوقف المداء إزاء العقيدة الإسلامية ، من أهمية عظيمة فى تكوينها وتشكيلها[١] . ومع هذا فلم يبق لدينا إلا قليل من الآثار الـكتابية التى فيها حاولَتْ التعبيرَ عن نشاطها وحركاتها . أما أن العصور المتأخرة تركتها فى عالم النسيان فذلك بَيِّن لاخفاء فيه ؛ ومع ذلك فمعظم آثار كفاح المعتزلة وعلى العموم الـكفاح الإسلامى الأول قد ضاعت . وكل ما لدينا عنها يرجع إلى كتابات متأخرة ترمى إلى تشويه صورتها الحقيقية . والحالات التى فيها حُفظت الآثار الآصلية نادرة جداً . وهأنذا أقدم فيما يلى أثراً أصلياً من هـذا النوع أبقاه القَـدَرُ الغريب مجهولاً حتى اليوم ألا وهو « كتاب الزمرذ » لابن الراوندى الملحد[٢] .

لم يُعْـرَف أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحق الراوندى ، وهو من أشهر ملاحدة القرن الثالث ، عن كثب إلا منذ بضع سنين . وكتاب « الانتصار » للخياط[٣] الذى اكتشفه وطبعه سنة ١٩٢٥ الأستاذ نيبرج

(١) انظر على الخصوص : *Der Kampf zwischen Islam und Manichäismus*, OLZ, 1929, Sp. 425 f. (النزاع بين الإسلام والمانوية) ؛ وانظر أيضا مقدمة نيبرج لـكتاب « الانتصار » ص ٤٦ وما يليها ؛ كذلك م . جويدى M. Guidi : *La Lotta tra l'Islam e il Manicheismo* (Roma, 1927) (النزاع بين الإسلام والمانوية) ؛ هـ . هـ . شيدر H.H. Schaeder فى *Die Antike* IV (1920) p. 261 f. ؛ نفس المؤلف فى ZDMG, NF, VII, 1928, p. LXXVII f.

(٢) القراءة الصحيحة لهذا الاسم تبعا للأستاذ هـ . رتر H. Ritter: *Der Islam*, XIX (1930) p. 1 f. اعتمادا على ابن الجوزى هى : « ابن الريوندى » . وفى كتاب الانتصار يسمى : « ابن الروندى » ، لأنها ، فى النص الذى أمامنا ، دائما هكذا .

(٣) هـ . س . نيبرج : « كتاب الانتصار والرد على ابن الروندى الملحد » ، القاهرة سنة ١٩٢٥ .

وهو رد على كتاب « فضيحة المعتزلة » لابن الراوندى يكاد يحوى النص الكامل لهذا الكتاب الأخير .

و « فضيحة المعتزلة » هذا كان تحليلا نقديا لمذهب المعتزلة من وجهة نظر الشيعة الرافضة وجوابا عن كتاب الجاحظ « فضيلة المعتزلة » . ولقد اكتشف ه . رتر فى كتاب التاريخ لابن الجوزى المسمى باسم « المنتظم فى التاريخ » مقداراً من المقتطفات من كتاب آخر لابن الراوندى هو كتاب « الدامغ » وهو طعن فى القرآن . وقد نشرها مرفقة بترجمة لها (١) . وبمعرفتنا لهذه النصوص كسبت الأخبار التى وردت عرضاً فى «الفهرست» لابن النديم وابن خلكان والمرتضى وغيرهم معنى جديداً . وعلى الرغم من هذا كله فإنا لا نعرف إلى الآن إلا الشىء القليل عن حياته وأطوار حياته العقلية ، حتى إن تاريخ حياته ووفاته لم يثبتا قطعا .

أما الاقتباسات الكثيرة من «الزمرذ» الذى فيه يجاسر ابن الراوندى فى سخرية عنيفة على زعزعة ركن الأركان فى الإسلام ، ألا وهو نظرية النبوة ؛ أقول أما هذه الاقتباسات فمحفوظة فى « المجالس المؤيدية » للمؤيد فى الدين هبة الله بن أبى عمران الشيرازى الإسماعيلى ، داعى الدعاة فى عصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمى . ومؤيد هذا (الذى ظن منذ زمن بعيد أن كتبه قد ضاعت ، ولكن أكثرها وجد منذ زمن قليل فى خزانة حسين الهمدانى) أحد الظواهر الفذة فى أدب الفاطمية . وقد ولد فى شيراز وعمل فى الأقاليم الإسلامية الشرقية إلى حوالى سنة ٤٣٨ ؛ ثم رحل بعد هذا إلى مصر حيث أظهر نشاطاً عقليا وسياسيا كبيراً إلى حوالى سنة ٤٧٠ حين توفى . وهو نفس داعى الدعاة الإسماعيلى الذى حفظ لنا ياقوت مراسلاته

(١) H. Ritter, *Philologica, V, in, Der Islam*, XIX 1930, p.1 .

مع المعرى[١] . ومن بين مؤلفاته العديدة « سيرة » لنفسه هى أقدمُ وأثمنُ ما فى الأدب الإسلامى جميعه فى هذا الباب ؛ وله كذلك ديوان ضخم . أما أهم كتبه «فمجالسه»[٢] وتبلغ ثمانية مجلدات تحتوى على ثمانمائة مجلس أعنى محاضرات ألقاها مؤيد فى دار العلم بالقاهرة . ومحتوى هذه المجالس متنوع أشد التنوع . ففيها يشرح مسائل العقيدة الإسماعيلية ، وفيها يعالج المسائل السياسية والدينية . وفى أحيان كثيرة كان يقرأ على السامعين فصولا من كتب إسماعيلية قد ضاعت ، مضيفا إليها تعليقات وشروحا من عنده[٣] . فتارة يذكر نص مراسلاته مع المعرى ، وأخرى يعرض كتاب داعٍ اسماعيلى ، غير مذكور الاسم ، فيه ردٌّ على كتاب « الزمرذ » لابن الراوندى . أما كتاب الداعى فمخطوط بتمامه . وما فيه من اقتباسات كثيرة من كتاب « الزمرذ » يكفى لمعرفة محتوى هذا الكتاب الأخير بدقة كافية . والمخطوطة التى أطلعنى عليها صديق الدكتور حسين الهمدانى حديثة جداً ولكنها جيدة نسبياً ؛ وما فيها من أخطاء النسخ يمكن إصلاحه بسهولة[٤] . والنص التالى فى المجلد الخامس من «المجالس المؤيدية» ص ٦٣ — ٨٨ .

---

(١) انظر ، بعد ، الفصل السابع .

(٢) إن شاء القارئ تفاصيل فى هذا الموضوع فليرجع إلى مقالة حسين الهمدانى: *The History of the Ismaili Dawat and its literature during the last Phase of the Fatimid Empire*, JRAS, 1932, pp. 126—136، وليراجع أيضا : W. Ivanow, *A Guide to Ismaili Literature* (London 1933) p. 48, hr. 154.

(٣) أنظر أيضا ، بعد ، الفصل الثامن .

(٤) واجب على أن أشكر الأستاذ الدكتور عبد العليم على مقدار كبير من تصحيحات النص .

- ٢ -

النص

المجلس السابع عشر من المائة الخامسة من المجالس المؤيدية(١)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله المانّ على ذوى الاسترشاد ، من أهل الرشاد ، الآحاد والأفراد ، الذين أورثهم الكتاب . إذ اصطفاهم من العباد ، وجعلهم مطفئين بنور توحيده نارَ الإلحاد . وصلى الله على خير من مشى فوق الأرض المهاد ، ونشأ تحت السبع الشداد ، محمد أمجد الأمجاد ؛ وعلى وصيّه علىّ الرفيع العماد ، الطويل النجاد ، صفوة الركّع والسجّاد ؛ وعلى الأئمة من ذريته غيث البلاد ، المشار إليه بقوله سبحانه إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد .

معشر المؤمنين ! جعلكم الله بعلائق الدين متعلقين ، ومن خشية ربهم مُشْفِقين(٢) . إنه وقع إلى أحد دعاتنا تصنيف صنفه ابن الراوندى عن ألسنة البراهمة فى ردّ النبوات ، وإبطال مراتب من أقامهم الله (تع) لتبليغ كلامه ورد الرسالات . فأجاب عنه بما رماه فيه بقاصمة الظهر ، إبطالا لما أتى به من صريح الكفر . ونحن نقرأه عليكم ، ونسوق فائدته إليكم بمشيئة الله وعونه .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الناجى من استدلّ عليه بأنبيائه عليهم السلام فهم له* مسلمون . المستبصر من طلب الاستبصار من جهتهم إذ الملحدون عنهم عمون ، الموضح سبيل الهداية بهم ليحق الحق ويبطل الباطل

ص٤

(١) العناوين مكتوبة فى المخطوطة بالحبر الأحمر ؛ وفى أحيان كثيرة كان يغفلها الناسخ . (٢) سورة ٢٣ : ٥٧ .

ولو كره المجرمون . وصلى الله على من ختمت نبوتهم[١] به خاصة وعليهم عامة ، وعلى التابعين لهم بإحسان ، الذين لهم ذرية ايمان .

أما بعد ، فإنه وقعت إلينا رسالة عملها ابن الراوندى وسماها «الزمرذة»[٢] ونسبها إلى البراهمة فى دفع النبوات ، وذكر فيها حججا يحتج بها مثبتوها فى إثباتها ، وحججاً يحتج بها نافوها[٣] فى نفيها ، فوقع الغنى عن إعادة قول المثبتين الذين هم إخواننا فى الدين ، ووجب اقتصاص أقوال النافين والإجابة عنهم بما نستمد التوفيق فيه من رب العالمين (سبحنه) .

<قال ابن الراوندى>[٤] : «إن البراهمة يقولون إنه قد ثبت عندنا وعند خصومنا أن العقل أعظم نعم الله سبحنه على خلقه ، وإنه هو الذى يُعرف به الرب ونعمه ومن أجله صح الأمر والنهى والترغيب والترهيب . فإن كان الرسول يأتى مؤكداً لما فيه من التحسين والتقبيح والإيجاب والحظر فساقط عنا النظر فى حجته وإجابة دعوته ، إذ قد غنينا بما فى العقل عنه ؛ والإرسال على هذا الوجه خطأ . وإن كان بخلاف ما فى العقل من التحسين والتقبيح و*الاطلاق والحظر فحينئذ يسقط عنا الإقرار بنبوته » . هذا نص كلامه . ص٦٥

الجواب وبالله التوفيق : أما قوله : ثبت عندنا وعند خصومنا أن العقل أعظم نعم الله سبحنه على خلقه ، فنقول: إنه قَطْعٌ على قول لم يحرّره . وذلك أن العقل كامن فى الصورة البشرية كمون[٥] النار فى الزناد ، فلو بقى ما بقى فى مضماره عادماً لمن يستخرجه ويستدرجه لم يقع انتفاع به كالنار الكامنة فى

(١) نبوتهم : فى الأصل ، بنبوتهم . (٢) الزمرذة : فى الأصل الزمردة .
(٣) نافوها : فى الأصل ، نافروها .
(٤) قال ابن الراوندى : غير موجود بالأصل .
(٥) كمون : فى الأصل ، كون .

الحجر والحديد لا يُستنفع بها ولا يُحظى بطائل من خيرها ما عدمت القادح. والذى يقع من الفعل المكهن فى الصورة الآدمية موقع قادح الزناد هم الأنبياء صلى الله عليهم الذين دفعهم هذا الدافع وأنكر مقاماتهم، فهم أولى بأن[1] يسمّوا عقلا، لاستخلاصهم العقول من الصورة البشرية وإخراجهم إياها من حد القوة <إلى الفعل>[2]، وهم نعم الله سبحنه على خلقه والذين بهم يصل العبد إلى معرفة ربه. فليمكس المسألة ير فيه خيراً كثيراً.

وسوى[3] هذا فيقال للمدّعى إنه بجناح عقله يجد فى آفاق المعارف مطارا، ويقيم[4] لنفسه من المجد بمعرفة مغيبات الأمور مناراً: معلوم أن صورتك الجسمية مخلوقة مهيأة للنطق، مقصود بها ما يقصده صانع البوق والأشياء المصوّتة فى صنعته من تجويف أو توسيع موضع وتضييق موضع*، وتخليص الصوت من ضيقة الحلقوم وتقبّله باللهاة والعبارة عنه باللسان وتفصيله بالشفتين وتصيير الأسنان[5] عوناً عليه. فيا من أزيحت علته فى هذه الأدوات كلها ما منعك عن أن تقوم بعد ذلك من تلقاء نفسك متكلما، وعن مستدرج الكلام منك لفظاً لفظاً مستغنيا؟ فإذا لم تنهض للكلام الذى هو أقرب متناولا إلا بمُنهِض، فكيف تنهض بعقلك إلى معرفة التوحيد ومعالم الدار الآخرة إلا بمنهض، وذلك المنهض هو النبى صلى الله عليه وآله الذى تنكره وتجحد نبوته وتقول إن فى عقلك ما يغنى عنه؟ ص٦٦

وكلام آخر: معلوم أن فى البصر[6] صنع الله سبحنه فى ظاهر الصورة يبصر به الإنسان مبصَرات الدنيا، والعقل صنعه سبحنه فى باطنها

(١) بأن: فى الأصل، أن
(٢) إلى الفعل: سقط فى الأصل.
(٣) وسوى: سوا.
(٤) ويقيم: أو يقيم
(٥) الأسنان: الانسان.
(٦) فى البصر: أيجب حذف «فى»؟

يبصر به الأمور المعقولة الغائبة عن الحس ، وتأملنا البصر إذا قام ليبصر لا ينهض بنفسه إلا بحامل يحمله خارج عنه من ضوء شمس أو قمر أو نار ، وإذا عدم الحال من هذه الأصناف المذكورة لم يبصر شيئا وإن كان فى غاية الصحة والقوة . فوقع الحكم من ذلك على أن العقل إذا نهض للمعالم الخفية عن الحس احتاج كذلك إلى حامل يحمله ونور من خارج بإزاء الشمس والقمر والنجوم والنار ، فإلا لم يجد* نفوذاً فى أقطار سموات المعلومات ، وإن كان العقل ص٦٧ فى غاية الصحة والقوة . فذلك النور الخارج الحامل للعقل والمريش لسهمه والمنفذ[1] له فى أقطار السموات والأرض هو النبى صلى الله عليه وآله أنت له منكر وبه جاحد .

وسيتلى عليكم ما بقى فيما يلى هذا المجلس . جعلكم الله من التابعين للأدلة ، كما جعلكم نخبة أهل الملة ، والحمد لله الذى هدانا لقصد السبيل ، وعصمنا من الضلال والتضليل ، وصلى الله على رسوله المبعوث بالحق المبين

والكتاب المستبين ، محمد الشافع في أمته يوم الدين؛ وصنوه ابن عم الرسول ، وزوج البتول ، علي بن أبي طالب صاحب التأويل ؛ وعلى الأئمة من ذريته الأبرار الرفيعي الأقدار ، وأعراف الله بين الجنة والنار ، وسلم تسليماً ، حسبنا الله ونعم الوكيل.

المجلس الثامن عشر من المائة الخامسة من المجالس المؤيدية

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذى هدانا بمحمد صلى الله عليه وعلى آله الصراطَ المستقيم ، وآتاه سبعاً من المثانى والقرآن العظيم ، وجعله لسان صدق أبيه إبراهيم ، وأيده بوصى جعله لأمثال شرعه الترجمان ، يتوجه ص٦٨ نحوه معنى القول من الرحمن ، الرحيم الرحمن ، علم القرآن* ، خلق الإنسان

(١) المنفذ : المنقذ . (٢) الرفيعى : الرفيع .

علمه البيان على بن أبى طالب الذى هز أعطاف المنبر إذا أطلق من فوقه اللسان ، وزلزل منكب الميدان ، إذا غشى الميدان ، صلى الله عليهما ، وعلى الأئمة من ذريتهما ، الذين رفع الله لهم المكان ، وأتاهم بوارثة جدهم العز والسلطان .

معشر المؤمنين ! جعلكم الله من إذا استعان به أعان ، وزادكم بصيرة بنور الإيمان ، قد أتاكم شعبان شهر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الذى عظم شأنه ، وأعلى على مكان الأنبياء مكانه ، بشيراً بين يدى شهر رمضان ، الذى هو شهر الله سبحانه ، فطهروا أجسامكم فى هذه الأشهر المباركة من دون المعاصى ، وتحرزوا بالعبادتين العلمية والعملية مالك النواصى ، ولا تمرن بكم من ساعاتها ساعة ، إلا وقد طرزت أكمامها من طاعتكم طاعة .

وقد سمعتم ما قرئ عليكم من الجواب فيما احتج به ابن الراوندى فى إبطال النبوات وتعطيل الرسالات ، ووعدتم بسوق باقيه إليكم ونشر الفائدة عليكم ، تهذيباً لنفوسكم وإصلاحاً لأديانكم ، وعصمة من الاغترار بفساد المفسدين وإلحاد الملحدين ، وتثبيتاً على ما تستوجبون به نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة ، يثبت الله* الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . ص٦٩

قال المجيب : معلوم أن الناس متفاوتون فى عقولهم تفاوتاً عظيما ، فقوم نسناس لهم من الإنسانية صورتها قط ، وقوم سكان جبال ومواضع غامضة ورعاة بقر وغنم وهم أصلح حالا فى قربهم من سكة العقل ، وقوم هم عامة البلدان وهم أقرب حالا ، وقوم خواص ، وقوم علماء وأخيار ؛ فلا يزال الشىء يُخَلَّص ويَنْسَبِك حتى ينتهى إلى الصفوة التى لا يشوبها الكدر وهم الأنبياء عليهم السلام الذين تنكرهم أيها الجاحد وتجحد مقاماتهم ؛ فهم

يقبلون على تابعيهم فى استخلاصهم من الكدر وإحالتهم إلى جوهر الصفاء ، ويؤثرون فيهم تأثير الجمر فى الفحم الأسود المظلم بإحالته إلى جوهره وإفادته من نوره وتخليصه من سواده . وبعض هذا البلاغ جواب لمن انتهج مناهج الصواب دون من طَبع الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة .

وأما قوله : أن الرسول (عليه السلام) أتى بما كان منافراً للمعقول مثل الصلاة وغسل الجنابة ورمى الحجارة والطواف حول بيت[1] لا يسمع ولا يبصر والعدو بين حجرين لا ينفعان ولا يضران ، وهذا كله مما لا يقتضيه عقل فما الفرق بين الصفا والمروة إلا كالفرق* بين أبى قبيس وحرى ، ص٧٠ وما الطواف على البيت إلا كالطواف على غيره من البيوت ، وقوله بعد ذلك إن الرسول شهد للعقل برفعته وجلالته فلِمَ أتى بما ينافره إن كان صادقا

فنقول وبالله التوفيق : إن الرسول صلى الله عليه وآله بعثه الله سبحانه لينشأ النشأة الآخرة كما أن الوالدين ينشآن أولادهما النشأة الأولى . فنعتبر[2] أحوال الوالدين وأفعالهما بمواليدهما ونحمل قضية الرسول عليه السلام < عليهما > ونزن بميزانهما[3] . وقد وجدنا الوالدين موضوعهما قطع الأولاد عن العادة البهيمية ، وكسبها[4] الأخلاق الإنسانية ، استخلاصاً للنطق منها . وهو ما يقع الفرقان به بين البهائم وبينها[5] . وإفادةً للحياء وحسن الشمائل التى لا قِبَل للبهائم بمثلها ؛ ولو أنهم كفّوا عن رياضتهم هذه الرياضة لخرجوا أشباه البقر والغنم . نقول إن الأنبياء صلوات الله عليهم يسلكون بتابعيهم الذين ينشأونهم النشأة الثانية للدار < الآخرة >[6] مسلك الآباء والأمهات بأولادهم

---

(١) بيت : البيت (٢) أولادهما : أولادها . فنعتبر : فتعتبر .
(٣) ونحمل : وتحمل . عليهما : سقط فى الأصل . ونزن : وتزن . بميزانهما : بميزانها (٤) وكسبها : وكسبهما . منها : منهما
(٥) بينها : بينهما (٦) الآخرة : سقط فى الأصل

فيخرقون عليهم العادات الطبيعية ويعلّمونهم الأخلاق الملكوتية و <لما>[١]
كان خارجا عن العادات الطبيعية أن يقوم أحد إلى طهارة ويتوجه إلى قبلة
ويقوم بصلاة يقصد بجميعها عبادة ربه سبحانه ؛ أوجب الرسول صلع* ذلك ص٧١
كله خرقا للعادات[٢] الطبيعية وتمييزاً للصوَر البشرية : بأن تقوم فى كل يوم
وليلة خمس أوقات لعبادة ربها والاعتراف بنعمة معبودها والاستمداد من
رحمة ربها ؛ وأوجب عليها زكاة مالها ليعود بفضل ما عند غنيها على فقيرها
خرقا للعادات البهيمية ؛ وأوجب أن تصوم شهراً عبادة لربها خرقا للعادات
البهيمية العاكفة طول زمانها على علفها ؛ وأوجب حج بيت الله الحرام ، ومثل
ذلك على من يريد الوصول إلى محبوبه فيحتاج أن يقطع إليه الشقة ويحتمل
دون الوصول إليه المشقة وجعل فيه الإحرام والإحلال والطواف والسعى
والوقوف بعرفات وغير ذلك أوضاعا حسنة حكيمة يعرفها الراسخون فى العلم
خلاف ما ظنه الملحد فقال فيه ما قال .

وفيما أوردناه كفاية لمن كان منصفاً لنفسه محكّماً لعقله . وسنورد عليكم
ما بقى من السؤال والجواب فيما يلى هذا[٣] المجلس بمشيئة الله وعونه .
جعلكم ممن يستعين به من الشيطان الرجيم ، ويمشى بالاستدلال بأدلة دينية
سوياً على صراط مستقيم . والحمد لله الذى سما عن مسمى الأوهام ، وعلا
عن معراج الأفكار إليه والأفهام . وصلى الله على نبيه المختوم به النبوة أحسن
الختام ، محمد خير الأنام وعلى وصيه القرم* الهمام علي بن أبي طالب ضراب الهام ، ص٧٢
وكشاف الكرب العظام ، وعلى الأئمة من ذريته الصفوة الكرام الذين

(١) لما : سقط فى الأصل
(٢) العادات : العبادات
(٣) هذا : من

افترض طاعتهم وولاءهم ذو الجلال والإكرام وسلم تسليما ؛ حسبنا الله ونعم الوكيل .

<المجلس التاسع عشر من المائة الخامسة من المجالس المؤيدية[1]>

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله مبدع ذى العرش المجيد الذى خرس اللسان عنه فى تجريد التوحيد ، إذ كان أجلّ ماينعت به من نعوت العبيد . وصلى الله على أشرف من لاح له بارق الوحى والتأييد ، محمد صاحب المقام المحمود وعلى صنوه العميد ، وباعه المديد ، وبأسه الشديد على بن أبى طالب صفوة العُلَى المجيد ؛ وعلى الأئمة من ذريته السادة الصيد ، الأمجاد الأجاويد.

<معشر المؤمنين>[2] جعلكم الله ممن وفقهم للقول السديد والفعل الرشيد . قد سمعتم ماقرئ عليكم من أسئلة[3] الملحد وأجوبتها مايهتك أسرار الملحدين ، وينظم شمل أبناء الدين ، المهتدين بالأنبياء عليهم السلام المؤيدين ؛ ونحن نتلو عليكم ما بقى من السؤال والجواب مما نسأل الله تعالى الهداية فيه للرشاد والصواب .

قال الملحد فى شأن المعجزات والدفع فى وجوهها : إن المخاريق شتى ، وإن فيها مايبعد الوصول إلى معرفته ويدق عن المعارف * لدقته وإن أورد أخبارها بعد ذلك عن شرذمة قليلة يجوز عليها المواطأة فى الكذب .

فالجواب عن ذلك : أن المحقّين لا يستصحون النبوات إلا من المعجزات العلمية دون <تسبيح>[4] الحصى وكلام الذئب وغير ذلك مما هو طَلِبَةُ[5] من قصر باع علمه وفهمه مشفوعة تلك بالنصوص كما قال

(١) غير موجود بالأصل

(٢) معشر المؤمنين : غير موجود بالأصل (٣) أسئلة : أسولة

(٤) تسبيح : سقط فى الأصل . (٥) طلبة : طلبته . مشفوعة ؟

سبحانه حكاية عن المسيح عليه السلام : « وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يأْتى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ » فهذا هو النص الجلى الذى كان ينتقل خبره[١] من واحد إلى واحد حتى انتهى إلى بحيراء الراهب الذى كان التق[٢] بأبى طالب وهو مسافر يومئذ إلى الشام ، ومحمد صلى الله وآله فى صحبته فقال له : إن ابن أخيك هذا هو النبى الذى بشر به المسيحُ عليه السلام ؛ فاحذر[٣] عليه من اليهود أن يغتالوه . فلما ظهر النبى صلى الله عليه وآله تسرع إليه سلمان الفارسى من فارس مسلما له ومؤمنا به من دون معجزة أقامها ؛ وآمنت به خديجة بنت خويلد وعلى بن أبى طالب وأبو بكر بن قحافة ، ولما أظهر يومئذ معجزا ؛ وهذه عمدة النبوات وقانونها . وأما تسبيح الحصى وكلام الذئب وما يجرى مجراهما فلا ينكره العقول . فأما من كانت نفسه أشرف النفوس لجسمه بمجاورة * نفسه أشرف الأجسام ، ومن كان فى نفسه وجسمه ص٧٤ بهذا الكمال فى الشرف لم يكن مستحيلا أن يصدر عنه ما يخرق العادة من إعجاز لا قِبَلَ للبشر بمثله .

وأما قوله فى القرآن : إنه لا يمتنع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من القبائل كلها ، وتكون عدة من تلك القبيلة أفصح من تلك القبيلة ، ويكون واحد من تلك العدة أفصح من تلك العدة إلى حيث قال : وهَبْ أن باع فـ...ـه طالت على العرب ، فما حكمه على العجم الذين[٤] لا يعرفون اللسان وما حجته عليهم ؟

فالجواب عن ذلك : أن الكلام ألفاظ مقدَّرة على معان ملائمة لها ، والكلام كالجسد والمعنى فيه روحه . ومعلوم أن الأجساد من حيث كونها

(١) خبره : خيره (٢) التقى : التقا
(٣) فاحذر : فاحذره (٤) الذين : الذى

أجسادا لا تتفاوت تفاوتا كثيرا ؛ فإنها وإن رجح بعضها على بعض من حيث استقامة النظم وحسن الهندام فهو أمر قريب ، وليس كذلك التفاوت من جهة النفوس التي هى المعانى . فإن نفسا واحدة تقع بوزان الخلق كلهم من حيث افتقار النفوس إليها والحاجة إلى الامتياز[١] منها . والقرآن فهو كلام هو بمثابة الجسد ومعناه روحه الذى كنى الله سبحانه <عنه>[٢] بالحكمة ، فلم يذكره فى موضع من الكتاب إلا قرنه بالحكمة ، وقد قاربت ص٧٥ أيها الخصم بالاقرار * بكونه معجزا من حيث لفظه للعرب الذين هم أهل اللسان ، ثم أردفته بقولك : فما الحجة على العجم الذين ليسوا من اللسان فى شيء ؟ فنقول : إن فى معناه المكنى عنه بالحكمة التى قدمنا ذكرها ما يقوم به الحجة على كل من تفتق بالكلام لسانه على جميع اللغات وسائر (اللغات) العبارات ، والحجة فيه أن ما كان ظاهره الذى هو بمنزلة الجسد الذى لا يتفاوت بعضه على بعض كثير تفاوت بهذه المثابة من الإعجاز ، فما يقال فى معناه الذى هو بمنزلة نفس شريفة تفتقر النفوس إليها كلها ، فأين موقعها من الإعجاز .

وسيتلى عليكم ما بقى فيما يلى هذا المجلس بمشيئة الله وعونه . جعلكم الله ممن انتفع بسمعه وبصره وجرى من الدين على أحسن منهاجه وأيسره[٣] ، والحمد لله الذى علا عن أن يكون موهوما ، وسما عن أن يكون معلوما أو موسوما . وصلى الله على من جعله للعالمين نذيرا ، وأقامه فى سماء الدين سراجا وقمراً منيرا ، محمد الشفيع لأمته يوم يجد كل امرئ كتاب عمله منشورا . وعلى وصيه وترجمان دينه ومظهر حججه وبراهينه ، على بن أبى طالب

---

(١) الامتياز : لعله الانقياد [لعله : الامتيار]

(٢) عنه : سقط فى الأصل ؛ قارن س ٧ (٣) أيسره : يسره

خارق الصفوف فى يوم صفينه . وعلى الأئمة من ذريته الأطهار الزاكين الأخيار ، * أعراف الله بين الجنة والنار وسلم تسليما . حسبنا الله تعالى ص٧٦ ونعم الوكيل .

<المجلس العشرون بعد المائة الخامسة من المجالس المؤيدية[(١)]>

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذى أطلع بالأئمة من آل محمد صلى الله عليه وعليهم من سماء الرسالة نجوما جعلهم لشياطين الملاحدة والزنادقة رجوما . فلا يغلب قدر الله تعالى فى اصطفائهم غالب . فإن طلب إدراك شأوهم فيما لهم من المادة الإلهية تعب الطالب . لاَ يَسمَّعُونَ[(٢)] إلىَ الملاَءِ الأعلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كلِّ جَانِب . دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ واصِبٌ . إلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثَاقِب[(٣)] . وصلى الله على أبهر الأنبياء برهانا وأظهرهم شأنا ، وأرفعهم عند الله مكانا ، محمد الذى أنزل عليه قرآن ؛ وعلى وصيه سيف التنزيل ، ولسان التأويل ، على بن أبى طالب صنو الرسول ، وكفؤ البتول ؛ وعلى الأئمة من ذريته أعلام الشريعة ، وشفعاء الشيعة ، الذين اختصهم الله فى الإمامة بالدرجات الرفيعة .

معشر المؤمنين ! جعلكم الله للحق نبعاً ، كما أبانكم عن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا . قد سمعتم ما ألقى إليكم من كلام الملحد والجواب عنه ص٧٧ ما ينفى الشبه ، ويزيلَ العمى والعمه ؛ ووعدتم بسوق ما بقى <من>[(٤)] ذلك إليكم ، وإفاضة الفائدة عليكم . قال الداعى فى الجواب عن رد الملحد على

---

(١) غير موجود بالأصل (٢) يسمعون : يستمعون
(٣) سورة ٣٧ : ٨ — ١٠ (٤) من : سقط فى الأصل

آية المباهلة[1] وأسبابها ومعنى قوله سبحانه : فَتَمَنَّوا الموْتَ إن كُنتم صَادِقينَ[2] وما يجرى هذا المجرى من الآيات <التى> ذَكَرَها : إنه إن كانت معانيها مستقرة بينه وبين خصمه كان له الطريق للرد عليها والدفع فى وجهها . فإن قال خصمه : إن معانيها غيرما تضمنته شروط حسابك بطل الرد كله وضاع تعبه : وكمثل ذلك حُكم رده على قوله :«وَما كُنْتَ تَتْلُو[3] مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتاب »[4] الآية ومايعلقه[5] بقوله« لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ[6] » بأن ذلك رجماً بالغيب لا قطعاً على ما يريد كونه. فمن حرص الخصم على الرد ساق تأويل[7] المقامات فى جملتـه غيرَ معتبر ؛ وموضع العيب فى ذلك ظاهر .

وأما قوله فى رد المعجزات التى من جملتها حديث الميضأة وشاة أمّ معْبَد وحديث سُراقة[8] وكلام الذئب وكلام الشاة المسمومة ؛ وما قاله فى أن النبي (صلى الله عليه وآله) دفع فى وجه ملتين عظيمتين متساويتين اتّفقا على صحة قتل المسيح (عليه السلام) وصلبه فكذبهما . وإن كان سائغاً أن ص٧٨ يُبطل ذلك الجمهور العظيم المتكاثر العدد وينسبها إلى* الإفك والزور كان رد الشرذمة القليلة من نَقَلة[9] هذه الأخبار عنه أمكن وأجوز بحجة الوضع الذى وضعه والقانون الذى قنّنه فى المباهتة والمكابرة .

فالجواب عن ذلك : أننا كنا سقنا إلى القول فى شأن هذه الأمور

---

(١) سورة ٣ : ٦١

(٢) سورة ٢ : ٩٤ ؛ ٦٢ : ٦

(٣) تتلو : تتلوه

(٤) سورة ٢٩ : ٤٨

(٥) يعلقه : تعلقه . بأن : فإن

(٦) سورة ٤٨ : ٢٧

(٧) المقامات : المقامات

(٨) معبد : معيد . سراقة : سواقة

(٩) نقلة : ناقلة؛ قارن ص ٩٠ س ٩

وكونها مستغنىً عنها عند خواص الناس ، وأن سلمان الفارسى رحمة الله عليه شق إليه أعطاف الأرض لما كان عنده من الإعلام دون أن طالبه بمعجزة ، وأن خديجة بنت خويلد وورقة بن نوفل وعلى بن أبى طالب وأبا بكر بن قحافة سبقوا إلى إجابة دعوته بلا سبب من هذه الأسباب كلها ، وقد غنينا عن الارتكاض فى تتبع كلامه فى ذلك بابا <بابا> وإجابته عنه . فقد أجبناه جملة واحدة .

فأما قوله : إنه دفع فى وجه أمتين عظيمتين اتفقا، على تضادهما، فى صحة قتل المسيح (عليه السلام) وصلبه وكذبهما على كثرة العدد ووفور السواد ، فتكذيب نقلة أخبار معجزاته أولى فأولى أخذاً على منهاجه وبناء على أساسه فالجواب عن ذلك قول القائل :

فكم من عائب[1] قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم[2]

موضوع كلام المتكلم فى كون المسيح عليه السلام بشراً يأكل* ص٧٩ الطعام فى مضماره وجوب الموت والقتل عليه وجميع ما يعرض للصورة البشرية ، قال القائل أو لم يقل . وفى مضمار[3] قول القائل إنه كان إلـٰهاً نفىُ الموت والقتل عنه ، قال القائل أو[4] لم يقل . وقوله سبحانه: «وما قتلوه وما صلبوه» إخبار عن حقيقة حاله أنه عند الله سبحانه حى مرزوق يوافق ذلك قوله فى موضع : «وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً

---

(١) عائب : غائب

(٢) هذا البيت للمتنبي ، انظر ديوانه طبع ديترتسى (برلين سنة ١٨٦١) ص ٣٣٩ :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم

(٣) مضمار : مضماره (٤) أو : أم

بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(١) » . وهو كما قدمنا ذكره إخبار عن حقيقة حالهم دون مجازها ، والعقلاء يطلقون القول على العالم الفاضل العاقل أنه حى وإن كان ميتاً ، وعلى البليد الجاهل أنه ميت وإن كان حياً . وإذا كانت الصورة هذه فقد تعلق الملحد بما لا علاقة له به .

وسيتلى عليكم ما بقى فيما يلى هذا المجلس بمشيئة الله وعونه . جعلكم الله ممن نزه عن الشُّبه دينه . وأخلص فى يقينه . والحمد لله الذى احتجب عن درك الأوهام ، وقدرته فى مصنوعاته خافقة الأعلام . وصلى الله على رسوله خير الأنام ، محمد الآتى بدين الإسلام ، الداعى إلى دار السلام ؛ وعلى وصيه الصوام القوام ، على بن أبى طالب أسد الضرغام ؛ وعلى الأئمة من ص٨٠ دينه الكرام ، عليهم وعليه أفضل التحية والسلام ؛ وسلم* تسليما . حسبنا الله ونعم الوكيل .

المجلس الحادى والعشرون من المائة الخامسة من المجالس المؤيدية

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله خالق الإنسان وفاتق اللسان ، منه بالبيان . فبجسمه مشقوق من طينة الأنعام ، وبنفسه متجوهر بجوهر الملائكة الكرام فإن صبا إلى الأعلى ، لحق بالأعلى ؛ وإن آثر الحياة الدنيا ، لحق بالسفلى . يقول الله سبحانه ذامًّا لمن نكس صورته من الجاهلين : « لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ(٢) » وصلى الله على أشرف ذوى الإحساس حسًّا وأجلّ ذوى النفوس نفساً ، محمد الطالع من سماء الرسالة شمساً ؛ وعلى قمره المنير ، وصى دينه والوزير ، على ابن أبى طالب المفروضة طاعته فى يوم الغدير . وعلى الأئمة من ذريته السادة

(١) سورة ٣ : ١٦٩ (٢) سورة ٩٥ : ٤ ، ٥

القادة . الشهداء على الناس من قِبل عالم الغيب والشهادة .

معشر المؤمنين ! حيّاكم الله من فضله بالزيادة، وختم أعمالكم بالسعادة؛ قد سمعتم ما قرأى عليكم من مناظرات الملحد والإجابة عنها بما يرميه بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ[1] ويجعل كيدهم فى تضليل[2] . وأنتم تسمعون باقى إسئلته[3] وأجوبتها .

قال الملحد : إن الملائكة الذين أنزلهم الله تعالى فى يوم بدر لنصرة النبى (صلى الله عليه وآله) بزعمكم* كانوا مفلولى الشوكة قليلى البطشة على كثرة عددهم واجتماع أيديهم وأيدى المسلمين ، فلم يقدروا على أن يقتلوا زيادة على سبعين رجلا . وقال بعد ذلك : أين[4] كانت الملائكة فى يوم أُحُد لما توارى النبى (صلى الله عليه وآله) ما بين القتلى فزعا ؛ وما باله لم ينصروه فى ذلك المقام ؟!! ص٨١

فالجواب عن ذلك : إن الكلام خاص وعام ، وإن العوام الذين لا يعرفون غير الأجسام والأشخاص إذا خوطبوا على جوهر الملائكة وتعريهم من الطين وتجردهم عن الأشخاص تخبلوا وتزلزلوا[5] ؛ وإذا كان النبى صلى الله عليه وآله مبعوثاً إليهم ومندوبا[6] لسياستهم فلا بد له من أن يكلمهم بما يعرفون وعلى حسبما تسعه قوة قبولهم واحتمالهم ، يدرجهم قليلا قليلا إلى كلام الحقائق وعلم الدقائق . وهذا من جلالة النبوة والنبى صلى الله عليه وآله بأن يتكلم بلسان واحد فيأخذ منه العقل بصيبه . وقد وضعهم[7] الملحد من حيث أراد أن يضعهم لِيَجْعَلَ اللهُ كلمة الذين

---

(١) سورة ١٠٥ : ٤

(٢) قارن سورة ١٠٥ : ٢

(٣) أسئلته : أسولته

(٤) أين : لئن

(٥) تخبلوا : تخيلوا

(٦) مندوبا : مندربه

(٨) وصفهم : وضعهم

كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا . وفى ذلك أعنى فى[1] حديث الملائكة من أسرار الحكمة ، وهو خاف عليه ومعلوم أن القادر على قبض الأرواح مستغن عن إسراء السرايا للمقاتلة ، وإنما هذه رموز .

ص٨٢ * وأما قوله فى إخبار النبى (صلى الله عليه وعلى آله) عن بيت المقدس وإعطائه علامته للناس إنه تخرق بذلك لأنه يمكن مسيره إليه من مكة ومشاهدته له والعود من ليلته لقرب المسافة بين مكة وبينه . فالجواب أن بصيرة الملحد فى علومه مثل بصيرته بالطريق ما بين مكة وبيت المقدس . وكفى بذلك جهلاً وسخنة عين .

وأما حكايته عن بعض دافع النبوات : أن الكلام مستملى عن الوالدين صاعدا قرنا فقرنا إلى ما لا نهاية له فليس للخلق أول . فهذا كلام من ترقى من حد دفع النبوات إلى القول بقدم العالم . وشبه ذلك بأصوات الطيور وبلوغها غرضها فيه ، وأنه إذا كان موجودا فى الطيور مايفعل ذلك كان فى الناس أمكن وجودا . فهذا تشبيه باطل لأن أصوات الطيور وسباحة الإوز وتعلق الطفل المرضع بالثدى مما ذكر جميعها طبيعة فيها والكلام لا يصح إلا بمكلم أو مفهم ؛ وهذا غلط كبير .

وأما قوله لمن يقول بالنبوات : خبرونا عن الرسول كيف يفهم مالا تفهمه الأمة . فإن قلتم إنه بإلهام ففهم الأمة أيضا بإلهام ، وإن قلتم بتوقيف

ص٨٣ فليس فى العقل توقيف . فالجواب عن ذلك : أن جسد الإنسان * أكثره لحم وقلبه لحم يجانس جملة جسده باللحمية . غير أنه بيت الحياة والفضل ، وعنه تنتشر الحياة فى الجسد كله . وهذا أمر مشهور . وكذلك مثابة الرسول صلى الله عليه وعلى آله فى الناس، محله محل تلك القطعة من اللحم من الجسد

---

(١) فى : من

كله التي هي أميره ورئيسه وبيت حيوته[١] ومستمدّها من معدنها ومفرقها فيه وفي أعضائه وأعضاله .

وأما قوله في النجوم : إن الناس هم الذين وضعوا الأرصاد عليها حتى عرفوا مطالعها ومغاربها ولا حاجة بهم إلى الأنبياء في ذلك . فلو كان الناس قادرين على مثل ماقاله لكانوا قاصري القدرة عن الكلام[٢] . فهم عن وضع الأرصاد على النجوم أعجز لولا النبي الذي يخبر عن السماء .

وسيتلى عليكم ما بقي فيما يلي هذا المجلس بمشيئة الله وعونه . جعلكم الله ممن نزّهه عن الشك والشرك ، وفرق بينه وبين أهل الزور والإفك .

والحمد لله الذي نزل بالحق قرآنه ، ووضع للقسط ميزانه ، وصلى الله على رسوله الذي شيد في الرسالة بنيانه، محمد الذي رفع فوق مكان الأنبياء مكانه ؛ وعلى وصيه الذي وفاه بنفسه في الكربات وصانه ، على بن أبي طالب الذي* ص٨٤ آتاه الله من لدنه سلطانه ، وجعله بين الحق والباطل فرقانه ؛ وعلى الأئمة من ذريته الذين جعلهم الله فروع المجد وأغصانه ، أئمة يلي كل منهم في زمانه زمانه ، وسلم تسليما . حسبنا الله ونعم الوكيل .

المجلس الثاني والعشرون بعد المائة الخامسة من المجالس المؤيدية

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي جعل موضوع الدنيا على الصفو والإكدار ، والتأليف بين الأطهار والأقذار ، والمتقين والفجار ، لعله أوجب تكوّنها في هذا المضمار ، فلا يحيط بها علماً إلا ذوو الأيدي والإبصار ، المستمدون من مشكاة الأنوار . وصلى الله على أرفعهم قدراً في الأقدار ، محمد المصطفى المختار ، المبعوث بالإعذار والإنذار ، وعلى وصيه على

(١) حيوته : حيوتها (٢) القدرة عن الكلام : الكلام عن القدرة .

الـكَرّار ، قسيم الجنة والنار ؛ وعلى الأئمة من ذريته الأبرار ، ذوى المجد المتعالى المنار

معشر المؤمنين ! جعلـكم الله من المقتفين منهم الآثار ، والمتلقين لأوامرهم بالائتمار . وورد فى الأخبار : أن الغول خلق يغتال الناس ويهلـكهم ويرمى فى الآجراف والآبار ، وأن كثرة بأسه على الأعزاب والصبيان . وجاء فى الخبر بتصديق ذلك : لا تغول الغيلان إلا الأعزاب والصبيان . وقالوا إن سبب* ذلك أن تظهر فى صورة المرأة الحسناء ، وتعترض للأعزاب فتحركهم الشهوة فيتبعونها فتنكب بهم عن الطريق الجادة إلى المجاهل حتى ترميهم فى البئر أو الجرف . ويؤثر عن النبي صلى الله عليه وآله : إذا تغولتكم الغيلان فأذنوا بالصلاة تهتدوا[1] إلى الطريق وهذه كلها أمثال مضروبة ؛ والمعنىُّ فيها أهل الإلحاد والزنادقة الذين يغتالون الناس بصدهم عن سواء <السبيل>[2] ورميهم فى أطباق جهنم والمعنى فى القول أن كثرة[3] سطوتهم على الأعزاب والصبيان أنه يتبع من لم يثبت له قدم من جهة العلم ، فهو ذو صبوة وحداثة فى دينه ، وأما تمثله بالمرأة الحسناء فإنه عنى به أنه تمثل له بصورة[4] الدنيا التى تتشبة بالمرأة الحسناء والأعزاب طالبوها ومشتهون لها . ويقال < فى >[5] الخبر : إن المسيح عليه السلام اعترضت له الدنيا فى صورة امرأة حسناء ذات حلل وحلى وجمال ، فقال لها : ما أنت ؟ قالت أنا الدنيا . قال : وماهذه الخرق ؟ قالت: هى زخارف أُغرُّ بها أزواجى وخطابى . قال لها : أنظرى هل أنا من أزواجك أو خُطـابك . فقالت : لا ، ولـكنه

ص٨٥

---

(١) تهتدوا : تهدوا (قارن س ٦ ص ٩٧)
(٢) السبيل : سقط من الأصل (قارن س ٨ ص ٩٧)
(٣) كثرة : كثر (قارن س ٥ ص ٩٦)
(٤) بصورة : صورة (٥) فى : سقط فى الأصل

لا بد لك من نظرة إلىّ . قال المسيح ع م : قد طلقتك ثلاثاً ، قال أهل التفسير : عنت بقولها لا بد لك من نظرة* إلىّ [عنت به] أن طعامك ص٨٦ وشرابك وثيابك كله منى . وكمثل ذلك قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه : يا دنيا طلقتك ثلاثاً . أوردنا ذلك[١] أنه كله تأكيد لقولنا : لا تغول الغيلان غير الأعزاب والصبيان . وأما قول رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا تغوّلتكم الغيلان فأذنوا بالصلاة تهتدوا للطريق ، فالمعنى فيه أنه إذا اعترض ملحد أو زنديق أو أحد من رؤساء الضلالة يريد أن يصدكم عن سواء السبيل فأذنوا بالصلاة ، يعنى عودوا إلى فناء الدعوة التى هى دعوة الحق والمؤذنين الذين هم الدعاة إلى الله بإذنه والعلماء والربانيين ، تهتدوا إلى الطريق وترشُدوا وتعصَموا من كيد الشيطان .

وكان أُورد عليكم من كلام الملحد ابن الراوندى والجواب عنه ما بقيت منه بقيه يسيرة ووُعدتم بسوقها إليكم وإيرادها عليكم .

قال ابن الراوندى على سبيل الهزء : إنه يلزم من يقول بالنبوة أن ربهم أمر الرسول أن يُعلمهم صوت العيدان ؛ وإلا فمن أين يعرف أن أمعاء الشاة إذا جفّت وعلقت على خشبة فضربت جاء منها صوت طيب ؟ !

فالجواب عن ذلك أن الغرض فى هذا القول الشناعة القبيحة وإلا فالشىء موضوع* على أصل قوى . قال بعض الحكماء : لا يصح أن ص٨٧ يحصل عندنا شىء ولما يكن أصله موجودا[٢] فى الخلقة . فإنه لما كان للحركات أصوات وجب أن تكون[٣] حركات الأفلاك التى هى أصل الحركات أطيب الأشياء أصواتا فإن الأغانى استحسنت منها ، وقُدرت على هيئتها بالحكمة

---

(١) أوردنا ذلك الخ : النص غير واضح ؛ ولعله يجب أن يقرأ « لأنه » بدلا من « أنه »   (٢) موجودا : موجود   (٣) تكون : يكون

المستفادة من الأنبياء عليهم السلام وإلا فمن أين ! ؟

وقد سقنا جواب الرسالة الموسومة «بالزمرذة»[١] وهى خزفة مكسورة حسبما فتح الله تعالى لنا فيه ، ونحن نقول قولا يشهد الله سبحانه على حقه وصدقه : إن ابن الراوندى الذى عمل الرسالة مصيبته بعقله أعظم من مصيبته بدينه ، فإنه تتبع الأنبياء عليهم السلام ، الذين هم ملوك الديانات ، بالنقص ، ومعلوم أنه لو كانوا على ما يقوله الملحدون مبطلين فى النبوة ، لكان فيهم من المنفعة الظاهرة فى سياسة الخلق وتحصين دمائهم وأموالهم ومنع قويهم[٢] عن ضعيفهم ما يمنع عن تنقّصهم وثلبهم . وتوكيل هذا الملحد عن البراهمة فى هذا الباب بزعمه لا يوجب له منهم ثوابا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل المحصول منه إحداد شفار القتل لنفسه لو كان حيا وأسن اللعن والخزى إليها ميتا . فإن الذى أتعب خاطره* وسره فى شيء يكون نتيجته فى الحياة الذل والقتل ، وفى الممات الخزى واللعن ، لخاسر الصفقة ظاهر الشقوة : ﴿قُلْ هلْ نُنَبِّئُكُمْ[٣] بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحياةِ الدُّنيا وهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحسِنُونَ صُنْعاً﴾[٤].

ص٨٨

جعلكم الله من الملحدين براء ، ولأوليائه أولياء . والحمد لله الذى سمك للدين سماء وشيد له بناء . وصلى الله على من حل فى النبوة قرارة الشرف ، وتبوأ من المجد فى أمنع الكنف : محمد الآتى بمعانٍ مؤتلفة فى قول مختلف ؛ وعلى وصيه الذى عنده علم الكتاب وفصل الخطاب : على بن أبى طالب أسد يوم الطعان والضراب ؛ وعلى الأئمة من ذريته كهف الولىّ ، وعصر النجىّ ، والنجوم المهتدى بها فى ظلمات البحر اللجىّ ؛ وسلم تسليما . حسبنا الله ونعم الوكيل م؟

---

(١) بالزمرذة : بالزمردة (٢) قويهم : قوتهم (٣) ننبئكم : أنبئكم
(٤) سورة ١٨ : ١٠٣ — ١٠٤

٤ـ شذرات كتاب « الزمرذ »

لا يبدو مؤلف المجالس فى النص السابق إلا قليلا . إذ ليس له إلا الديباجة والخاتمة فى كل مجلس . وهما يحتويان على حمد الله والصلاة على النبي والإشادة بعلى وأئمة الفاطمية الذين يعنيهم وعظ مؤيد . إلا أن ديباجة المجلس الأخير (رقم ٤٢٢) طويلة مفصلة فيها يشبه الملاحدة والزنادقة ، ومن بينهم ابن الراوندى ، بالغيلان التى تغتال الناس وتضلهم سواء السبيل . ولكى يحذر سامعيه منهم ويبين لهم كيف يتقى المرء حججهم يقرأ مؤيد عليهم كتابَ الداعى .

وهذا الكتاب يشغل الجزء الأكبر من المجالس رقم ٤١٧ إلى ٤٢٢. وما ردَّ به فيه على أقوال ابن الراوندى أعظم بكثير مما اقتبسه من كتابه . وهأنذا أورد قطعاً مختارة من كتاب الداعى : فمن رقم ٣ إلى رقم ١٨ اقتباسات مباشرة من كتاب «الزمرذ» ؛ أما رقم ١٠ فهى أقوال للداعى على مواضع من الكتاب لا تقتبس بنصها ؛ بينما رقم ١ ديباجة مؤيد ، ورقم ٢ مقدمة الداعى ؛ ورقم ١٩ نظرة عامة للداعى على ابن الراوندى وكتابه . ونختم ذلك باقتباسات أخرى من كتاب « الزمرذ » مأخوذة من مؤلفين آخرين ، خصوصا الخياط وابن الجوزى .

— ١ —

معشر المؤمنين[1] : جعلكم الله بعلائق الدين متعلقين ؛ وَمِن خَشيةِ

(١) بهذا يخاطب السامعين ، فى كل المجالس ؛ وكذلك فى المجالس المستنصرية المعاصرة لهاتيك والتى تنسبها التقاليد الإسماعيلية إلى بدر الجمالى (انظر «دائرة المعارف الإسلامية» المجلد الأول ص ٥٨٢ وما يليها) . وانظر كذلك H. F. Hamdani, =

رَبِّهِم مُشفِقِين[١] . إنه وقع إلى أحد دعاتنا تصنيف صنفه ابن الراوندى عن ألسنة البراهمة فى رد النبوات ، وإبطال مراتب من أقامهم الله (تع) لتبليغ كلامه ، ورد الرسالات . فأجاب عنه بما رماه فيه بقاصمة الظهر[٢] ، إبطالاً لما أتى به من صريح الكفر . ونحن نقرؤه عليكم ، ونسوق فائدته إليكم بمشيئة الله وعونه (ص ٧٩ ، س ١١ وما يليه) .

— ٢ —

[قال الداعى] : إنه وقعت إلينا رسالة عملها ابن الراوندى ، وسماها « الزمردة »[٣] ، ونسبها إلى البراهمة فى دفع النبوات . وذكر فيها حججا يحتج بها مثبتوها فى إثباتها ، وحججا يحتج بها نافوها فى نفيها . فوقع الغنى عن إعادة قول المثبتين الذين هم إخواننا فى الدين[٤] ، ووجب اقتصاص أقوال النافين والإجابة عنهم بما نستمد التوفيق فيه من رب العالمين سبحانه . (ص ٨٠ ، س ٣٠ وما يليه)

— ٣ —

قال ابن الراوندى : « إن البراهمة يقولون إنه قد ثبت عندنا وعند

Some unknown Ismaîli Authors and their works, JRAS, 1933, p. 377= W. Ivanow, *A Guide to Ismaili Literature* (London, 1933), وانظر أيضا . p. 50. Nr. 170

(١) سورة ٢٣ : ٥٧

(٢) انظر : Dozy, *Suppl.* II, p. 360

(٣) يكاد فى جميع الكتب أن يسمى باسم كتاب «الزمرذ» (وفى « المنتظم » لابن الجوزى : زمرد) ؛ أما هنا فى الشذرة رقم ١٩ فيسمى : كتاب الزمرذة (وفى المخطوطة الزمرذة) . وكذلك فى «معاهد التنصيص» (انظر نيبرج ، « كتاب الانتصار » ، المقدمة ص ٢٧) ؛ أما أنا فقد التزمت التسمية : كتاب الزمرذ .

(٤) انظر مستهل الفصل التاسع.

خصومنا أن العقل أعظم نعم الله سبحانه على خلقه ، وأنه هو الذى يعرف به الرب ونعمه[١] ، ومن أجله صح الأمر والنهى والترغيب والترهيب . فإن كان الرسول يأتى مؤكدا لما فيه من التحسين والتقبيح والإيجاب والحظر ، فساقط عنا النظر فى حجته ، وإجابة دعوته إذ قد غنينا بما فى العقل عنه . والإرسال على هذا الوجه خطأ . وإن كان بخلاف ما فى العقل من التحسين والتقبيح والإطلاق والحظر ، فحينئذ يسقط عنا الإقرار بنبوته».
(ص ٨٠ ، س ٨ وما يليه)

— ٤ —

[قال الداعى] : وسوى هذا فيقال للمدّعى ، «إنه بجناح عقله يجد فى آفاق المعارف مطارا ، ويقيم لنفسه من المجد بمعرفته مغيبات الأمور منارا[٢]»
(ص ٨١ س ٧ وما يليه)

— ٥

وأما قوله (ابن الراوندى) : «إن الرسول (عليه السلام) أتى بما كان منافراً للعقول مثل الصلاة ، وغسل الجنابة ، ورمى الحجارة[٣] ، والطواف حول بيت لا يسمع ولا يبصر ، والعدو بين حجرين[٤] لا ينفعان ولا يضران[٥] : وهذا كله مما لا يقتضيه عقل : فما الفرق بين الصفا والمروة[٦] إلا كالفرق بين أبى قبيس وحرى[٧] ، وما الطواف على البيت إلا كالطواف

(١) انظر بعد ص ١١٤ تعليق١ (٢) انظر بعد ص ١١٧
(٣) فى الحج (٤) الركن والمقام
(٥) انظر الفصل رقم ٦
(٦) الصفا والمروة جبلان صغيران بمكة بينهما يكون « السعى » .
(٧) جبلان بمكة يلعبان دوراً مهما فى السيرة (انظر « دائرة المعارف الإسلامية » تحت هذين اللفظين) ؛ وهنا بمعنى جبلين من جبال بلاد العرب أيا كانا . وفى المخطوطة =

على غيره من البيوت[١] » . (ص ٨٤ س ٥ وما يليه)

— ٦ —

وقال (ابن الراوندى) بعد ذلك : « إن الرسول شهد للعقل برفعته وجلالته[٢]، فَلِمَ أتى بما ينافره إن كان صادقاً ؟» (ص٨٤، س ٩ ومايليه)

— ٧ —

قال الملحد فى شأن المعجزات والدفع فى وجوهها : « إن المخاريق شتى . وإن فيها ما يبعد الوصول إلى معرفته ، ويدق عن المعارف لدقته ، وإن أورد أخبارها بعد ذلك عن شرذمة[٣] قليلة يجوز عليها المواطأة

= حرى التى يقول عنها ياقوت لعلها بجانب حراء « معجم البلدان » ، طبع فستنفلد ج ٢ ص ٢٢٨) .

(١) وهناك ملحد آخر هو الثغورى (انظر الفصل التاسع فى نهايته) يذكر الأبيات الآتية التى تعبر عن ازدراء مناسك الحج ، (ولعلها لأبى العلاء) :

عَجِبْت لكسرَى وأتبَاعِه وغَسْلِ الوُجوه ببَول البقر
وقيصرَ لما سَوَى ساجداً لِما صَنعَته أكفُّ البَشرْ
وعُجْب اليهود برَب يُسَـ رُّ بسَفْك الدِماء وَسم القتَر
وقوم أتَوْا مِن أقاصِى البلا د لحلق الرءوس ولثم الحَجرْ

وبمعنى مختلف عن ذلك كل الاختلاف قال الحلاج (معتمداً على روايات قديمة) إن المرء يستطيع أن يستعيض عن مناسك الحج بشعائر رمزية فى أى مكان كان (انظر : L. Massignon, *La Passion d'al-Hosayn ibn Mansour al-Hallaj*, I, p. 275 ff.) وقد حكم قضاته على هذا الرأى بأنه زندقة (*ibid.*, p. 279) . وقد سمى ابن سبعين الفيلسوف المتصوف الأندلسى المسلمين الذين يتشددون فى الطواف حول الكعبة باسم : حُمرُ المدار (أى الحمير الذين يدورون فى الساقية) ؛ انظر ابن قيم الجوزية ، كتاب « مدارج السالكين » الجزء الأول (طبعة القاهرة سنة ١٣٣١) ص١٤٣ (أشار إلى ذلك الأستاذ ماسينيون) . وفيما يتعلق بما يقوله عبد المسيح الكندى بنفس المعنى انظر الفصل السادس .

(٢) انظر بعد ص ١١٦ تعليق ٢

(٣) انظر بعد ص ١١٩ تعليق ٤

فى الكذب » . (ص ٨٦ ، س ١٤ وما يليه)[١] .

— ٨ —

[قال الداعى] : وأما (معجزة) تسبيح الحصى[٢] وكلام الذئب[٣] وما يجرى مجراهما فلا ينكره العقول . (ص ٨٧ ، س ٩ وما يليه) .

— ٩ —

وأما قوله فى القرآن : « إنه لا يمتنع أن تكون قبيلة من العرب أفصح من القبائل كلها ، وتكون عدة من تلك القبيلة أفصح من تلك القبيلة ، ويكون واحد من تلك العدة أفصح من تلك العدة ... وهَبْ أن باع فصاحته طالت على العرب ، فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون اللسان وما حجته عليهم[٤] ؟! » (٨٧ س ١٤ وما يليه)

— ١٠ —

قال الداعى فى الجواب عن رد الملحد على آية المباهلة (سورة ٣ : ٦١) وأسبابها ، ومعنى قوله سبحانه : « فَتَمَنَّوُا الموْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ »

---

(١) انظر بعد ص ١١٩ وما يليها .

(٢) قارن مثلا : على بن ربّن الطبرى ، كتاب « الدين والدولة » (طبعة ا . منجانا القاهرة سنة ١٩٢٣) ص ٣١ ؛ البغدادى ، « الفرق بين الفرق » ص ١١٤ ، ص ٣٣٤ .

(٣) انظر كذلك ص ٨٦ س ١٨ ؛ كذلك شذرة رقم ١١ . ونحن هنا بصدد ما ذكره أهبان بن أوس الأسلمى (وعلى رواية أخرى : أهبان بن الأكوع) من أنه لقى ذئباً أثناء الصّيد يخبره بظهور النبى . ولذلك سمى باسم : مكلم الذئب . انظر « طبقات » ابن سعد (طبعة ليدن سنة ١٩٠٨) ، ج ٤ ، ٢ ، ص ٤١ (وهناك أيضا أخبار معجزات أخرى تتعلق بحيوانات تنطق) ؛ كذلك ، نفس الكتاب ج ١ ، ١ ، ص ١١٤ ؛ على بن ربّن الطبرى ، « الدين والدولة » ص ٣٢ ؛ عبد المسيح الكندى « الرسالة » ص ٦٤ (انظر الفصل السادس هنا) ؛ ت . أندريه ، « شخصية محمد » ص ٥١ .

(٤) طعن فى إعجاز القرآن ؛ انظر بعد ص ١٣١ والفصل الخامس .

(٢ : ٩٤ ؛ ٦٢ : ٦) ، وما يجرى هذا المجرى من الآيات التى ذكرها : إنه إن كانت معانيها مستقرة بينه وبين خصمه ، كان له الطريق للرد عليها ، والدفع فى وجهها . فإن قال خصمه : إن معانيها غير[١] ما تضمنته شروط حسابك[٢] ، بطل الرد كله وضاع تعبه . وكمثل ذلك حكم رده على قوله : «وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ» الآية (٢٩ : ٤٨) ، وما يعلقه بقوله : لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٤٨ : ٢٧) ، بأن ذلك رجماً بالغيب لا قطعاً على ما يريد كونه[٣] . فمن حِرْصِ الخصم

---

(١) لا يذكر الداعى هنا ويا للأسف نص طعن ابن الراوندى فى الآيات القرآنية . ولعله يدور فى نفس الميدان الذى فى كتاب «الدامغ» . (انظر *Der Islam*, XIX (1930) p. 13f.) وسنفصل القول فيما بعد فى السبب الذى من أجله اختار ابن الراوندى هذه الآيات بالذات (ص ١٢١ وما يليها) — كذلك لا يذكر الداعى المعنى الذى يفهمه من هذه الآيات . وإنما يقتصر على لوم خصم ابن الراوندى ، الذى يرى الداعى أن تفسيره الخاطئ هذه الآيات أعطى فرصة قيمة لابن الراوندى للطعن فيها . وتبعاً لتحفظه الذى لاحظناه من قبل (انظر بعدُ الفصل التاسع) لا يذكر هنا ولا فيما يلى تفسيره (أى التفسير الاسماعيلى) هذه الآيات . ولا نستطيع أن نفهم تماماً أن المقصود بالخصم هنا وفى الجزء الثانى من الشذرة هم مثبتو النبوة الذين يضعهم ابن الراوندى نفسه فى كتاب «الزمرذ» فى مقابل البراهمة ؛ ولكن يحتمل جدا أن يكون المقصود بذلك مؤلفا إسلاميا حاول قبل مؤلف الرد أن ينقض كتاب « الزمرذ » وكان نقضه أساس الكتاب الذى أمامنا . انظر فيما يتعلق بهذه المسألة ما ذكرناه فى الفصل الثامن .

(٢) أى أن معانيها على خلاف ما تظن .

(٣) تعتبر هذه الآية من علامات نبوة محمد (انظر التعليق الأول على شذرة رقم ١١) كمثال على إخباره بغيبيات الأمور التى وقعت فعلا فى أثناء حياة النبى (انظر مثلا على ابن ربَّن الطبرى ، الكتاب المذكور ص ٣٤) . والتنبؤ المقصود هنا هو فتح مكة — وهنا يتعلق ابن الراوندى بالعبارة الصغيرة : « إن شاء الله » ، فيقول إن الذى هنا ليس تنبؤاً وإنما هو زعم ورجم بالغيب (انظر كذلك سورة ١٨ : ٢٢ وخصوصا Lane I, p. 1048) — قارن كذلك : أبو حاتم الرازى ، كتاب «أعلام النبوة» ص ١٧٨ حيث يقال بعد ذكر هذه الآية بعينها : «فإن قال قائل : فلم استثنى فى هذه=

على الرد ساق تأويل المقامات فى جملته غيرَ معتبر ؛ وموضع العيب فى ذلك ظاهر (ص ٨٩ س ١٩ وما يليه)[١]

— ١١ —

وأما قوله (ابن الراوندى) فى رد[٢] المعجزات التى من جملتها حديث الميضأة[٣] وشاة أم[٤] معبد وحديث سراقة[٥] وكلام الذئب[٦] وكلام الشاة[٧] المسمومة . (ص ٩٠ س ١٠ وما يليه)

— ١٢ —

وما قاله (ابن الراوندى) فى أن النبى (صلى الله عليه وآله) دفع فى وجه

= الآية حق قال . « إن شاء الله آمنين » ، فإن الاستثناء يقع فى أشياء يقع فيها الشك . فقد احتج الملحدون بذلك . قلنا الخ » .

(١) لتوضيح هذه الشذرة كلها انظر بعد ص ١٢١ وما يليها .

(٢) هاجم ابن الراوندى فى كتاب « الزمرذ » مسألة المسائل فى علم النبوة الإسلامى واعنى بها مسألة المعجزات . وكل الكتب التى تبحث فى هذا العلم تخصص فصلا لها . انظر ما سنقوله ص ١١٨ وما سنذكره من الكتب هناك . أما فيما يتعلق بنقض عبد المسيح الكندى لمذهب المعجزات الإسلامى فانظر بعد الفصل السادس .

(٣) انظر « رسالة » عبد المسيح الكندى ص ٦٧ ؛ كذلك Tor Andrae, *Die Person Muhammeds*, p. 74 (شخصية محمد فى مذهب أمته وعقيدتها تأليف تور أندريه) .

(٤) انظر « طبقات » ابن سعد ج ٢ ص ١٥٥ ؛ ج ٨ ص ٢١١ ؛ « سيرة » ابن هشام (طبعة فستنفلد) ص ٣٣٠ ؛ Andrae, a. a. O., p. 48 .

(٥) أى سُراقة بن جُشْعُم ؛ انظر « سيرة » ابن هشام ص ٣٣١ وما يليها ؛ وكذلك أبو حاتم الرازى ، « أعلام النبوة » ، ص ١٦٤ ؛ قارن أيضا A. Sprenger, *Das Leben und die Lehre des Moh.* II, p. 547 (اشپرنجر ، « حياة محمد ودينه »)

(٦) انظر التعليق الثانى على الشذرة رقم ٩

(٧) انظر على بن ربن الطبرى ، كتاب « الدين والدولة » ص ٣٣ ؛ عبد المسيح الكندى ، « الرسالة » ص ٦٥ ؛ Andrae, a. a. O., p. 56 ؛ « سيرة » ابن هشام ص ٧٦٤ .

ملتين[١] عظيمتين متساويتين اتفقا على صحة قتل المسيح (عليه السلام) وصلبه فكذّبهما[٢] . « وإن كان سائغاً أن يُبطِلَ ذلك الجمهورَ العظيم المتكاثر العدد ، وينسبهما إلى الإفك والزور ، كان رد الشرذمة[٣] القليلة من نقلة[٤] هذه الأخبار عنه أمكن وأجوز ، بحجة الوضع الذى وضعه والقانون[٥] الذى قنّنه فى المباهتة والمكابرة[٦] » . (ص ٩٠ س ١١ وما يليه[٧])

— ١٣ —

قال الملحد : « إن الملائكة الذين أنزلهم الله تعالى فى يوم بدر لنصرة النبى (صلى الله عليه وآله) بزعمكم ، كانوا مفلولى الشوكة قليلى البطشة على كثرة عددهم ، واجتماع أيديهم وأيدى المسلمين . فلم يقدروا على أن يقتلوا زيادة على سبعين رجلا » . وقال بعد ذلك : « أين كانت الملائكة فى يوم أُحُد لما توارى النبى (صلى الله عليه وآله) ما بين القتلى فزعاً ، وما

---

(١) النصارى واليهود .

(٢) إشارة إلى سورة النساء : ١٥٧

(٣) انظر بعد ص ١٢٠

(٤) يمكن أيضاً أن نحتفظ بما هو مكتوب فى المخطوطة « ناقلة » إذ نصادف مثل هذه القراءة لدى القرقسانى ؛ انظر I. Friedländer, *Qirqisâni's Polemik gegen den Islam*, in, *Festschrift* I. *Goldziher* (Strassburg 1911) p. 109, note 4.

(٥) ومما هو جدير بالملاحظة أن ابن الراوندى يسمى ما اشترعه النبى باسم « قانون » . ولا بد أن يكون استعمال لفظ « قانون » نادراً فى الكتب الدينية القديمة ونصادفه لدى مؤلف الرد ص ٨٧ س ٩ . ويقصد بمعنى « قانون » و « وضع » اللذين يحس ابن الراوندى أنهما غريبتان (« وضع » مأخوذة من ترجمة لفظ Θέσις اليونانية) نوعاً من السخرية .

(٦) طعن فى « الإجماع » .

(٧) فى ص ٩١ س ٧ — ٩ صورة أخصر هذه الشذرة .

باله لم ينصروه فى ذلك المقام[١] ؟ ! » (ص ٩٣ س ٦ وما يليه)

— ١٤ —

وأما قوله (ابن الراوندى) فى إخبار النبى (صلى الله عليه وعلى آله) عن بيت المقدس وإعطائه علامته للناس ، إنه مَخْرَق بذلك ؛ لأنه يمكن مسيره إليه من مكة ، ومشاهدته له ، والعود من ليلته ، لقرب المسافة بين مكة وبينه . فالجواب أن بصيرة الملحد فى علومه ، مثل بصيرته بالطريق ما بين مكة وبيت المقدس وكفى بذلك جهلاً وسُخْنة عين[٢] (ص ٩٤ س ٤ وما يتلوه)

— ١٥ —

[قال الداعى] : وأما حكايته عن بعض دافع النبوات : « إن الكلام مستملى عن الوالدين صاعدا قرنا فقرنا إلى ما لا نهاية له ، فليس للخلق أول[٣] » ... وشبه ذلك بأصوات الطيور ، وبلوغها غرضها فيه ، وأنه إذا كان موجودا فى الطيور ما يفعل ذلك ، كان فى الناس أمكن وجوداً . فهذا تشبيه باطل : لأن أصوات الطيور ، وسباحة الإوَزّ ، وتعلق الطفل المرضع بالثدى مما ذكر ، جميعها طبيعة فيها ؛ والكلام لا يصح إلا بمكلِّم ،

---

(١) فيما يتعلق عما يقوله به عبد المسيح الكندى مشابهاً لهذا ، انظر بعدُ الفصل السادس .

(٢) انظر بعد ص ١١٨ تعليق ١ .

(٣) كما يذكر الداعى ، يقول ابن الراوندى بمذهب قدم العالم . وقد تناول ابن الراوندى هذه المسألة بالتفصيل فى كتاب « التاج » ، (انظر الخياط ، كتاب « الانتصار » ص ٢ ، ص ١٧٢ وما يليها ؛ كذلك الأشعرى ، قارن W. Spitta, *Zur Geschichte Abu,l Hasan al-Ashari* (Lpzg. 1876), p. 68 unten. [من تاريخ أبى الحسن الأشعرى] ، متخذا وجهة نظر الدهرية .

أو مفهم ، وهذا غلط كبير . (ص ٩٤ س ٩ وما يليه[١]) .

— ١٦ —

وأما قوله (ابن الراوندى) لمن يقول بالنبوات : « خبرونا عن الرسول كيف يفْهم ما لا تفهمه الأمة : فإن قلتم إنه بإلهام ، ففهم الأمة أيضا بإلهام ؛ وإن قلتم بتوقيف ، فليس فى العقل توقيف[٢] » . (ص ٩٤ س ١٦ وما يليه)

— ١٧ —

وأما قوله (ابن الراوندى) فى النجوم : « إن الناس هم الذين وضعوا الأرصاد عليها حتى عرفوا مطالعها ومغاربها ، ولا حاجة بهم إلى الأنبياء فى ذلك » . (ص ٩٥ س ٣ وما يليه[٣])

— ١٨ —

قال ابن الراوندى على سبيل الهزء : « إنه يلزم من يقول بالنبوة ، أن ربهم أمر الرسول أن يُعلمهم صوت العيدان . وإلا فمن أين يُعرَف أن أمعاء الشاة إذا جفَّت وعُلِّقت على خشبة فضُربت ، جاء منها صوت طيب ؟! » . (ص ٩٧ س ١٣ وما يليه)

— ١٩ —

وقد سقنا جواب الرسالة الموسومة «بالزمردة» . وهى خزفة مكسورة

---

(١) يناقش ابن الراوندى هنا الرأى القائل بأن اللغات ترجع إلى الأنبياء .

(٢) انظر ص ١٢٣ وما يليها .

(٣) فيما يتعلق بتصديق ابن الراوندى بالنجوم ، انظر كتاب « الانتصار » للخياط ص ١٠٣ .

حسبما فتح الله تعالى لنا فيه . ونحن نقول قولا يشهد الله سبحانه على حقه وصدقه : إن ابن الراوندى ، الذى عمل الرسالة ، مصيبته بعقله ، أعظم من مصيبته بدينه[1] . فإنه تتبع الأنبياء عليهم السلام ، الذين هم ملوك الديانات ، بالنقص . ومعلوم أنه لو كانوا على ما يقوله الملحدون ، مبطلين فى النبوة ، لكان فيهم من المنفعة الظاهرة فى سياسة الخلق ، وتحصين دمائهم وأموالهم ، ومنع قويهم من ضعيفهم ، ما يمنع عن تنقصهم وثلبهم . وتوكيل هذا الملحد عن البراهمة فى هذا الباب بزعمه[2] ، لا يوجب له منهم ثوابا فى الدنيا ولا فى الآخرة . بل المحصول منه ، إحداد شفار القتل لنفسه ، لو كان حيا ، وألسن اللعن والخزى إليها ميتا . فإن الذى أتعب خاطره وسره فى شىء ، يكون نتيجته فى الحياة الذل والقتل ، وفى الممات الخزىَ واللعنَ — الخاسرُ الصفقة ظاهر الشقوة . « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً : الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً » (١٨ : ١٠٣ ، ١٠٤) . (ص ٩٨ س ٢ وما يليه)

---

(١) ويمثل هذا يحكم الخياط (كتاب « الانتصار » ص ١٧٣ س ٦) على ابن الراوندى « وما ضررت بذلك غير نفسك » — ويقول البلخى عن ابن الراوندى (شذرة « الفهرست » ، WZKM. IV, p. 226 [ص ٤ س ٢٢ الطبعة المصرية] = « معاهد التنصيص » ، نيبرج الكتاب المذكور ص ٢٦) : « وكان علمه أكثر من عقله » . ويظهر أن هذه العبارة كانت تضرب مثلا للعقليين والملاحدة . فيقال مثلا عن أحمد بن الطيب السرخسى (« الفهرست » ص ٢٦١ س ٢٦) : « وكان الغالب على أحمد بن الطيب ، علمه لا عقله » ، وتقول لنا الروايات (كتاب « الأغانى » ، الجزء الثامن عشر ص ٦٧ ؛ ابن خلكان ، ج ٢ س ١٢٥) إن ابن المقفع تعجب من زيادة عقل الخليل ابن أحمد على علمه بينما تعجب الخليل من زيادة علم ابن المقفع على عقله (لم يفسر ف . جبريلى *L'Opera di Ibn el-Muqaffa*, RSO, XIII, p. 246 هذه الرواية تفسيراً صحيحاً كل الصحة) .

(٢) أى أن ابن الراوندى ادعى آراءه الإلحادية على البراهمة .

القطع الأخرى

— ٢٠ —

ومنها (أى كتبه) كتاب يعرف بكتاب « الزمرذ » ذكر فيه آيات الأنبياء عليهم السلام كآيات إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم ، فطعن فيها وزعم أنها مخاريق ، وأن الذين جاؤا بها سحرة ممخرقون ، وأن القرآن من كلام غير حكيم ، وأن فيه تناقضاً وخطأ وكلاما يستحيل ؛ وجعل فيه بابا ترجمه « على المحمدية خاصة » يريد أمة محمد صلى الله عليه . (الخياط : كتاب « الانتصار » ص ٢ وما يليها) .

... وبوضعك كتاب «الزمرذ» تطعن فيه على الرسل وتقدح فى أعلامها وبوضعك فيه باباً ترجمته : « على المحمدية خاصة » فهذا مذهبك وهو قولك[١] (الخياط ، نفس الكتاب ص ١٧٣) .

— ٢١ —

قال المؤلف (ابن الجوزى) : ورأيت بخط أبى الوفا بن عقيل ، قال : كان الخبيث ابن الريوندى قد سمى كتابه الذى اعترض به على الشريعة الإسلامية المعصومة عن اعتراض مثله من الملحدين كتاب «الزمرد» . فأخذ أبو على الجبائى (هكذا !) يعيبه فى تسميته بالزمرد ، ويذهب إلى أنه أخطأ وجهل فى تلقيب العلم بالجواهر ، وأن أهل العلم لا يعيرون العلوم أسماء ما دونها ؛ والجواهر ناقصة بالإضافة إلى العلوم . فأزرى عليه بذلك ظناً منه أنه قصد تلقيبه بالزمرد إعارة له اسم النفيس من الجواهر . قال ابن عقيل : فوجدنا فى بعض كلامه من كتاب آخر ما أبان به عن غير ذلك مما ظنه أبو على . فقال :

(١) يشابه هذا ماهو موجود ص ١٥٥ من الكتاب نفسه .

« إن للزمرد خاصة هى أنه إذا رآه الأفعى وسائر الحيات عَمِيَت » . قال : « فكان قصدى أن الشُّبَه التى أودعتها الكتاب تُعمى حجج المحتجين » . فاعتقد ما أورده عاملا فى حجج الشرع حسب ما أثّر الزمرد فى حدَق الحيات (ابن الجوزى : « المنتظم فى التاريخ » نشره ﻫ رتّر فى « مجلة الإسلام » ، *Der Islam* المجلد التاسع عشر سنة ١٩٣٠ ص ٣ س ٩ وما يليه)[١]

— ٢٢ —

يجد فى كلام أكثم بن صيفى[٢] أحسن من : « إنا أعطيناك الكوثر » (سورة ١٠٨ : ١) (الكتاب السالف : ص ٤ س ٩ — ١٠)[٣]

— ٢٣ —

إن الأنبياء وقعوا بطلسمات تجذب كما أن المغناطيس يجذب . (الكتاب السالف : ص ٤ س ١٠ — ١١)[٤]

— ٢٤ —

وقوله (أى النبى) لعَمَّار[٥] : تقتلك الفئة الباغية ، فإن المنجم يقول مثل هذا . (الكتاب السالف : ص ٤ س ١٥)[٦]

---

(١) انظر بعد ص ٦ — وتذكر هذه القطعة بنص مشابه فى كتاب « معاهد التنصيص » (انظر نيبرج ، الكتاب المذكور ص ٢٧) بوصفها اقتباسا مباشرا من كتاب الزمرذ .

(٢) انظر رتر فى هذا الموضع — كذلك I. I. Reiske, *De Aktamo philosopo arabico* (Lpzg. 1759)

(٣) انظر ص ١٢١ .

(٤) كذلك فى « معاهد التنصيص » (انظر نيبرج ص ٢٧) : « إن الأنبياء كانوا يستعبدون الناس بالطلاسم » .

(٥) انظر رتر فى هذا الموضع .

(٦) كذلك « معاهد التنصيص » فى الموضع المذكور .

— ٢٥ —

قال أبو على الجبائى : « . . . ووضع كتاباً فى الطعن على محمد صلى الله عليه وسلم وسماه «الزمرذ» وشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعة عشر موضعاً من كتابه ونسبه إلى الكذب ، وطعن فى القرآن» (ص٥س١ — ٣)

— ٢٦ —

وقد كان ابن الريوندى وأبو عيسى محمد بن هارون الوراق الملحد أيضاً يترامیان بکتاب « الزمرذ » ويدعى كل واحد منهما على الآخر أنه تصنيفه ، وكانا يتوافقان على الطعن فى القرآن (ص ٣ س ٥ — ٨) .

٤ — تأليف الكتاب

بافتراضنا أن مؤلف الرد سرد المقتبسات من كتاب « الزمرذ » بنفس الترتيب الموجود فى النص الأصلى للمؤلف فإننا نستطيع أن نرتب القطع المختلفة المنفردة مع الأجزاء الرئيسية التالية من الكتاب هكذا :

١ — سمو العقل على النقل (الشذرة رقم ٣ ، ٤) .

٢ — نقد الإسلام :

(ا) الإسلام والشريعة الإسلامية تتناقض مع العقل (رقم ٥، ٦)

(ب) معجزات محمد :

(a) فروض عامة (رقم ٧) ؛

(b) تواريخ المعجزات (رقم ٨ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤) ؛ ومن بين المعجزات التى يعدها المسلمون دلائل على نبوة محمد القرآن نفسه ؛ نقد إعجاز القرآن (رقم ٩، ١٠).

(ح) نقد التواتر فى الإسلام (رقم ١٢) .

٣ – العلم ضد النبوة .

(ا) الكلام الإنسانى حادث بطبعه (رقم ١٥) ؛ ولا يرجع فى أصله إلى الأنبياء (رقم ١٦) .

(ب) والفلك والموسيقى (رقم ١٧ ، ١٨) لا يرجعان فى أصلهما إلى الأنبياء .

وعلى هذا النحو تترتب القطع الأخرى الباقية . فالقطعة رقم ٢٢ تتصل بنقد عقيدة إعجاز القرآن (رقم ٢ ، ب ، b) ورقما ٢٣ ، ٢٤ من المحتمل أن يرتبطا بالجزء الثالث الرئيسى . وهذا كله يتفق مع ما يرويه الخياط (رقم ٢٠) من أن الكتاب يحوى « بابا ترجمه « على المحمدية خاصة » . ولهذا فمن المحقق أن الجزء الثانى الرئيسى هو الذى استثار الجبائى أيما استثارة (رقم ٢٥). والجزءان الأول والثالث اللذان فيهما يفصل القول فى سمو العقل وفى معظم الأنبياء موجهان ضد عامة الأديان القائلة بالوحى .

وعنوان الباب الذى ذكره الخياط باسم « على المحمدية خاصة » يحتاج إلى عناية أكبر . فالخياط يذكر فى كتابه كتاب « الزمرذ » فى مواضع ثلاثة ، وفى كل مرة يشير إلى هذا العنوان بحسبانه فضيحة للمؤلف[1] . ومن الكفر فى نظر المسلم أن يرى دينه يسمى إلى اسم صاحب الديانة . فابن الراوندى يريد من هذا أن يؤكد أنه لا يعد من الأمة الإسلامية أعنى أنه يقف موقف البراهمة . ولهذا فإن تسمية الأوربيين للاسلام والمسلمين

---

(١) انظر القطعة رقم ٢٠ — أما أن الخياط كان يرى فى هذا العنوان فسقاً كبيراً فذلك جلى كل الجلاء ، حتى إنه يضيف إلى ما يقول الكلمات التفسيرية الآتية : « يريد أمة محمد صلى الله عليه » ، وفى الموضعين الآخرين اللذين فيهما يذكر كتاب « الزمرذ » (ص ١٥٥ — ١٧٣) لا يعطى دليلا آخر على شناعة الكتاب غير عنوان هذا الباب .

باسم المحمدين والمحمدية بها نوع من الاستهزاء أو على الأقل كان فى الأصل بها ذلك .

وابن الراوندى يذكر آراءه الخاصة على لسان البراهمة ، وسنبحث فى فصل من الفصول التالية بأى حق فعله . وبهذه المناسبة نقول إن ملاحظة مؤلفِ الردّ مهمة ، وهى أن ابن الراوندى أورد فى كتابه حجج من يقولون بالنبوة وكذلك حجج من ينكرونها (البراهمة — رقم ٢) . ويقول أيضا إنه أعرض عن إيراد ما بكتاب ابن الراوندى من حجج للأولين ويذكر بصراحة أن مقتبساته تقدم الكتاب فى صورة ناقصة .

ولنقارن ذلك بالكتاب الوحيد الذى يكاد يكون قد حفظ بأكمله لابن الراوندى وهو «فضيحة المعتزلة» . فى هذا الكتاب أيضاً لا يعرض ابن الراوندى آراءه عَرْضا بل يفصلها أثناء جداله مع المعتزلة الذين يذكرون مذاهبهم مع اقتباسات كثيرة مفصلة . ويجب علينا أن نستنتج ، فى احتمالٍ قوى، مما يذكر فى القطعة رقم ٢ ، أن آراء الكتاب كانت مصوغة فى قالب أسئله وردود بين البراهمة والمسلمين أى المؤمنين بالنبوة . وغَنِى عن البيان أن مؤيدى النبوة يبدون هناك فى صورة نحيلة[١]

وليس من المحقق أن تفسير اسم « كتاب الزمرذ » (رقم ٢١) موجود حقاً فى الكتاب نفسه . والملاحظة التى نجدها عرضا لدى الكتّاب الإسلاميين من أن الأفاعى تسيل عيونُها[٢] إذا وقع بصرها على الزمرذ ،

---

(١) لبداية القطعة رقم ٣ علاقة محتملة بطريقة تأليف الكتاب هاتيك . فخصوم البراهمة الذين هم موضوع الحديث هنا «إنه قد ثبت عندنا وعند خصومنا» لا يمكن أن يكونوا غير مؤيدى النبوة القائلين بصحتها ؛ وعلى العكس من ذلك فإن ورود لفظ « خصم » فى القطعة رقم ١٠ يحتمل تفسيره على وجه آخر ؛ انظر الفصل الثامن .

(٢) قزوينى: كتاب «عجائب المخلوقات» (طبعة فستنفلد) ٢٢٧ (تبعا للرازى) ؛=

سيستخدمها ابن الراوندى ليقارن بها تأثير الكتاب فى القراء المؤمنين . وكنا نود أن نرى ملحوظة مثل هاتيك فى مقدمة الكتاب . ولكن ابن عقيل الذى يذكرها فى ثنايا نص ابن الجوزى يقول صراحة إنه لم يقرأها فى رد الجبائى الذى استخدمه ولكنه أخذها من كتاب آخر لابن الراوندى[١] ،

= التيفاشى : كتاب « أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار » ، انظر ا . رَيْنيرى بِشْيا A. Raineri Biscia : « أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار لأحمد التيفاشى » (بولونيا سنة ١٩٠٦) ص ٣٣ . ابن البيطار : كتاب « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » (طبعة بولاق ١٢٩١) ج ٢ ص ١٦٧ (تبعا للرازى) ؛ وانظر أيضا ل . لكلير *Traité des simples*, Notes et extraits المجلد ٢٥ (باريس سنة ١٨٨١) ص ٢١٧ . كتاب « غاية الحكيم » المنسوب إلى المجريطى (طبعة هـ . رتر ، ليپتسك سنة ١٩٣٣) ص ٣٩٧ . واقتباسات القزوينى وابن البيطار عن الرازى هى عن كتابه « الخواص » (مخطوطة القاهرة ، فرع الطب رقم ١٤١ ؛ وتوجد نسخة حديثة لدى مجمع تاريخ الطب والعلوم الطبيعية ببرلين) حيث يُرجع إلى ابن ماسويه كأقدم مصدر . وهاك النص كما فى النسخة ص ١٤ « زمرذ : قال ابن ماسويه : إن وقع عين الأفعى على الزمرذ الفائق سالت عينها على المكان » . ومثل ذلك ما يقوله جابر ابن حيان فى كتاب « الخواص » (مخطوطة ولى الدين رقم ٢٥٦٤) ص ١٨ فى أسفل : « ومنها أن الأفعى البلوطى الرأس إذا رأى الزمرذ الخالص عمى وسالت عينها لوقتها وحيا سريعا » ، وعلى العكس من ذلك لايحوى كتاب « الأحجار » لأرسطو أى ذكر لهذا الفعل الغريب للزمرذ (انظر يوليوس روسكا ، كتاب الأحجار لأرسطو ص ١٣٤ ، طبعة هيدلبرج سنة ١٩١٢) . والبيرونى هو الوحيد الذى لا يصدق هذه المسألة . ففى كتابه « الجماهر فى معرفة الجواهر » (مخطوطة سراى : فرع الطب رقم ٢٠٤٧) ص ٢٤٩ يقول : « ومنها ما أطبق الحاكون عليه من سيلان عيون الأفاعى إذا وقع بصرها على الزمرذ حتى دوّن ذلك فى كتب الخواص وانتشر على الألسنة وجاء فى الشعر .... ومع إطباقهم على هذا لم يستقر [الصواب : تسفر] التجربة عن تصديق ذلك ؛ فقد بالغت امتحانه بما لا يمكن أن يكون أبلغ منه من تطويق الأفعى بقلادة زمرذ ومن فرش سلته به وتحريك خيط أمامه منظوم منه مقدار تسعة أشهر فى زمانى الحر والبرد ولم يبق إلا تكحيله به ؛ فما أثر فى عينيه شيئاً أصلا إن لم يكن زاده حدّة بصر » .

(١) لم يصل إليه إلا عن طريق رد على هذا الكتاب . انظر الفصلين السابع والثامن .

ومايقوله عبدالرحيم العباسى من أن هذا الاقتباس موجود فى كتاب «الزمرذ» نفسه ، لا قيمة له بإزاء القول السابق ، ذلك لأن معرفته بكتاب «الزمرذ» صادرة عن كلام ابن الجوزى ، وعلى هذا فدقة أقواله مشكوك فيها . والواقع هو أن ابن الراوندى عبر بنفس الكلمات التى ذكرناها آنفاً فى كتاب له متأخر عن كتاب «الزمرذ» .

وممكن جداً أن تكون إحدى عبارات ديباجة الكتاب قد حُفِظَت لنا . فمن المستطاع أن يكون مؤلف الرد قد أراد فى الاقتباس الشعرى رقم ٤ أن يعبر عن إهابة ابن الراوندى القوية بالعقل . ومع هذا فيبقى من غير الواضح لماذا كانت هذه العبارة مسجوعة (مطارا ، منارا) . فلا مؤلف الرد ولا ابن الراوندى يستعمل السجع . ومع ذلك فنستطيع أن نزعم فى شىء من اليقين أن العبارة كانت موجودة فى مقدمة كتاب ابن الراوندى التى كانت مكتوبة بالسجع . فإن مدح العقل كان مذكوراً هناك حقاً[١] .

٥ — تحليل محتوى الكتاب

يبدأ ابن الراوندى كتابه بالعقل الإنسانى فيمدحه ويسهب فى إطرائه بحسبانه السبيل الوحيد للمعرفة (قطعة رقم ٤) . وعلى هذا فلا بد لخصومه أن يتفقوا معه على أنه أعز ما يملك الإنسان ، وأنه الملجأ الوحيد لتقويم الأشياء (رقم ٣ فى المبدأ) بل إن الرسول نفسه قد شهد بسمو العقل (رقم ٦)[٢] والعقل هو الذى يمتحن قيمة النبوة : فإما أن تتفق تعاليم النبى

(١) فيما يتعلق بالنثر المسجوع فى الكتابات الإسلامية انظر أقوال ج . برجشتريسر فى *Islamica* المجلد الرابع سنة ١٩٣٠ ص ٢٨٥ وما يليها .

(٢) لعله يشير إلى الحديث المروى مبكراً الذى يمثل العقل كأول ما خلق الله . انظر : اجناتس جولدتسيهر : «العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية فى الحديث» =

مع العقل وحينئذ فلا لزوم لها ؛ وإما أنها تتناقض وإياه وحينئذ فهى باطلة (رقم ٣) . ووحىُ محمدٍ المزعومُ فى تعارض وتناقض مع العقل شنيع (رقم ٦) . إذاً فما معنى هذه الأوامر الدينية العديدة المفروضةِ على المسلم من وضوءٍ وصلاةٍ وطوافٍ حول الكعبة وزيارة للأماكن المقدسة ؟ هنا يضع ابن الراوندى نفسه فوق أحكام الشريعة الإسلامية فى إزدراء وجرأة غريبة (رقم ٤) .

وفكرة الوحى إذا قوّمناها بمعيار العقل دنست وشاهت . وهناك أناس يرجعون مصدر العلوم والفلك والموسيقى (رقم ١٧ ، ١٨) وحتى الكلام الإنسانى (رقم ١٥) إلى الأنبياء ولكن هذه ليست فى حاجة إلى قوة فوق قوى الإنسان ، وكما يقول ابن الراوندى فى كتاب آخر اسمه «الفريد» لم يَدَّع إقليدس وبطليموس النبوة مطلقا[1] .

فالأنبياء فى نظر ابن الراوندى ليسوا إلا سحرة مُمَخْرِقين (رقم ٢٢ — ٢٣) ؛ والمعجزات التى تروى عن محمد قائمة على الأكاذيب التى اخترعها

= « مجلة الدراسات الآشورية » المجلد الثانى والعشرون سنة ١٩٠٩ ص ٣١٨ وما يليها [انظر هذا البحث في كتابنا : « التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية » ص ٢١٨ — ٢٤١ ، القاهرة سنة ١٩٤٠] وهو يذكر كثيرا فى القرن التاسع ، مثلا جابر ابن حيان فى كتاب « الموازين الصغير » (برتلو ، « الكيمياء فى العصور الوسطى » المجلد الثالث ، ص ١٠٥ من النصوص العربية) ؛ أحمد بن حائط (المتوفى حوالى سنة ٢٣٠) تبعاً لما يقوله الشهرستانى فى « الملل » ص ٤٤ س ٦ وما يليه ، والبغدادى فى كتاب « الفَرْق » ص ٢٦١ س ١ وما يليه ؛ أبو عبد الله محمد بن على الترمذى (المتوفى سنة ٢٨٥) ، كتاب « الأكياس والمغترين » (مخطوطة دمشق ، المكتبة الظاهرية فرع التصوف تحت رقم ١٠٤ ؛ ولدى مكتبة الدولة البروسية ببرلين صورة شمسية منها) ، ورقة ب ؛ الراغب الأصفهانى : كتاب « تفصيل النشأتين » (بيروت سنة ١٣١٩هـ) ص ١٥ — وفيما يتعلق بتقدير المعتزلة للعقل انظر مثلا اجناتس جولدتسيهر : « اتجاهات المفسرين المسلمين » ، ص ١٣٦ .

(١) « الإسلام » *Der Islam* المجلد التاسع عشر سنة ١٩٣٠ ص ١٢ وما يليها .

المتأخرون ولفّقوها (رقم ٧ ؛ كذلك رقم ٨ ، ١١)[١] . هذا إلى أن بعض هذه المعجزات مضحك لدرجة أنها لا يمكن أن تروى بهذا الوصف . وما أضعف شوكة هؤلاء الملائكة الذين حاربوا فى صف محمد والمسلمين فى فى يوم بدر ! وأين كان هؤلاء الملائكة فى يوم أحد ؟ (رقم ١٣) .

والسبب الذى يمكن افتراضه لتعليل عناية ابن الراوندى بنقد معجزات محمد هو أنها منذ زمان متقدم كان تعتبر برهانا ساطعاً على نبوته ، وقد شغلت فعلا المركز الأول فى البحوث الكلامية فى النصف الأول من القرن الثالث[٢] . لقد أقبل أهلُ السنة من المسلمين على أخبار العامة عنها وعنوا بتصنيف مؤلفات خاصة فيها . وأفرد على ابن ربَّن الطبرى للمعجزات فصلا خاصا فى كتاب «الدين والدولة»[٣] ، ويذكر ابنُ سعد فى الجزء الأول من «طبقاته» كلّ ما وصل إليه من روايات عنها تحت عنوان : علامات النبوة . ونجد لدى الجاحظ للمرة الأولى عنوان : « دلائل النبوة »[٤] ، وهو العنوان

---

(١) لم يبق لدينا معظم نص نقد ابن الراوندى للمعجزات . ومؤلف الرد يقتصر على سرد مانقضه ابن الراوندى من أخبار . ولهذا فإن المؤلف لم يذكر نقد ابن الراوندى لمعجزة الإسراء (رقم ١٤) . أما افتراض جهل ابن الراوندى للبعد بين مكة وبيت المقدس فلا يصدق قطعاً . فهنا كما فى مواضع أخرى سوء فهم مقصود لأقوال ابن الراوندى . فما كان للخياط فى رده على فضيحة المعتزلة أن يذر هذا اللوم .

(٢) فيما يتعلق بتاريخ معجزات الرسول انظر ى . هوروفتس فى مجلة «الإسلام» المجلد الخامس ص ٤١ وما يليها — وسأعتمد فيما يلى خصوصا على بحوث ت . أندريه : « شخصية محمد فى مذهب أمته وعقيدتها » (ستكهولم سنة ١٩١٧) ص ١٠٣ وما يليها .

(٣) طبع الأستاذ ا . منجانا ، بالقاهرة سنة ١٩٢٣ ص ٢٩ وما يليها .

(٤) وفى نفس الموضوع كذلك كتابا الجاحظ اللذان اقتبس منهما فى كتابه «الحيوان» (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٣) جـ ١ ص ٥ : وهما كتاب « الحجة فى تثبيت النبوة » وكتاب « الفرق بين النبي والمتنبي ، والفرق ما بين الحيل والمخاريق وبين الحقائق الظاهرة والأعلام الباصرة » .

الذى سنراه يتكرر كثيرا فى العصور التالية[١] . وعلى العكس من ذلك لم يكن المعتزلة يسرفون فى إعطاء أهمية كبرى للمعجزات . « هم لم ينكروها على الإطلاق ؛ لكنهم اعترضوا على استغلالها كبرهان على بعثة الرسول ، ووجهوا هذه الاعتراضات فى الوقت نفسه إلى أهل السنة الذين ناصبوهم العداء »[٢] . ورفض النـظّام خصوصا هذا النوع من المعجزات بوصفه غيرَ متفق مع الإسلام[٣] .

وكان للنقد المنيف الذى أثاره ابن الراوندى ضد التواتر[٤] ، نظيرُه فى موقف المتطرفين من المعتزلة الذين أنكروا قيمة « التواتر » البرهانية . فكانوا يقولون (تبعاً للايجى)[٥] : من الممكن أن يكذب واحد من بين

---

(١) انظر على الخصوص كتاب « دلائل النبوة للبيهقى » ، طبعه فى أبسالا الأستاذ نيلاندر Nyllander سنة ١٨٩١ ؛ كذلك الماوردى : كتاب « أعلام النبوة » (طبعة القاهرة سنة ١٣١٩) ، وأبو حاتم الرازى : كتاب « أعلام النبوة » (مخطوطة الهمدانى) .

(٢) تبعاً لما يقوله ت . أندريه فى نفس الكتاب السابق الذكر ص ١٠٩ ؛ انظر على الخصوص البغدادى : « الفرْق بين الفرَق » ص ٣٣٤ .

(٣) انظر كذلك الفصل السابع فى نهايته — أما المعتزلة المتأخرون فليسوا متطرفين إلى هاتيك الدرجة فيما يتعلق بهذه المسألة . وحينما يقال إن الجبائى كان يؤمن بمعجزات مثل تسبيح الرمال وتأوه جذع النخلة وكلام الحمل المشوى (انظر أندريه نفس الكتاب ص ١٨ ؛ وهو لا يذكر المصدر ويا للأسف) فلعل هذه الرواية ترجع إلى رد الجبائى على كتاب الزمرذ لابن الراوندى . إذ لا مندوحة له من الوقوف فى صف المؤيدين للمعجزات فى حربه مع ابن الراوندى ؛ انظر أيضاً التفريق الشائق بين معجزات العمل ومعجزات العلم للمؤلف الاسماعيلى للرد الذى لدينا ؛ وانظر بعدُ الفصل التاسع .

(٤) حارب الأشعرى ابن الراوندى فى كتابه المسمى باسم : « كتاب النقض على ابن الراوندى فى إبطال التواتر وفيما يتعلق به الطاعنون على التواتر » — س . ف . إشْپتا : « من تاريخ أبى الحسن الأشعرى » (ليپتسك سنة ١٨٧٦) ص ٧٧ رقم ٧٣ .

(٥) انظر أندريه ، نفس الكتاب ، ص ١٠٩ من أسفل — فيما يتعلق بالنظام انظر على الخصوص البغدادى : « الفرق » ص ١٢٨ وما يليها .

رجال التواتر . وتبعاً لهذا فن الممكن أيضا أن يكذبوا جميعا لأن كذب الجميع ما هو إلا كذب واحد بمفرده . ولهذا فإن اللفظ الذى يستخدمه ابنُ الراوندى فيما يتعلق بهذا وهو : « المواطأة على الكذب » قد أحدثه المعتزلة من قبل[١] . أما أن طابع هجوم ابن الراوندى يختلف عن موقف المعتزلة من حيث المبدأ ، فذلك مما لا يحتاج إلى تبيان .

وهذا الإنكار نفسُه يتعدى التواتر إلى «الإجماع» . فما أمر به النبى من الأخذ بالإجماع قائم على أساس باطل : لأن المسلمين الذين يتفقون فى مسألة دينية أو سُنّة ما ، إن هم إلا شرذمة قليلة بالقياس إلى مجموع الأمم التى تدين بدين موحى به مثل اليهود والنصارى[٢] .

ومن بين القطع التى فيها يُنقَد مذهبُ المعجزات الإسلامى تلك التى فيها يكون القرآنُ هدفاً لسخرية ابن الراوندى . والقرآن من بين المعجزات التى يتخذها المسلمون برهانا على نبوة محمد بل هو أجل هذه المعجزات خطراً . وابن الجوزى يقول فى إشارته المختصرة إلى كتاب الزمرذ : « ثم يبدأ بالطعن فى القرآن ويزعم وجود أخطاء لغوية به »[٣] . ومن قبل

---

(١) انظر على الخصوص اجناتس جولدتسيهر فى مجلة «الاسلام» جـ ٣ ص ٢٣٤ وما يليها — والاصطلاح : « المواطأة » نجده كذلك فى نقد اليهود العقلى لمعجزات المسيح ، لدى الجاحظ فى كتابه الرد على النصارى (« ثلاث رسائل للجاحظ » طبع ا . فنكل I. Finkel ، القاهرة سنة ١٩٢٦) ص ٢٣ س ٨

(٢) المسألة هنا هى مسألة صلب المسيح . وبمثل ما يقول ابن الراوندى يقول محمد بن زكريا الرازى (فى كتاب « أعلام النبوة » لأبى حاتم الرازى ، مخطوطة حسين الهمدانى ص ١٣٦) : « إن القرآن يخالف ما عليه اليهود والنصارى من قتل المسيح (عليه السلام) . لأن اليهود والنصارى يقولون إن المسيح قتل وصلب والقرآن ينطق بأنه لم يقتل ولم يصلب وأن الله رفعه إليه » .

(٣) مجلة «الإسلام» المجلد التاسع عشر سنة ١٩٣٠ ص ١٢ .

اشتغل ابنُ الراوندى بنقد القرآن فى كتابه «الدامغ» . وقد حفظ لنا ابن الجوزى شواهدَ من هذا النقد . أما فى كتاب «الزمرذ» فيهاجم ابنُ الراوندى نظرية إعجاز القرآن[١] ويقول إن فصاحة أكثم بن صيفى تفوق فصاحة القرآن (رقم ٢٢) ؛ وحتى لو سلمنا بأن معرفة النبى للغة العربية تفوق معرفة جميع العرب ، فهل تقوم دعوى الإعجاز البيانى للقرآن حجةً على من ليسوا بعرب ؟! (رقم ٩) . وهذه القطعة مثال قوى للهجمات العنيفة التى قامت بها دوائرُ الملاحدة ضد القرآن ، تلك الهجمات التى أدت إلى تكوين عقيدة إعجاز القرآن ولا نستطيع أن نفهم مكانةَ هـذه المسألةِ الخطيرةَ فى علم التوحيد الإسلامى ، إلا بحسبانها دفاعاً عن نقد عنيف ، مثل نقد ابن الراوندى .

ويشير إلى نفس هذا الاتجاهِ ما هاجمه ابن الراوندى من الآيات التى عنى بها (دون تفصيل ويا للأسف) مؤلفُ الرد (فى القطعة العاشرة) والتى يرى فيها المسلمون دليلا آخر على إعجاز القرآن . والنَّظَّام ، كما نعرف من كتاب «الانتصار»[٢] — وهو أكثر المتكلمين جرأة وحرية فكر — قد قال « إن نظم القرآن وتأليفه ليسا بحجة للنبى صلى الله عليه»[٣] وإن تحدىَ النبى للإنس

(١) ارجع فى هذا إلى اجناتس جولدتسيهر ، «الدراسات الإسلامية» المجلد الثانى ص ٤٠١ وما يليها ؛ نفس المؤلف : «اتجاهات المفسرين المسلمين» ص ١٢٠ وما يليها ؛ ت . أندريه ، نفس الكتاب ص ٩٤ وما يليها ؛ عبد العليم ، إعجاز القرآن فى مجلة «الحضارة الإسلامية» *Islamic Culture* (حيدر آباد — الدكن) سنة ١٩٣٣ ، ١ و ٢ ، وبطريقة مشابهة لطريقة ابن الراوندى يهاجم قرقسانى نظرية إعجاز القرآن : انظر ا . فريد ليندر معارضة قرقسانى للاسلام ، فى «مجموع أبحاث مقدمة إلى اجناتس جولدتسيهر» (اشتراسبورج سنة ١٩١١) ص ١٠٥ وما يليها . فيما يتعلق بعبد المسيح الكندى ، انظر بعدُ الفصل السادس .

(٢) طبعة نيبرج ص ٢٧ .

(٣) مصدر هذا كتاب «فضيحة المعتزلة» لابن الراوندى ، ولكن لا داعى =

والجن (سورة ١٧ ، آية ٩٠) لا يتعلق بالناحية التأليفية والنظم ، والدليل على أن القرآن منزّل من عند الله إنما هو (كما يذكر الخياط بحق فى رده على ابن الراوندى) فى محتواه : ففى القرآن أخبار عن الغيوب التى وقعت حقا فيما بعد[1] . ويذكر الخياطُ[2] من بين الشواهد التى أوردها النظام لإثبات ما يقول به ، الآيتين اللتين جعلهما ابن الراوندى فى كتاب « الزمرذ » موضوعاً لسخريته ونقده . هاتان الآيتان هما آية المباهلة (سورة رقم ٣ ، آية ٥٤) ثم آية : فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُم صادقين (سورة رقم ٢ ، آية ٨٨ ؛ ورقم ٦٢ ، آية ٦) . وهكذا الحالُ فى الآيات الأخرى التى هاجمها ابنُ الراوندى فى القطعة رقم ١٠[3] . ويرفض ابن الراوندى نظرية إعجاز القرآن من ناحيتى النظم والمعنى .

ويتصل بطعنه فى أن القرآن منزل من عند الله ما يقوله فى القطعتين رقمى ١٥ ، ١٦ متعلقا بزعمهم أن اللغات ترجع إلى الأنبياء الذين تلقَّوْها عن الله بوحى منه . وموقف ابن الراوندى من هذه المسألة يتجلى بوضوح فى القطعة رقم ١٥ . فهو يرى أن اللغة من طبيعة الإنسان ولها نظيرها فى أصوات الحيوان . والطفل يتعلم اللغة من أهل البيئة المحيطة به ؛ وتلك عملية لا مبدأ لها . أما الرأى القائل بأن اللغات تقوم على الوحى فيعارضه ابن

= للشك فى صحة هذا القول لأن الخياط يشير بدوره إليه وفى رده عليه لا يذكر الإباء معنى فهم النظام مسألة إعجاز القرآن فى الواقع فحسب — وهذا المذهب متفق مع كل ما نعرفه عن النظام ويتمشى مع رفضه لأخبار المعجزات (انظر قبل) . وقارن كذلك الأشعرى ، « مقالات الإسلاميين » (طبعة رتر) ص ٢٢٥ س ١١ .

(١) كتاب « الانتصار » ص ٢٧ س ١٦ : « فأحدها ما فيه من الإخبار عن الغيوب » .

(٢) نفس الكتاب ص ٢٨ فى أعلاها .

(٣) انظر التعليق رقم ٣ ص ١٠٤ .

الراوندى فى القطعة رقم ١٦ . ولا مندوحة لنا لفهم هذه المسألة عن وضعها فى موضعها من العقائد الإسلامية .

وليس لدينا ويا للأسف آراءُ المتقدمين فى مسألة تفسير نشأة اللغات . وأقدم خبر وصل إلى علمى فيما يتعلق بهذه المسألة هو هذه الفقرة التى هى أمامنا الآن لابن الراوندى . ولابد أن تكون هذه المسألة قد بحثها المتكلمون والنُّحاة منذ عهد بعيد ، وتفسير الآية : وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّها (سورة ٢ ، آية ٢٩) ، بمعنى أن الله أعطى لآدم اللغةَ ، أقول هذا التفسير قديم . والمتقدمون من النُّحاة كانوا على اتصال ، ولو عن طريق غير مباشر ، بالمسألة التى شغلت اليونان : هل اللغات بالطبع φύσει أو الوضع والاصطلاح Θέσει . والسيوطى يعرض المسألة عرضاً مُفصَّلا فى الفصل الأول من كتاب «المُزْهِر» (طبعة القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ) معتمداً فى الغالب على المصادر القديمة ولو أن أقدمها هما أبو هاشم الجبائى وأبو الحسن الأشعرى . وهنا نصادف نفس المصطلحات التى نجدها فى قطع ابن الراوندى[1] . وعنوان هذا الفصل لدى السيوطى هو (ص ٥) : «فى بيان واضع اللغة وهل هى توقيف ووحى أو اصطلاح وتواطؤ» .

ومما هو جدير بالذكر أنه إلى جانب الأشعرى قال النحويان المشهوران ابن فارس (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) ، وابن جِنّى (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ) ، بما قال به أهل السنة والجماعة من أن اللغات توقيف من الله . قال ابن فارس فى «المزهر» للسيوطى ص ٦ : «ولعل ظانّاً يظنّ أن اللغة التى دللنا على أنها توقيف ، إنما جاءت جملة واحدة وفى زمان واحد ؛ وليس الأمر كذلك ؛

(١) فيما يتعلق بوضع هذه المسألة فى موضعها من الناحية الكلامية انظر كتاب «عذاب الحلاج» للأستاذ ماسينيون ص٦٩٨ وما يليها ، وبخاصة ص ٧٠١ .

بل وقّف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلّمه إياه مما احتاج إلى علمه فى زمانه ، وانتشر من ذلك ما شاء الله ، ثم عَلّم بعد آدم من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبياً نبياً ما شاء الله أن يعلّمه ، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأتاه الله من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله . . .. فلا نعلم لغة من بعده حدثت »[١].

وعلى العكس من ذلك « ذهبت المعتزلة إلى أن اللغات بأسرها ثبتت اصطلاحاً »[٢]. ورأيها ذو صلة بعيدة بنظرية الوضع (Θέσει) السوفسطائية ، ولو أنها لم تنظر إلى هذه المسألة من الناحية الفلسفية البحتة التى تتعدى دائرة القرآن وفى وقوف ابن الراوندى موقف المعارضة إزاء رأى أهل السنة ، إنما يقترب من المعتزلة . وهنا لا ينكر أنه كان فى البدء معتزلياً ، ولكنه فى جوابه عن هذه المسألة قد ترك أساس الإسلام وربط مسألة اللغة بمسألة قدم العالم[٣] .

وقولهم « توقيف » الذى أوردناه بمعنى « تعليم (إلهى) » تقريباً[٤] ،

---

(١) هذه الفقرة بأكملها مأخوذة من كتاب « فقه اللغة » لابن فارس (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٨) ص ٥ وما يليها ؛ وفى نفس الكتاب ص ٧ يقول ابن فارس إن الكتابة توقيف كذلك .

(٢) « المزهر » للسيوطى ص ١١ س ١٤ — وانظر أيضا ص ٩ س ١٥

(٣) انظر ص ١٠٧ تعليق ٣ .

(٤) انظر ماسينيون ، نفس الكتاب ص ٧١١ « أكان هذا المنح (منح استعمال الأسماء ، ذلك الاستعمال الذى منحه الله للانسان) قد عُمل مرة واحدة دون ما تغير ؟ هذا ما يقول به أصحاب « التوقيف » المعدود أنه ثروة تنتقل من جيل إلى جيل دون أن تتغير » . ومن أجل هذا فإن ماسينيون يشتق « توقيف » خطأً من « وَقّف » . — قارن كذلك جوجوييه Goguyer ، الفية ابن مالك (بيروت سنة ١٨٨٨) ص٣٣٣ ؛ سعيد الكرمى ، فى « مجلة المجمع العلمى العربى » ، المجلد الأول (دمشق سنة ١٩٢١) ص ١٢٩ .

مأخوذ من قولهم وَقَّف فلاناً على كذا أى أطلعه عليه . قال ابن فارس : « وقّف الله عز وجل آدمَ عليه السلام على ما شاء أن يُعَلّمه إياه »[1]، ومن المرجح أن هذا الاصطلاح قديم ، إذ نصادفه لدى محمد بن زكريا الرازى الذى أنكر ، بطريقة مشابهة لطريقة ابن الراوندى ، النظرية القائلة بأن اللغات توقيف من عند الله .

وبجانب القائلين بالتوقيف يوجد فى القطعة رقم ١٦ من يفسرون اللغة بأنها إلهام . والإلهام مترادف عادةً مع الوحى ؛ وابن جنى فى بحوثه اللغوية الفلسفية يستعمل لفظ الإلهام بمعنى التوقيف والوحى تماماً دون ما أدنى فرق[2] . ولعله كان هناك فرق ضئيل بينهما من زمن بعيد[3] ؛ لكن يظهر أن استعمال لفظ إلهام بمعناه العام من أن الناس جميعاً لا يدركون العلوم إلا بإلهام ، إنما احتفظ به لأول مرة فى اصطلاح الشيعة والفلاسفة فحسب . وفى كتاب «الانتصار» أن من الشيعة من يقول بالإلهام « يزعم أن الناس جميعاً لا يدركون العلوم إلا بالإلهام »[4] . وابن الراوندى إنما يتخذ هذا الاستعمال .

وفى كتاب « أعلام النبوة » الذى ذكرناه كثيراً يورد أبو حاتم الرازى الإسماعيلى عرضاً مفصّلا للفرق بين «الإلهام» بالمعنى العام وبين «الوحى» ؛

---

(١) انظر الصحفة السابقة تعليق ١ .

(٢) انظر السيوطى ، الكتاب المذكور ص ٦ س ٢١ وما يليه ، وقارن ص ٩ س ٥ .

(٣) انظر ماسينيون ، نفس الكتاب ص ٧٥٣ .

(٤) كتاب « الانتصار » ص ١٥٣ . — فى مقابل الأئمة والأنبياء الذين يتلقون الوحى مباشرة .

ويعترض على ما يقوله محمد بن زكريا الرازى[١] الذى استخدم هـــذا الاصطلاح عينه . وختاماً أعرض قطعة الرازى القيمة التى تتفق مع أقوال الرازى حتى فى تفاصيلها[٢] : « أخبرونا بأى لغة وقف أول إمام من أئمتكم على اللغات ؟ وهل فى ذلك بد من الرجوع إلى الإلهام ؟ على أن إماماً لو عرف لغة ثم أراد أن يعرّفها الناس لما قدر على ذلك إذا لم تكن عندهم سابقةً ، فليس بدٌ من الرجوع إلى الإلهام بتةً بتة — هذا قول الملحد »

٦ — كتاب « الزمرذ » ودفاع الكندى

والأفكار التى عرضها ابنُ الراوندى فى كتاب « الزمرذ » مطبوعةٌ بشخصيته كلَّ الانطباع ، كما يستبين من تحليلنا السابق لهذا الكتاب . وتكاد تدل كل قطعة من القطع المحفوظة لدينا على أن ابن الراوندى كان فى البدء معتزليا ، وهذا العنصر يطبع أقواله بطابع خاص[٣] . وعلينا من جهة أخرى أن نزعم وجود نظائر لطعنه فى الأديان المنزّلة لدى غيره من الملاحدة وخصوصا هؤلاء الذين يسميهم صاحب «الفهرست»[٤] باسم : « المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة » . ولم يبق لدينا ويا للأسف من

---

(١) انظر الفصل التاسع .

(٢) كتاب « أعلام النبوة » ، (مخطوطة حسين الهمدانى) ص ٢٤٥

(٣) يقول الخياط فى كتاب «الانتصار» ص ١٠ : « فويل صاحب الكتاب ! كيف يعيب المعتزلة وهو يلجأ فى كتبه كلها إلى كلامها ومسائلها وجواباتها ، عجزاً منه عن أن يأتى بكلام غير كلامها أو سؤال غير سؤالها ! » .

(٤) «الفهرست» ص ٣٣٨ س ٦ .

كتبهم ما يستحق الذكر . ولذا يستحيل علينا أن نمتحن جدة ابن الراوندى فى تفصيل . ولقد اكتشفتُ مؤلفاً إلحاديا للطبيب الفيلسوف محمد بن زكريا الرازى ، محفوظاً فى ردّ اسماعيلى عليه[١] . وأنا قد أشرت من قبل كثيرا إلى هذا الكتاب الذى يوقفنا على علاقة وثيقة بينه وبين أقوال ابن الراوندى . ومع هذا كله فمحتوى الكتابين مختلف من أساسه ، وبمقارنتهما يستبين أن ابن الراوندى يمتاز بالسير على سُنّة الكلام وبلغته يتكلم ، بينما يتناول الرازى مساوئ الأديان بالطعن والنقد الشديد من وجهة نظر الفلسفة .

أما النظائر الحقيقية لكتاب « الزمرذ » فنجدها فى مؤلف هو آخر ما يمكن تصورها فيه ، وذلك هو الدفاع النصرانى المشهور الذى كتبه عبد المسيح الكندى . ومن الجائز ألا يكونَ هذا الكتابُ هو الوحيدَ ، وأن توجد كتب أخرى فى هذا الباب تصلح للمقارنة . ومع هذا كله فلم ينشر حتى اليوم إلا قليلٌ من كتب التناظر بين النصارى واليهود والمسلمين[٢] ،

---

(١) فى كتاب « أعلام النبوة » لأبى حاتم الرازى الاسماعيلى (انظر و . إفانوف ، « دليل أدب الاسماعيلية » ص ٣٢ وقارن بذلك ، مجلة الدراسات الاسلامية سنة ١٩٣٣ ص ٤٨٥) . والمقصود هنا هو كتاب مخاريق الأنبياء لمحمد ابن زكريا الرازى . وآمل أن أقدر على تقديم بحث فى هذا الكتاب .

(٢) انظر م . اشتينشنيدر ، كتب التناظر والدفاع ، فى مجلة : « بحوث لمعرفة الشرق » المجلد السادس رقم ٣ . أما كتاب ى . فرتش ، الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى E. Fritsch : *Islam und Christentum in Mittelalter* (برسلاو ، سنة ١٩٣٠) الذى أشار الى به الأستاذ شيدر ، فيبحث أولا وبالذات فى مناظرة المسلمين للمسيحية ، وهو لهذا لا يتعلق بموضوعنا . (قارن ر . اشترتمان ، R. Strothmann « مجلة المستشرقين لنقد الكتب O L Z » ، رقم ٨٧٢) . انظر كذلك ج . جراف Graf ، مناظرات النصارى للاسلام ، فى « الكراسات الصفراء » *Gelbe Hefte* سنة ١٩٢٦ ص ٨٢٥ وما يليها ، والكتب المذكورة هناك .

ولذا لم يكن بُدٌّ من الاقتصار على هذا المؤلَّف وحده فى بحثنا هذا .

أما كتاب الكندى فقد طُبع للمرة الأولى منذ عشرات السنين وقام بالبحث فيه موير[١] . مؤلفه نسطورى يَدَّعى أنه عاش فى بلاط المأمون الذى لا بد أن تكون عواطفه نحو المخالفين فى الرأى والعقيدة قد احتملت نقد المؤلف المنيف للاسلام . وأقدم شاهد على وجود هذا المؤلَّف ، البيرونى ، الذى يذكره فى تاريخه تحت عنوان : «جواب النصرانى عبد المسيح بن اسحق الكندى على كتاب عبد الله بن اسماعيل الهاشمى[٢]» . ولهذا فإن تحديد عصره التقريبى ممكن . غير أن هناك من الأسباب ما يجعلنا نشك فى أنه ألِّف فى أول القرن الثالث . وسأبحث بعدُ فى المسائل الأدبية المتعلقة بدفاع الكندى ، وأناقش أولا سلسلة من الفقرات المتصلة بكتاب «الزمرذ» عن قرب . أما فيما يتعلق بصلة هذه الفقرات بعضها ببعض فأكتفى بأن أحيل إلى تصنيف محتويات الكتاب لدى موير .

يتحدث الكندى فى عرضه لأعلام النبوة عن معجزات محمد (ص ٦٤ وما يليها) . ولكن هذا الموضع عينه من كتاب « الزمرذ » لم يحفظ لنا إلا باختصار (قطعة رقم ٨ ، ١١) ، ولهذا فنحن لانستطيع مقارنتهما مقارنة دقيقة . ومما يسترعى الانتباه أن أخبار المعجزات التى يرفضها الكندى إما لاضطراب فى روايتها أو لاستحالة وقوعها فى ذاتها ، هى عينها التى يذكرها ابن الراوندى فى كتاب « الزمرذ » . فأخبار الذئب الذى كلم أهبان بن أوس الأسلَمى (ص ٦٤) ، وشاة أم معبد ، والشاة المسمومة والميضأة

(١) و . موير ، « دفاع الكندى » **W. Muir: *The Apology of al-Kindi*** لندن سنة ١٨٨٢ . انظر فيما يتعلق بكتب أخرى مادة : كندى ، للأستاذ ماسينيون فى « دائرة المعارف الإسلامية » المجلد الثانى ص ١٠٩٧ — وأنا أستخدم النص تبعا لطبعة القاهرة سنة ١٨٩٥ .

(٢) « التاريخ » ***Chronologie*** ، طبعة سخاو (لندن سنة ١٨٧٨) ص ٢٠٥ .

هذه الأخبار كلها يوردها المؤلف فى تفصيل متناولا إياها بالتهكم المر[١]

وصلة أخرى تتعلق بمسألة إعجاز القرآن (ص ٨٩) . وعبارتها فى هذا متشابهة تماما ، مع هذا الفرق وهو أن ابن الراوندى يمتحن مسألة تفضيل اللغة العربية على غيرها من اللغات بينما يُزْهى الكندى بأنه عربى صريح ويفسر تأثير القرآن بأن « الأنبـاط والأسقاط والعجم والمغفلين والأغبياء الذين لا معرفة لهم باللسان العربى » هم الذين ينخدعون بدعوى إعجاز القرآن من ناحية نظمه[٢] .

ومما يسترعى النظر حقا نقدُ الكندى لشعائر الإسلام الواحدة تلو الأخرى . إذ ينظر إليها تارةً من وجهة نظر النصارى ، ويؤكد أن المسيح ألغى شريعة موسى (ص ٩٨ وما يليها) : فالختان والوضوء الخ ليست فرائض واجباً على المرء اتباعها ، وإنما أقصى ما تبلغ إليه أنها عادات جارية[٣] . وطوراً يناقض لوازم عقيدة العقل الإسلامية : والكندى يقف طويلا عند هذه المسألة ؛ ولو أن العقل ليس هو نقطة الابتداء فى منهجه فى التفكير ، كما هى الحال لدى ابن الراوندى ، فإن له مكانة عظمى عنده .

وهأنذا أورد النقطة المتعلقة بالحج والبقـاع المقدسة (ص ١٠٣ وما يليها) ، وهى تذكرنا بما يقوله ابن الراوندى .

« وأما دعوتك لى إلى حج بيت الله الذى بمكة ورمى الجمار والتلبية

---

(١) انظر الترجمة لدى موير ص ١٤ وما يليها .

(٢) « وإنما هذه الحجة المبهرجة هى دعوى مدلسة تجوز على الأنباط والأسقاط والعجم والمغفلين والأغبياء الذين لا معرفة لهم باللسان العربى ، وإنما هم فيه دخلاء » .

(٣) ص ١٠٠ : « فليس يفعل ذلك لأنه سنة واجبة وفريضة لازمة عليه لا يحل له إلا القيام بها ، بل يفعله على سبيل العادة الجارية عند أهل الزمان والتشبه بأهل دهره الذى هو مقيم بين أظهرهم » .

(٩)

وتقبيل الركن والمقام ، فسبحان الله ما أعظم هذا الكلام ! لقد جئت بأمر فرِيّ كأنك تكلم صبياً أو تخاطب غبيا أو تجادل عييّا ! فليت شعرى أليس هو الموضع الذى عرفناه جميعا حق معرفته ، ووقفنا على أصول أسبابه ، وكيف كانت القصة فى ثباته وكيف جرى أمره إلى هذه الغاية ؟ أولا تعلم أن هذا فعل الشمسية والبراهمة الذى يسمونه النُّسك لأصنامهم بالهند ؟ فإنهم يفعلون فى بلدهم هذا الفعل بعينه الذى يفعله المسلمون اليوم من الحلق والتعرى ، الذى يسمونه الإحرام والطواف ببيوت أصنامهم إلى هذا الوقت على هذه الحالة . لم تزد عليه أنت شيئا ، ولا نقصت منه ذرة . فإنك أخذته بذلك الفعل ، الذى سميته النسك ، متمسكا بتلك العادة محتذيا تلك السبل . إلا أنك تفعله فى السنة مرة واحدة فى وقت مختلف . وأولئك يفعلونه فى السنة مرتين فى دفعتين معروفتين عند دخول الشمس أولَ دقيقة من الحَمَل وهو الربيع ، وفى دخولها أولَ دقيقة من الميزان وهو الخريف . ففى الأول لدخول الصيف وفى الثانى لدخول الشتاء . فهم يُضَحُّون كما تضحى أنت ؛ وينسُكون كنسكك لأصنامهم وإنذارهم . فهذا سبب حجك ونسكك ومقامك تلك المقامات وفعالك تلك الأعجوبات . وأنت وأصحابك عالمون أن العرب كانت تنسُك هذه المناسك وتفعل هذه الأفعال فى قديم الزمان منذ بَنَت هذا البيت . فلما جاء صاحبك بالإسلام لم تره زاد فى هذه الأفعال ، ولا نَقَص منها شيئاً . غير أنه لبعد الشقة وطول المسافة

---

(١) انظر كذلك ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٤٩ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٢٨ فى منتصفها ، ص ١٣٠ فى أعلاها . وفكرة « العقل » هنا مأخوذة بمعنى معتزلى (انظر بعد فى مستهل الفصل التاسع من هذا البحث) كما يستخدم كتاب الكندى غالبا اصطلاحات المعتزلة التامة التكوين فى القرن الثالث .

وتخفيف المؤونة ، جعله حَجة واحدة فى السنة . وأسقط من التَّلبية ، ما كان فيه شناعة ، والقصة هى تلك القصة بعينها التى تفعلها السُّمَنية[1] والبراهمية ببلاد الهند إلى هذه الغاية ، وتنسك فيها لأصنامها . وإنى لأستصوب قولاً لعمر بن الخطاب ، وقد وقف على الركن والمقام ، فقال : « والله لأعلم أنكما حجران لا تنفعان ولا تضران ؛ ولكنى رأيت رسول الله يقبّلكما ، فأنا أقبلكما كذلك » . فإن كان الرواة الصادقون الذين رووا هذه الرواية عنه كذَبوا عليه فقد صدقوا فى ما حكوه عن هذين الحجرين ، وإن كانوا صدقوا عنه أنه قال ذلك فلقد قال قولا حقاً . فكيفما أردت القول أيها الحبيب لم يخرج عن قانون الحق . فأما ما يريد العائب أن يعيب به من يحلق شعر رأسه ويتعرى ويعدو ويرمى بالجَمَرات ، فهذا فعل من قد عزب عقله وأنكر فهمه ، ومن يتخبطه الشيطان فقد نجد مساغاً للعيب وموضعاً للثلب . ولقد احتججنا لكم عند من ثلبكم بهذا وقلنا إنما يفعلونه من جهة التعبد وليس فى التعبد عيب ، فأجابنا أن الله عز وجل حكيم ولم يتعبد خلقه بالسنن الفاحشة الشنيعة التى تنفر الطباع منها ويستسمجها العقل ، بل بالسنن التى يستحسنها العقل ويفضلها ... فهل ترى أصلحك الله ورضى عنك أن تدعونى إلى مثل هذا الذى تستشنعه البهائم وتستقبح فعله ؟ فإنى أظن بغير شك أنها لو سئلت فأُذِن لها فى النطق لأخبرتنا بقبح هذه الأفعال واستشناعها إياها وأعلمتنا

---

(١) فى الأصل : الشمسية ، ويمكن تفسيرها بمعنى عُبَّاد الشمس ، ولكن الأرجح والأوضح أن نقرأ بدل « الشمسية » « السمنية » أو « الثمنية » Σαμαναῖοι . ويذكر المؤلف اسم « سمانية » بجانب « براهمة » عند سرده للفرق المختلفة ص ١٢٩ ؛ ولعله يجب علينا أن نقرأ هناك أيضا « السمانية » . — وهذه المواضع تتصل بأقواله الكثيرة فى تاريخ الأديان ؛ تلك الأقوال التى تعتمد على كتابات معتزلة القرن الثالث فى تاريخ الأديان .

لو أجبنا إلى دعوتك أنا قد ظلمنا تميزنا وطباعنا ... وأما قولك أنك تنظر إلى حَرَم رسول الله وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة ، فقد صدقت أكرمك الله فى قولك إنها مواضع عجيبة ! وأى عجب أعجب من تلك المواضع عند ذوى العقول والتمييز التى يرتكب فيها ما يرتكب من ظلم العقل والتمييز الذى فضل الله به الإنسان على سائر البهائم وأنعم به عليه ! »(١) .

وهذه القطعة تذكرنا كثيراً بما يقوله ابن الراوندى فى القطعة رقم ٥ من كتاب « الزمرذ » ، حتى يكاد المرء يشعر بأنه يميل إلى الزعم بأن إحداهما تعتمد على الأخرى من الوجهة الأدبية . والاختلاف الرئيسى هو فى أن البراهمة يبدون لدى ابن الراوندى كممثلين لمذهب العقل ، بينما يتحدث الكندى عنهم وعن السمنية بوصفهما فرقتين صَفَّدتهما الشعائر الدينية وأوامرها

والنظائر تذهب إلى أبعد من ذلك . ففى القطعة رقم ١٣ يسخر ابن الراوندى قائلا لِمَ لَمْ يأت الملائكة لمعونة المسلمين فى يوم أُحُد ، ويعرض الكندى (ص ٤٤ وما بعدها) فى تهكم شديد غزوات النبى التى ليست إلا غارات للسلب والنهب ، كما هى عادة العرب . أما انتصار بدر الذى يشير إليه ابن الراوندى أيضاً فيتناساه الكندى عمداً ، لكنه يكتب عن هزيمة أُحُد فى تفصيل (ص ٥٠ = ص ٥٥ من طبعة القاهرة سنة ١٩١٢) :

« فأما غزوة أُحُد وما أصيب فيها من كسر رباعيته السفلى اليمنى وشق شفته وثلم وجنته وجبهته ، الذى ناله من عتبة بن أبى وقاص وما علاه به ابن قيئة الليثى بضربة قطعت إصبعه ، فهذا خلاف الفعل الذى فعله الرب مخلص العالم ، وقد سلَّ رجلٌ بحضرته على رجلٍ سيفاً فضربه على أذنه

---

(١) [من ص ١١٣ — ١١٦ ، طبعة القاهرة سنة ١٩١٢ — مع بعض تصحيحات للنص من عندنا]

فاقتلعها . فلما نظر المسيح مخلصنا إلى ذلك من فضله عمد إلى الأذن فردها إلى موضعها فعادت صحيحة كالأخرى (لوقا ٢٢ : ٥) ؛ وإلا حيث أصاب يد طلحة ما أصابها وقد وقاه بنفسه فلو دعا ربه فرد يده إلى ما كانت عليه من صحتها لـكانت هذه من إحدى علامات النبوة . وأين كانت الملائكة[١] عن معونته ووقايته من كسر ثنيته وشق شفته ودمى وجهه ...؟ » .

وأخيراً فلنقارن كذلك قطعةً من كتاب آخر إلحادى لابن الراوندى هو كتاب « الدامغ » ، بفقرة مماثلة لها فى « رسالة » عبد المسيح الـكندى . فإن من القطع التى حفظها لنا ابن الجوزى (فى كتابه « المنتَـظَم فى التاريخ ») من كتاب «الدامغ» القطعة الآتية : « ولما وَصَـفَ (محمد فى القرآن) الجنة قال : فيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه (سورة ٤٧ : ١٥) وهو الحليب ، ولا يكاد يشتهيه إلا الجائع ؛ وذكر العسل ، ولا يطلب صِـرْفا ؛ والزنجبيل ، وليس من لذيذ الأشربة ؛ والسندس ، يفرش ولا يلبس ؛ وكذلك الاستبرق ، الغليظ (سورة ٤٤ : ٥٣) من الديباج . قال ومن تخايل أنه فى الجنـة يلبس هذا الغلظ ويشرب الحليب والزنجبيل ، صار كعروس الأكراد والنبط » .

وإنا لنجد مثل هذه الأفـكار لدى الـكندى (ص ٩١) : « فلا تظلم ، أصلحك الله ، عَـقـلَك وتبخس تمييزك حقه بغلبة سلطان الهوى الجـائر والعصبية . فإنه إنما يجوز مثل هذا على الأغمار والجهال والآفنين وأهل النقص فى الرأى الذين لا عقل لهم ولا معرفة عندهم ، ولم يتخرجوا بمطالعة الـكتب ومعرفة أصول الأخبـار المتقدمة ، فهم همج كأجلاف الأعراب المعتادين لأكل الضب والحرباء ؛ قد ربوا على الفقر والمسكنة وشقاء العيش

---

(١) يشبه مايقوله فى ص ٦ : (ص ٥١ من طبعة سنة ١٩١٢) : « فما رأيت إمرأً من الملائـكة أعانهم » .

فى البوادى والبرارى تسفعهم سمائم الصيف وزمهرير الشتاء وهم فى غاية الجوع والعطش والعرى . فحيث لوح لهم بذكر أنهار خمر ولبن وأنواع الفاكهة واللحم الكثير والأطعمة والجلوس على الأسرة والاتكاء على فُرُش السندس والحرير والاستبرق ونكاح النساء اللواتى هن كاللؤلؤ المكنون واستخدام الوصائف والوصفاء والماء المعين المسكوب والظل الممدود التى هى صفات منازل الأكاسرة ، وقد وقع هذا فى خَلَدِهم — وكان بعضهم قد رأى ذلك فى اجتيازهم ومسيرهم إلى أرض فارس — فاستطاروا فرحاً وظنوا أنهم قد نالوه فعلا عند سماعهم إياه قولا وظفروا به فحملوا نفوسهم على محاربة أهل فارس لأخذ ذلك منهم وظفرهم به .. فحاربوا أمة نجسة قذرة كانت قد طغت على الله وتجبرت فسلط جل وعز عليهم من لم يفكروا فيه قط فقتلوهم ... وكذلك حكم الله وفعله بالقوم الظالمين ينتقم ببعضهم من بعض ، ومثل الأنباط والأسقاط الذين لا خلاق لهم إنما غذوا بالشقاء وربوا مع البقر فى السواد ... »

ولا أجسر على الفصل فى مسألة عما إذا كانت صلة رسالة الكندى الوثيقة بكتاب « الزمرذ » تقوم على رابطة أدبية : فهذه المسألة لا يمكن الإجابة عنها طالما لم تبحث رسالة الكندى من ناحية صحة نسبتها إليه بحثاً دقيقاً . أما موير ، أول من اشتغل بها ، فقد أيّد صحتها على أساس الأدلة التاريخية ، وتبعه فى ذلك كازانوفا[١] وسيمون[٢] ومنجانا[٣] وغيرهم . وعلى العكس

(١) پول كازانوڤا : « محمد ونهاية العالم » ، باريس سنة ١٩١٣ ص ١١٠ وما يليها

(٢) ج . سيمون : « الاسلام والتبشير المسيحى » ، جوترسلو سنة ١٩٢٠ ص ١٠

(٣) ا . منجانا . دراسات ودبروك *Woodbruke Studies* ، فى تقرير مكتبة ريلند *Bulletin of the John Ryland Library* ، منشستر ، المجلد الثانى عشر سنة ١٩٢٨ ص ١٤٨ وما يليها .

من ذلك قال ماسينيون فى مادة « كندى » بدائرة المعارف الإسلامية (المجلد الثانى ص ١٠٩٧) بعدم صحتها مستدلا على ذلك ببراهين ليست حاسمة تماماً . وكذلك يتساءل جراف[١] عما إذا لم يكن هذا الكتاب منحولا[٢] وليس لى أن أقطع برأى فى هذا الموضوع إذ لا يستطيع ذلك إلا من له إحاطة تامة بالمسائل المسيحية العربية ومعرفة دقيقة بالمسائل الدينية من الناحية التاريخية . ومع هذا كله فإنى أعتقد أن البحث الدقيق سيقدم لنا البرهان على أن رسالة الكندى هذه لم تؤلَّف ، كما تذكر الرسالة نفسها ، فى أيام المأمون وإنما أُلِّفت بعد ذلك بكثير فيما يقرب من مُبتَدأ القرن الرابع . فإذا ما ثبت هذا البرهان وقام على أساس قويم فلن يقف شىء فى طريق زعمنا أن مؤلف هذا الدفاع قد اعتمد على كتاب « الزمرذ » أو الكتب الإلحادية المشابهة له . أما إذا اعتبرنا النظائر الموجودة بين كتاب الزمرذ والرسالة وحدها ، فذلك لا يكفى تماماً لتحمل عبء مثل هذا البرهان . ويجب علينا أن نذكر أنه ليس لدينا إلا شذرات قليله من كتاب « الزمرذ » ولو كان قد حفظ بأكمله ، إذاً لكثرت النظائر من غير شك .

أما إذا كان المؤلف قد أخذ حقاً عن كبار الملاحدة المسلمين فى القرن الثالث فمن السهل تفسيرُ حدة براهينه وعنفها ، تلك البراهين التى لا نكاد نجد لها

(١) ج . جراف : التناظر المسيحى ضد الاسلام ، فى مجلة « الكراسات الصفراء » *Gelbe Hefte* سنة ١٩٢٦ ص ٨٢٨ .

(٢) قارن أيضا د . ه بانت D' H. Baneth فى مجلة « تربيص » (أورشليم) المجلد الثالث العدد ١ ص ١١٥ الذى حاول أن يثبت عدم صحة الكتاب ببراهين جديدة . فهو يلاحظ أن الهاشمى فى دفاعه عن الإسلام يظهر المسيحية فى معرض حسنٍ بينما يقلب المؤلف لرسالة الكندى قواعد الإسلام الثابتة . ولا نستطيع أن نفسر ذلك إلا على أساس أن مؤلف الرسالة الكندية قد شوه هذا الدفاع عن الاسلام . — ومن جهة أخرى أعتقد أن القراءة النزيهة لمقدمة الكتاب تكفى للدلالة على عدم صحة « رسالة » الكندى .

نظيراً فى كتب التناظر المسيحية . ونحن حينئذ بإزاء واقعة متشابهة ، فى الإسلام الحديث ، حيث يُهيب المدافعون عن الإسلام فى استدلالاتهم على انحطاط المسيحية بنقد الحضارة الاوربية .

٧ – البراهمة فى كتاب «الزمرذ»

كان لكتاب «الزمرذ» أثره الواضح فى الإسلام . فبينما نُسِىَ اتجاهه الخاصُّ نسيانا تاما بقيت ذكرى إحدى مسائله محفوظة . ولم يكن لهذه المسألة من قبل إلا دور ثانوى .

ذكر ابن الراوندى مذهبه وآراءه على لسان البراهمة[1] . واستحضارٌ بسيط لما نعرفه عن البراهمة وبخاصة ما يذكره المؤلفون المسلمون عنهم ، يبين لنا إلى أى حد بعدت الصلة بين مذهب كتاب «الزمرذ» ومذهب البراهمة . ومن المحتمل كل الاحتمال أن ابن الراوندى لم يتصل اتصالا مباشرا بالمذاهب الهندية . ويقول البيرونى — هذا العالم المسلم الوحيد الذى كان له إلمام تام بأحوال الهند وضعه فى كتاب «الهند»[2] — يقول هذا العالم فى مقدمة كتابه[3] إن المؤلفين الإسلاميين الذين كتبوا عن أديان الشعوب الأعجمية لم تكن لديهم معلومات صحيحة ، وقد نقل كل منهما عن الآخر دون تحقيق ، اللهم إلا إيرانشهرى[4] الذى تحدث عن أديان الأمم المختلفة بطريقة خاصة واعتماداً على بحثه الخاص . إلا أن أخباره مع ذلك عن الهند لا تتفق وما يتطلبه البحث

---

(١) انظر القطعة رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٩

(٢) كتاب «الهند» (تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة) ، طبعة سخاو سنة ١٨٨٧ ، والترجمة سنة ١٨٨٨ .

(٣) ص ٦ من الترجمة

(٤) سأفصل القول عن هذا المؤلف فى مناسبة أخرى .

العلمى . إذ قد اعتمد فى ذلك غالبا على أقوال أحـد المتقدمين عليه ألا وهو زُرْقان[١] . ولم يبق لدينا ويا للأسف شىء من مؤلفات إيرانشهرى ولا زرقان . غير أنه من الممكن أن يكون المعينُ الذى استقى منه المؤلفون الذين عاشوا قبل البيرونى هو فى النهاية هذين الرجلين .

ويفرد المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » فصلا خاصا عن مذاهب أهل الهند[٢] ويذكر بخاصة اسمى كاتبين يظهر أنهما مصدر هذا الفصل وهما أبو القاسم (عبد الله بن أحمد) البلخى (الكعبى)[٣] « كتاب عيون المسائل والجوابات » ؛ و (أبو محمد) الحسن بن موسى النوبختى[٤] فى كتابه « الآراء والديانات » . وكلاهما من رجال النصف الثانى للقرن الثالث أو أوائل القرن الرابع . وقد عرفنا قطعاً من كتاب النوبختى المذكور ، منذ زمن قليل عن طريق كتاب ابن الجوزى : « تلبيس إبليس »[٥] ؛ وقد طبعها ﻫ . رِتّر فى مقدمته لكتاب « فرق الشيعة » النوبختى[٦] ومن بين هذه القطع قطعتان متعلقتان بالبحث فى مذاهب أهل الهند بالتفصيل : إحداهما تصف رياضات صوفية[٧] الهند

---

(١) مؤلف فى الفِرَق مشهور ؛ اعتمد عليه الأشعرى والبغدادى . قارن لوى ماسينيون ، رسالة فى ... Essai ص ٦٤ .

(٢) المسعودى ، « مروج الذهب » طبع بربييه دى مينار (باريس سنة ١٨٦١) الجزء الأول ص ١٤٨ وما يليها

(٣) معتزلى من الطبقة الثامنة (توفى سنة ٣١٩) ؛ انظر بعد ص ١٦٢

(٤) متكلم شيعى فى أواخر القرن الثالث ؛ انظر بعدُ ص ١٦١

(٥) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى : « نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس » (الطبعة الأولى بالقاهرة سـنة ١٣٤٠) ؛ انظر ماسينيون ، مجلة العالم الإسلامى R M M ، المجلد السابع والخمسين ص ٢٠٠ وما يليها .

(٦) « فرق الشيعة » للحسن بن موسى النوبختى (المكتبة الإسلامية *Bibliotheca Islamica* المجلد الرابع ، استامبول سنة ١٩٣١) ص كب وما يليها .

(٧) قارن أيضا : « رسائل إخوان الصفا » (طبعة بمباى) ، المجلد الرابع ص ١١٢ .

ومجاهداتهم ، والاخرى ملخص لوصف مقالات البراهمة . ويشوقنا أن نقارن كلام النوبختي بأقوال ابن الراوندى عن البراهمة . ففى « تلبيس إبليس » ص ٦٩ [١] يقول المؤلف ما نصه : « قال أبو محمد النوبختي فى كتاب « الآراء والديانات » : إن قوما من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار ، وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم فى صورة البشر من غير كتاب ... وأنه أمرهم بتعظيم النار ، ونهاهم عن القتل والذبائح إلا ما كان للنار ، ونهاهم عن الكذب ، وشرب الخمر ، وأباح لهم الزنا ، وأمرهم أن يعبدوا البقر » .

ولنضع هذه الفقرة — وهذه ملاحظة بين قوسين — إلى جانب ما يقوله الشهرستانى (« الملل والنِّحل » ، طبع كيورتن) ص ٤٥٠ — ٤٥١ عن الطوائف الهندية الآتية : الباسوية والباهودية والكابلية والبادونية . وهو حتى فى التفاصيل يشابه نفس أسلوب قطعة النوبختي المذكورة آنفاً تماماً ، ولا بد أن يكون ملخصا من كتاب « الآراء والديانات » أو يرجع إلى مصدر شبيه بهذه القطعة [٢] . وربما كان جزء مما سنذكره بعد عن الشهرستانى مأخوذاً من نفس هذا المصدر .

---

(١) فى الطبعة الثانية (القاهرة سنة ١٩٢٨) ص ٦٥ ؛ وفى طبعة رتر ص XXIII .

(٢) يظهر أن القطعة المتعلقة بالباسوية ليست ذكرا مفصلا لتلك الفرقة التى تسمى غالبا لدى ابن الجوزى (النوبختى) باسم البراهمة . ونستطيع مقارنة القطع بوساطة هذه العبارة المكررة كثيرا : « زعموا أن رسولهم مَلك على صورة بشر » . ومن الغريب أن ما أوردناه من كلام النوبختى متعلق بمذهب البراهمة ، بينما هو لدى الشهرستانى متعلق بالفرق التى يسميها باسم أصحاب الروحانيات التى يضعها فى مقابل البراهمة . ولا نستطيع القطع بالسبب الذى من أجله كان هذا الاختلاف : أهو طريقة الشهرستانى فى فصل الأشياء المتصلة ببعضها من أجل حسن ترتيب كتابه وتصنيفه ، أم هو أن ابن الجوزى أخطأ فى الرواية ؟

ومن البَيِّن أن ما يقوله النوبختى عن البراهمة أقرب إلى الصواب مما يقوله ابن الراوندى . فالنوبختى لا يتحدث مطلقا عن العقل بوصفه أسمى مبدأ فى الشئون الدينية ولا عن إنكار الكتب المقدسة . وهو يؤكد بشدة أن البراهمة يعرفون الرسل ، والشعائر الدينية التى يقدسونها ، فى رأى المؤلف ، تتناقض مع ما زعمه ابن الراوندى من أن شعائر الأديان المنزلة مخالفة للعقل ومنافية . والبيرونى يقول نفس هذا القول ، بنصف شعائر الطهارة وأوامر الطعام لدى البراهمة فى فصول من كتابه فصل فيها القول تفصيلا ويتحدث عرضاً عن أنبيائهم[1] . وليس بين براهمة ابن الراوندى وبراهمة الهند الحقيقيين من صلة .

وعلى الرغم من هذا كله نجد لدى كثير من المؤلفين الإسلاميين أقوالا عن مذهب البراهمة تتفق تماما مع مايذكره ابن الراوندى . ولدى الباقلانى[2] وابن حزم[3] والبغدادى[4] والغزالى[5] والطوسى[6] والذهبى[7] وغيرهم

(١) الترجمة ، الجزء الأول ص ١٠٦ .

(٢) « إعجاز القرآن » (طبعة القاهرة سنة ١٣٤٩) ص ١٠ : « وقد قصر قوم فى هذه المسألة حتى أدى ذلك إلى تحوّل قوم منهم إلى مذاهب البراهمة فيها . ورأوا أن عجز أصحابهم عن نصرة هذه المعجزة يوجب أن لا يستبصر فيها وجه لها الخ » .

(٣) « الفِصَل » (طبعة القاهرة سنة ١٣١٧) جـ ١ ص ٦٩ : « ذهبت البراهمة ... وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا إلا أنهم أنكروا النبوات . وعمدة احتجاجهم فى دفعها أن قالوا : لما صح أن الله عز وجل حكيم ، وكان مَن بعث رسولا إلى من يدرى أنه لا يصدقه ، فلا شك فى أنه متعنت عابث ، فوجب نفى بعث الرسل عن الله عز وجل ، لنفى العبث والعنت عنه . وقالوا أيضا : إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الايمان ، فقد كان أولى به فى حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به . قالوا : فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضا . ومجىء الرسل عندهم من باب الممتنع » . وقد ترجم هذه الفقرة أسين بلاثيوس فى كتابه « ابن حزم القرطبى » (مدريد سنة ١٩٢٨) الجزء الثانى ص ١٨٢ .

يسمّى البراهمة باسم «من ينكرون النبوة» فحسب . ونجد لدى الشهرستانى

= (٤) « الفِرق» (طبعة القاهرة سنة ١٩١٠) ص ٣٣٢ : « وقالوا (أى أهل السنة والجماعة) فى الركن السابع المفروض فى النبوة والرسالة بإثبات الرسل من الله تعالى إلى خلقه خلاف قول البراهمة المنكرين لهم مع قولهم بتوحيد الصانع » . انظر كذلك نفس الكتاب ص ٣٤٨ وص ١١٤ .

(٥) انظر أسين بالاثيوس ، الغزالى : عقيدته وأخلاقه وتصوفه (سرقسطة سنة ١٩٠١) ص ٢٧٩ تعليق ١ . انظر كذلك الغزالى ، « فيصل التفرقة » (طبعة القاهرة سنة ١٣٤٣ فى مجموعة « الجواهر الغوالى ») ص ٥٥ : « والبرهمى كافر ... لأنه أنكر مع رسولنا سائر المرسلين » .

(٦) انظر ماكس هورتن : « مذاهب المتكلمين النظرية فى الإسلام » (بون سنة ١٩١٢) ص ٩٢ : « إن الأنبياء يعلمون إما ما هو موافق للعقل وحينئذ فلا لزوم لهم ، وإما ما هو مناقض للعقل وحينئذ فأقوالهم غير مقبولة . وفى كلا الحالين لا لزوم لهم » . — قارن أيضا مكس هورتن : *Die spekulative und positive Theologie des Islam* (Leipzig 1912) ص ٨٦ ، ٨٧ .

ولا يناسب هذا المقام ما ذكره الجاحظ فى كتاب الرد على النصارى (« ثلاث رسائل للجاحظ » ، طبع فنكل ، القاهرة سنه ١٩٢٦) ص ٢٤ س ٣ وما بعده ، عن أهل الهند أنهم لا يمكن الاستشهاد بهم على نبوة محمد أو المسيح ، لأنهم لم يسمعوا بهما مطلقا . وما يقوله الجاحظ فى مكان آخر فى كتابه « حجة النبوة » المطبوع بهامش طبعة « الكامل » للمبرد (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٤) ج ٢ ص ٤٤ يختلف عما نحن بصدده تمام الاختلاف » : ... ونحن قد نجد اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة والدهرية وعُبّاد البددة (فى الأصل المطبوع : المبدرة ؛ ويقصد البوذية) يكذبون النبى صلى الله عليه وسلم وينكرون آياته وأعلامه . » ولفظ « عباد البددة » الذى يترجمه ريزر O. Reser (مقتبسات وتراجم عن كتب الجاحظ البصرى اللغوى المتكلم [١٥٠ — ٢٥٠ هـ] مع نصوص لم تطبع بعد ، ج ١ [اشتوتجارت سنة ١٩٣١] ص ٢٩٩) بالبوذيين لعله يجب ترجته بلفظ « عبدة الأوثان » فحسب . — وهذا البيان مهم لأنه لم يوجد موضع فيه ذكر البراهمة بحسبانهم منكرى النبوات أقدم من كتاب « الزمرذ » لابن الراوندى — انظر كذلك « رسائل إخوان الصفا » (طبعة بمباى) ج ٤ ص ١٩٦ ، ١٩٨ .

(٧) انظر بعدُ ص ١٤٨ تعليق ٤ . وانظر كذلك ت . دى بور : « تاريخ الفلسفة الاسلامية » (اشتوتجارت سنة ١٩٠١) ص ٩٢ ؛ يوليوس جوتمان J. Guttmann : « فلسفة اليهود » *Die Philosophie des Judentums* (برلين سنة ١٩٣٣) ص ٥٩ ، ٩١ .

ولدى ابن الجوزى ملاحظات كثيرة على البراهمة لابد لنـا من فحصها فحصاً دقيقا .

قال الشهرستانى[١] :

« إلا أن هؤلاء البراهمة انتسبوا إلى رجل منهم يقال له برهام قد مهد لهم نفى النبوات أصلا وقرر استحالة ذلك فى العقول بوجوه ، منها أن قال :

١ — إن الذى يأتى به الرسول ، لم يخل من أحد أمرين : إما أن يكون معقولا ، وإما أن لا يكون معقولا . فإن كان معقولا فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه ؛ فأى حاجة لنا إلى الرسول ؟! وإن لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا : إذ قبول ما ليس بمعقول ، خروج عن حد الإنسانية ، ودخول فى حد البهيمية .

٢ — قد دل العقل على أن الله تعالى حكيم ، والحكيم لا يتعبد الخلق إلا بما يدل عليه عقولهم . وقد دلت الدلائل العقلية على أن للعالَم صانعاً قادراً حكيما وأنه أنعم على عباده نعماً توجب الشكر ، فننظر فى آيات خلقه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا . وإذا عرفناه وشكرنا له ، استوجبنا ثوابه . وإذا أنكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه . فما بالنا نتبع بشراً مثلنا ؟! فإنه إن كان يأمرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر ، فقد استغنينا عنه بعقولنا ؛ وإن كان يأمرنا بما يخالف ذلك ، كان قوله دليلا ظاهراً على كذبه .

٣ — قد دل العقل على أن للعالم صانعاً حكيما ، والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح فى عقولهم . وقد وردت أصحاب الشرائع بمستقبحات من حيث

(١) كتاب « الملل والنحل » ، طبع كيورتن (لندن سنة ١٨٤٦ ؛ طبعة جديدة ، ليبتسك ١٩٢٣) ص ٤٤٠ وما يليها .

العقل : من التوجه إلى بيت مخصوص فى العبادة ، والطواف حوله ، والسعى ورمى الجمار ، والإحرام والتلبية وتقبيل الحجر الأصم ؛ وكذلك ذبح الحيوان وتحريم ما يمكن أن يكون غذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بنيته ، وغير ذلك . كل هذه الأمور مخالفة لقضايا العقول .

٤ — إن أكبر الكبائر فى الرسالة اتباع رجل هو مثلك فى الصورة والنفس والعقل يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب ، حتى تكون بالنسبة إليه كجماد يتصرف فيك رفعاً ووضعاً ، أو كحيوان يصرفك أماماً وخلفاً ، أو كعبد يتقدم إليك أمراً ونهياً . فبأى تميز له عليك ، وأية فضيلة أوجبت استخدامك ؟ وما دليله على صدق دعواه ؟ فإن اغتررتم بمجرد قوله فلا تميز لقول على قول ، وإن انحسرتم بحجته ومعجزته فعندنا من خصائص الجواهر والأجسام ما لا يحصى كثرة ، ومن المخبرين عن مغيبات الامور من لا يساوى خبره . قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده »

ولا أحسبنى مخدوعا إن زعمت أن مقالات المؤلفين المذكورين آنفاً أستقيت من نفس المعين الذى استقى منه مقال الشهرستانى هذا . هذا إلى أن الأقوال الموجودة لدى الشهرستانى هى بعينها تلك التى يوردها ابن الراوندى. فعبارة الشهرستانى الأولى ، تلك التى يوردها الطوسى وابن الجوزى بصيغة مشابهة ، تناظر بالضبط ما هو مذكور فى القطعة رقم ٣ من كتاب «الزمرذ» . وهنالك أيضاً يتحدث ابن الراوندى عن ضرورة معرفة نعم الله (الشهرستانى العبارة رقم ٢) ، بينما يوضح إنكار الأوامر الدينية الإسلامية (عبارة الشهرستانى رقم ٣) بنفس الأمثلة التى ذكرها ابن الراوندى فى القطعة رقم ٥ أما الطعن فى المعجزات ورفع شأن المنجم (الشهرستانى : العبارة

رقم ٤ فى نهايتها) ، فكتاب ابن الراوندى مملوء بذلك (انظر بخاصة القطعة رقم ١٧) . وفى القطعة رقم ١٦ ، يشير ابن الراوندى ، على الأقل جزئياً إلى القول بأن الأنبياء ليسوا إلا بشراً وعلى ذلك لا يمتازون على بقية الناس فى شيء (الشهرستانى ، ابتداء العبارة الرابعة) [١]. وقلما يُشك فى أن أقوال الشهرستانى ترجع على الأقل عن طريق غير مباشر إلى مذهب البراهمة المفصل فى كتاب « الزمرذ » .

وفى كتاب « تلبيس إبليس » لابن الجوزى ما يؤيد ما ذهبنا إليه[٢] : فهناك ست شبهات على الأديان المنزلة تذكر على لسان البراهمة دون أن يكون هناك جديد على ما يقوله الشهرستانى[٣] .

---

(١) قارن أيضاً اتفاقهم فى المصطلحات وبخاصة فى « مغيبات الأمور » (شهرستانى : ص ٤٤٦ س ٨) .

(٢) أدين بالإشارة إلى هذا الموضع للاستاذ هـ . هـ . شيدر .

(٣) أقوال البراهمة كما يذكرها ابن الجوزى هى : « قال المصنف : وقد ألقى إبليس إلى البراهمة ست شبهات :

(الشبهة الأولى) : استبعاد اطلاع بعضهم على ما خفى عن بعض فقالوا : « ما هذا إلا بشر مثلكم » ، والمعنى ، وكيف اطلع على ما خفى عنكم ؟

(الشبهة الثانية) : قالوا : هلا أرسل ملكا ؟ فإن الملائكة إليه أقرب ومن الشك فيهم أبعد ، والآدميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع هذا شكا ؛

(الشبهة الثالثة) : قالوا : نرى ما تدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى إليهم من الوحى يظهر جنسه على الكهنة والسحرة . فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح والفاسد .

(الشبهة الرابعة) : قالوا : لا يخلو إلا أن تجىء الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه . فإن جاءوا بما يخالفه ، لم يُقبل ، وإن جاءوا بما يوافقه فالعقل يغنى عنه .

(الشبهة الخامسة) : قالوا : قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل ، فكيف يجوز أن تكون صحيحة ؟ من ذلك إيلام الحيوان .

(الشبهة السادسة) : قالوا : ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب .

ورواية ابن الجوزى تختلف عن رواية الشهرستانى اختلافاً شكليا فحسب ، إذا ما استثنينا أن الشهرستانى أكثر تفصيلا وأنه يبدو فى نقله معتمداً على مصادر أقدم . هذا الاختلاف الشكلى ينحصر فى أن ابن الجوزى يرد على أقوال البراهمة بردود طويلة بينما لا نجد من ذلك شيئاً عند الشهرستانى . وعلى الرغم من هذا كله فلعل الشهرستانى قد عرف مثل هذه الردود ، ولكنه تركها . إذ أنه بعد ذكره لبراهين البراهمة الأربعة أورد فقرة فيها يدافع أنبياء الأديان المنزلة عن أديانهم وفيها يجيبون بخاصة على البرهان الأخير . أفليس لنا أن نزعم أن الشهرستانى قد استقى آراءه عن البراهمة من مؤلف فيه الرد على هذه الآراء بطريقة مشابهة لما هو لدى ابن الجوزى ؟ أما أن الشهرستانى لا يورد مصدره بتمامه وإنما يقدم لنا ملخصاً عنه ، فذلك يتضح من كلمة : « رسلهم » (ص ٤٤٦ س ٨) التى هى هنا معلقة فى الهواء[١] .

وهذا عينه يقال فى فصل ابن الجوزى عن البراهمة . فهو يدل دلالة واضحة على أنه مأخوذ من كتاب قديم اعتمد بدوره فى عرضه لمذهب البراهمة على ابن الراوندى بطريق غير مباشر على الأقل . وأهم مصدر لكتاب « تلبيس إبليس » أبو الوفاء على بن عقيل[٢] (المتوفى سنة ٥١٣) ، الذى يذكر مراراً بهذا الكتاب . ولكن تتلو شبهات البراهمة الستّ والردّ عليها فقرة تبتدئ بقوله : « قال أبو الوفاء على بن عقيل » . لذا يميل المرء إلى الاعتقاد

(١) ومما هو جدير بالملاحظة أن الآية : ما هذا إلا بشر مثلكم (سورة ٢٣ آية ٣٤) توجد لدى ابن الجوزى فى براهين البراهمة ، بينما الشهرستانى يذكرها فى الدفاع عن الأنبياء بشكل مغاير بعض الشيء .

(٢) انظر هـ . رتر ، مجلة « الإسلام » المجلد التاسع عشر (سنة ١٩٣٠) ص ١٠ تعليق رقم ٣ .

بأن فصل البراهمة كله لنفس المؤلف السابق الذكر فى الوقت الذى فيه يحيط بكلتا القطعتين (فصل البراهمة والجزء الذى يليه مباشرة) اقتباسان كبيران من النوبختى متعلقان بالبراهمة «الحقيقيين» . فكأن رواية النوبختى[1] المتحدة قد فصمت عراها القطعة التى توسطت بينها ، والتى وجدنا من قبل أنها تكوِّن وَحْدة .

والجزء المروى عن ابن عقيل هو فى محتواه تال لقطعة البراهمة . إذ فيه يتحدث عن الملاحدة الذين يجحدون الأنبياء ويضعونهم فى صف السحرة والمخرقين . وإلا فإن هذا الجزء خارج عن تأليف كتاب «تلبيس إبليس» . ولو أن الخصم اللدود لابن الجوزى فى هذا الكتاب هم حقاً الصوفية ، فإن الرد الوافى عليهم يبتدئ أولا ص ١٩٥ . والفصل السابق يتعلق بالمذاهب الباطلة للطوائف المختلفة من السوفسطائيين والفلاسفة والدهريين والثنوية وعبدة الأوثان والنار وجاحدى النبوات (أى البراهمة) واليهود والنصارى والصابئة والمجوس والفرق الإسلامية الخ . فليس فى هذا الجزء الأول من الكتاب موضع يتحدث فيه عن الصوفية . ولا يشذ عن هذا إلا الجزء المروىّ عن ابن عقيل ، والذى ذكرناه آنفاً أما فى الجزء الثانى فيتحدث عن الصوفية الذين يجسرون على مساواة كرامات الصوفية بمعجزات الرسل ، وما كان لهذه الحقيقة أن تسترعى النظر إذا لم تكن متلائمة مع سياق النص فيما بعد .

وفى ص ٣٨٩ يتكلم كتاب « تلبيس إبليس » عن طائفة من الصوفية

---

(١) « تلبيس إبليس » ص ٦٩ ؛ ص ٧٤ وما يتلوها ؛ وفى هذا الموضع الأخير لا يذكر النوبختى بوصفه مؤلفا إلا فى النهاية (ص ٧٥ س ٢) ولكن بمقارنته مع المسعودى فى مروج الذهب ج ١ ص١٥٦ (الذى أشار إليه رتر فى مقدمته لكتاب فرق الشيعة ص XVII) يتضح أن هذا الموضع كله مأخوذ عن النوبختى .

تجحد النبوة ، ويلى ذلك كلام طويل عن هؤلاء الصوفية الذين يتهمون سلطان الأوامر والنواهى الدينية وعنها ينحرفون . وأقوالهم مشروحة فى شبهات ست يُرَدُّ عليها فى تفصيل . وعند نهاية هـذا الجزء (أسفل ص ٣٩٥) يروى من جديد عن ابن عقيل . ولا يعنينا محتوى هذه القطعة فى هذا المقام . وعلى هذا فاتفاق هذا الفصل فى التأليف مع الفصل عن البراهمة (ص ٧٠ وما يليها) حتى فى التفاصيل لا يدع مجالا للشك فى أن هذين الجزئين متصلان بعضهما ببعض . وابن عقيل الذى يجب علينا أن نَعُدَّه فى يقين المصدرَ العام لما كتبه ابن الجوزى يذكر البراهمة كنظير لمن تحدث عنهم من الصوفية الإباحية الذين يجحدون النبوة . إذ قد رُوِى عن البراهمة شىء من هذا القبيل[١] .

وصلنا إذاً فى شىء من التحايل إلى تأييد ما ذهبنا إليه ، من أن فصل ابن الجوزى عن البراهمة يرجع إلى ابن عقيل . وعلينا الآن أن نمعن النظر فى الجزء التالى لفصل البراهمة ، وهو المروىُّ عن ابن عقيل (ص ٧٢) . فى السطر الثالث مباشرة لا يعترضنا إلا اسم « ابن الراوندى ومن شاكله كأبى العلاء »[٢] ، بوصفه أكبر ممثل لجاحدى النبوة . وليس من شك فى أن أبا العلاء المذكور هو أبو العلاء المعرى . وقرن اسم أبى العلاء هنا باسم ابن الراوندى يدل دلالة واضحة على الأسباب التى من أجلها ذكر ابن الراوندى هناك . ولقد كان المعرى فى حياته متهما بتشيعه للمذاهب الهندية[٣] . إذاً

(١) لعل البيرونى أول من قارن المذاهب الصوفية بالمذاهب الهندية ؛ انظر كتاب الهند للبيرونى ، فى الفهرست تحت كلمة التصوف Sufism .

(٢) انظر كذلك « تلبيس إبليس » ص ١١٨ حيث يذكر ابن الراوندى والمعرى سويا . .

(٣) انظر بعدُ ص ٢٤٨ تعليق رقم ٤ وخصوصا الموضع الموجود لدى الذهبى .

فذكر ابن الراوندى فى هــذا المقام يدل على أن بن عقيل كانت لديه ذكرى غامضة على الأقل لما هو معروف من أن ذكر البراهمة بوصفهم منكرى النبوة إنما يرجع إلى ابن الراوندى . ولقد أخذ ابن عقيل كالشهرستانى من قبل (هو وغيره) آراء البراهمة كما هى مشروحة فى كتاب الزمرذ على أنها صحيحة ، واعتقد أن ابن الراوندى كان يقول بها مادام قد عرضها ودافع عنها[١]

ويتفق مع هذا بالدقة ذكر ابن الجوزى فى كتابه «المنتظم فى التاريخ»[٢] اسمَ ابن عقيل كراوية عن كتاب «الزمرذ» . وسنبحث بعدُ عن أى طريق وصل كتاب «الزمرذ» إلى ابن عقيل . ويكفى هنا أن نقول إن ابن عقيل عرف كتاب «الزمرذ» حقيقةً ، وعنه أخذ من أقوال البراهمة .

غير أن نص كتاب « تلبيس إبليس » يثير مسألتين أيضا :

١ — هل أقوال البراهمة هنا مأخوذة بنصها عن كتاب «الزمرذ» أم أن ابن عقيل أورد معنى أقوال البراهمة تقريباً فى اختصار شديد ؟

٢ — هل الرد المفصل على الشبهة السادسة من شبه البراهمة لابن عقيل نفسه أم أخذه عن مؤلف قديم ؟

أما عن السؤال الأول فالجواب سهل . فمقارنة قصيرة بنص الشهرستانى تدل على أن ابن عقيل أوجز أقوال البراهمة إيجازا شديداً نازعاً منها قبل كل شىء تلك الصبغة الجدلية المضادة للاسلام . ويدل على هذا

---

(١) قارن الـكلمات الأولى من هذا الجزء : «صبئت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والامتثال لأوامرها ، كابن الراوندى ومن شاكله كأبى العلاء » .

(٢) مجلة «الإسلام» ، المجلد التاسع عشر (سنة ١٩٣٠) ص ٣ س ٩ - انظر القطعة رقم ٢١ .

الاتجاه دلالة واضحة العبارة رقم ٥ المتعلقة بأوامر الدين المنافية للعقل . وفى الموضع المناظر (العبارة الثالثة) لدى الشهرستانى يورد المؤلف كأمثلة على ذلك مجموعة من الأوامر الدينية الإسلامية تنافى العقل على حسب مذهب البراهمة . ويتفق هذا الإحصاء فى تفاصيله مع نص ابن الراوندى (القطعة رقم ٣) . أما ابن عقيل فقد أهمل ذكر الأمثلة وأورد مكانها[١] عنصرا يتلاءم كثيرا مع ما يعرفه عن مذهب البراهمة ، فهم يطعنون فيما أمرت به الأديان من إيلام الحيوان . ومن المؤكد أن عبارة « إيلام الحيوان» ليست مأخوذة عن ابن الراوندى . ولكنها من طابع أبى العلاء المعرى الذى يذكره ابن عقيل كملحد بجانب ابن الراوندى . ولقد قال المعرى عن نفسه فى مكاتباته مع داعى الدعاة الفاطمى ، المؤيد فى الدين[٢] ، التى طبعها مرجوليوث[٣] ، وفى قصائد عدة إنه نباتى ، وإنه يحرم أكل اللحم وقتل الحيوان عامة . والناس يرجعون هذا التفكير إلى ما كان للمعرى من ميل إلى المذاهب الهندية[٤] . وتعبيره الخاص عن هذا المبدأ الذى ينكره هو :

---

(١) ولهذا فإن عبارة : « من ذلك إيلام الحيوان » تظهر أنها مضافة من ناحية النظم .

(٢) هذا هو بعينه مؤلف « مجالسنا » هذه ؛ ونص هذه المكاتبات محفوظ فى المجالس ، كما أشرنا إلى ذلك آنفا .

(٣) « مجلة الجمعية الأسيوية الملكية» سنة ١٩٠٢ — ٣٣٢ ، والنص مأخوذ عن ياقوت ، «إرشاد الأريب» جـ ١ ص ١٩٤ وما يليها ؛ انظر بعد ص ١٥٩ تعليق ٣ .

(٤) انظر فيما يتعلق بالمسألة برمتها : ر . ا . نكلسون ، « دراسات فى الشعر العربى» ص١٣٦ وما يليها . ومن بين المؤلفين الإسلاميين انظر على الخصوص : الذهبى فى ترجمته للمعرى فى كتابه « تاريخ الإسلام » (طبعها ر . س . مرجوليوث فى كتابه رسائل المعرى (*Anecdota oxoniensia*, Semitic Series, Part X, Oxford. 1898) حيث يقول ص١٣٣ س٢٦ ومابعده : « من عجيب رأى أبى العلاء تركه تناول كل مأكول لا تنبته الأرض شفقة بزعمه على الحيوانات حتى نسب إلى التبرم ، وأنه يرى رأى =

« إيلام الحيوان » . وهو تعبير يصادفنا كثيرا فى رسائله[١] وقد اتخذه ابن عقيل متذكرا أبا العلاء .

وهذا العنصر نفسه يظهر فى رده على هذه المسألة (أسفل ص ٧١) التى تتعلق بأمر الدين بقتل الحيوان وأكل لحمه فحسب[٢] . ومن هذا كله نستطيع أن نقول إن كل الردود على مقالات البراهمة هو لابن عقيل وأن نجيب بهذا المعنى على المسألتين الموضوعتين آنفاً .

ولكننا إذا أمعنا النظر أكثر فى هذه الأجزاء المختلفة وصلنا إلى نتيجة أخرى هى أن ابن عقيل كانت لديه صورة للرد تصرف فيها بحرية لا تقل عن حريته مع أقوال البراهمة نفسها[٣]

═ البراهمة فى إثبات الصانع وإنكار الرسل وتحريم الحيوانات وإيذائها حتى الحيات والعقارب » ؛ انظر كذلك مرجوليوث ، نفس الكتاب ص XXXVI ؛ ل . ماسينيون : « رسالة فى أصل المعجم » *Essai* ص ٦ ؛ ومن الصعب أن نقطع برأى فى مسألة مقدار صحة هذا القول . أما المعرى نفسه فيقول فى رسائله إلى داعى الدعاة إنه امتنع عن أكل اللحم منذ ثلاثين سنة من حياته لا لأسباب فلسفية أو دينية بل لأسباب صحية . ومن المؤكد أنه قابل فى أثناء مقامه ببغداد أناساً امتنعوا عن أكل اللحم ، وليس المرء أن يرجع فى ذلك إلى تأثير هندى . ومن المعروف عن المانوية أنهم لم يكونوا يتغذون إلا بالنبات وأكبر شاهد على هذا أتباعها الذين عاشوا ببغداد . انظر الخياط ، كتاب « الانتصار » ص ١٥٥ س ١٤ ؛ الجاحظ ، « الرد على النصارى » (طبعة فنكل ، « ثلاث رسائل » للجاحظ) ص ٢٠ س ١٠ — وفيما يتعلق بالنباتية المؤسسة على أساس فلسفى مع مذهب التناسخ انظر « رسائل إخوان الصفا » (طبعة بمباى) الجزء الثالث ص ١٣٠ — انظر أيضاً لوى ماسينيون ، نفس الكتاب ص ٤٣ .

(١) « مجلة الجمعية الأسيوية الملكية » سنة ١٩٠٢ ص ٢٩٧ س ١٣ ؛ ص ٣٠١ س ٤ — كذلك الذهبى ، نفس الكتاب ص ١٣٠ س ٥ ؛ نفس المؤلف نقلا عن القفطى : نفس الكتاب ص ١٣٠ س ٢٦ وما يليه .

(٢) تأمل خصوصا ابتداء كلامه : « والجواب : أن العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض ، فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض الخ » .

(٣) أما أن ابن الجوزى قد اعتدى على النص فذلك ظاهر من قوله (ص ٧٢ ═

وليس من المحتمل أولاً وبالذات أن يكون لدى مؤلف متأخر كابن عقيل نصُّ كتاب «الزمرذ» . وسنبين[1] فيما بعد أنه منذ منتصف القرن الرابع لم يكن يُقرَأ غير كتب خصوم ابن الراوندى المسلمين ، وخصوصاً المعتزلة منهم ؛ تلك الكتب التى فيها يرد على كتبه التى تستعمل أيضاً لعرض مذهبه ، وابن الجوزى فى كتابه «المنتظم فى التاريخ»[2] يذكر لنا أن كتاب «الزمرذ» قد رد عليه أبو الحسين الخياط وأبو على الجبائى (المتوفى سنة ٣٠٣) . وكتاب الجبائى هو المصدر لما هو مروىٌّ عن كتاب « الزمرذ »[3] فى هذا الكتاب اعتماداً على ابن عقيل الذى يتفق مع كتاب الجبائى فى معنى تسمية كتاب « الزمرذ » بهذا الاسم وإليه يرجع فى كل اقتباساته من كتاب « الزمرذ »[4] .

ومن هنا يتبين أن ابن عقيل أخذ أقوال البراهمة عن كتاب الجبائى ، وكذلك أخذ جزءاً من ردوده التى يمكن إرجاع الكثير منها إلى مذهب المعتزلة . ومع هذا فيجب على المرء أن يكون حذراً فى حكمه ما دام تفكير المعتزلة ومصطلحهم سادا كل كتب الكلام المتأخرة ، ولهذا فإن هذا الفرض سابق لأوانه إلى أن يقوم عليه الدليل القاطع .

غير أنا نستطيع سوق هذا الدليل ، ففى كتاب « المنتظم » اقتباس من كتاب « الزمرذ » يكاد يتفق فى محتواه مع قول من أقوال البراهمة فى « تلبيس إبليس » . إذ يتفق رد الجبائى على العبارة : « إن الأنبياء وقعوا بكلمات

= س ١٣) إنه قد مضى على ظهور الرسول ٦٠٠ سنة تقريبا . ولقد توفى ابن الجوزى سنة ٥٩٧ ، بينما توفى ابن عقيل سنة ٥١٣ .

(١) انظر بعد ص ١٦١ وما يليها .

(٢) مجلة « الإسلام » المجلد التاسع عشر (سنة ١٩٣٠) ص ٣ س ٤ .

(٣) المجلة السابقة ص ٣ س ٩ .

(٤) سنبين هذا بعد .

بجذب كما أن المغناطيس يجذب » (قطعة رقم ٢٣) ، الوارد فى كتاب المنتظم ؛ أقول يتفق فى كلماته الأولى مع الرد على الشبهة السادسة من شبه البراهمة ، المتعلقة بأعمال الأنبياء السحرية :

منتظم ص ٤ س ١١ وما يليه :

وهذا كلام ينبغى أن يستحي من ذكره : فإن العقاقير قد عرفت أمورها وجربت ، فكيف وقع هؤلاء الأنبياء بما خفى عن من انظر منهم ؟ !

تلبيس ابليس ص ٧٢ س ٨ :

والجواب : إن هذا كلام ينبغى أن يستحي من إيراده ، فإنه لم يبق شيء من العقاقير والأحجار إلا وقد وضحت خواصها وبان سترها . فلو ظفر واحد منهم بشيء وأظهر خاصيته ، لوقع الإنكار من العلماء بتلك الخواص ، وقالوا ليس هذا منك ، إنما هذه خاصية فى هذا .

ولنرجع بعد هذا الاستطراد فى بحث الأمور الشاقة المتصلة بمصادر فصل البراهمة بكتاب «تلبيس إبليس» ، إلى موضوع هذا الفصل ألا وهو حياة براهمة كتاب «الزمرذ» فى الكتب الإسلامية المتأخرة . وإلى الآن لم يكن المؤلفون الذين ذكرناهم آنفا يذكرون على الخصوص إلا أقوال البراهمة فى منافاة النبوة للعقل وفى خلو شعائر الإسلام من المعنى . غير أن المؤلفين المتأخرين قد أخذوا نقد البراهمة لمعجزات النبي الذى ذكره ابن الراوندى فى كتابه وعدّوه صحيحاً لاشك فى أنه لهم (القطع رقم ٧ ، ٨ ، ١١) . ففي الفصل الأول من كتاب « كمال الدين وإتمام النعمة فى إثبات الغيبة وكشف الحيرة » للمتكلم الإمام أبى جعفر محمد بن على بن بابويه[١] (المتوفى

(١) انظر بروكلمان : جـ ١ ص ١٨٧ .

سنة ٣٨١) يرد المؤلف على هجمات الفرق الإسلامية والزيدية خاصة ضد مذهب غيبة الأئمة الاثنى عشر . وفى موضع منه يقارن المؤلفُ الخصمَ الذى يشك فى معجزة الغيبة ، بالبراهمة الذين ينكرون جميعاً معجزات الأنبياء وهأنذا أورد النص تبعاً للنسخة المطبوعة طبع حجر (سنة ١٣٠١ هـ) ص ٤٩ وما يليها :

« قال مخالفونا : إن العادات والمشاهدات تدفع قولكم بالغيبة . فقلت : إن البراهمة تقدر أن تقول مثل ذلك فى آيات النبى صلى الله عليه وآله ، وتقول للمسلمين : إنكم بأجمعكم لم تشاهدوها ، فلعلكم قلّدتم مَن لم يجب تقليده ، أو قبلتم خبراً لم يقطع العذر . ومن أجل هذه المعارضة ، قالت عامة المعتزلة على ما يحكى عنهم : إنه لم تكن للرسول صلى الله عليه وآله معجزة غير القرآن . فأما من اعترف بصحة الآيات التى هى غير القرآن احتاج إلى أن يُطلق الكلام فى جواز كونها ، بوصف الله تعالى ذكرهُ بالقدرة عليها ثم فى صحة وجود كونها على أمور قد وقعنا عليهـا ، وهى غير كثيرة الرواة . فقالت الأمامية : فارضَوا منا مثل ذلك ؛ وهو أن نصحّح هذه الأخبارَ التى تفردنا بنقلها عن أئمتنا عليهم السلام بأن تدل على جواز كونها بوصف الله تعالى ذكرهُ بالقدرة عليها وصحّة كونها بالأدلة العقلية والكتابية والأخبار المروية المقبولة عند نقلة العامة » . ثم قال بعد ذلك :

« قال الجدلى : فنقول إنه ليس بإزائنا جماعة تروى عن نبينا صلى الله عليه وآله ضد ما نروى مما يبطله ويناقضه . أو تدّعون أن أوّلنا ليس آخرنا فيقال له : ما أنكرتَ مِن برهمىٍّ قال لك إن العادات والمشاهدات والطبيعات تمنع أن يتكلم ذراع مسموم مشوىّ وتمنع من انشقاق القمر وإنه لو انشق وانفلق (ص ٥٠) لبطل نظام العالم . وأما قوله ليس بإزائهم

من يدفع أن أوّلنا ليس كآخرنا فإنه يقال له الخ » .

ومن الواضح أن ابن بابويه يرجع هنا فى شىء من التصرف إلى مذهب البراهمة كما هو وارد فى كتاب « الزمرذ »[١] . ولعله حينما يذكر المعتزلة وأنهم لا يعترفون بمعجزة أخرى غير القرآن ، « على ما يُحكى عنهم » ، إنما يعنى دفاع خصوم البراهمة فى كتاب «الزمرذ»[٢] ، ذلك الدفاع الهزيل .

ومن الشيق أن نجد إحالات إلى براهمة كتاب «الزمرذ» خارج الكتب الإسلامية ، فى كتب اليهود العرب . وقد أشار فرانتس دِلِتْش Frnnz Delitzsch فى تعليقه على طبعة كتاب « عص خوس» لآرون بن إليا القرّائى (ألف سنه ١٣٤٦ م)[٣] إلى طائفة من هذه المواضع . وهناك مسألة لها أهميتها وخطرها وهى أن سعديه جاؤن المتكلم الفيلسوف اليهودى قد تحدث عن البراهمة فى أشهر كتبه المكتوب بالعربية وهو كتاب «الأمانات والاعتقادات»[٤] . فهو حينما يقول فى ص ١١٨ س ١٣ وما بعده : « لأنى سمعت بأن قوما يقولون : ليس بالناس حاجة إلى رسل وعقولهم تكفيهم أن يهتدوا بما فيها من الحَسَن والقبيح » ، إنما يقصد الإشارة إلى مذهب

(١) لعل المصدر الوسيط هو كتاب « فساد قول البراهمة » لأبى القاسم على بن أحمد الكوفى الرافضى (المتوفى سنة ٣٥٢) ؛ قارن ، استرابادى ، « منهج المقال » (طهران سنة ١٣٠٢) ص ٢٢٥ ؛ النجاشى : « كتاب الرجال » ص ١٨٩ (قدمه إلىَّ الأستاذ ماسينيون) .

(٢) انظر قبل ص ١١٤ .

(٣) ليبتسك سنة ١٨٤١ ص ٣٠٧ . وهو يتحدث عن البراهمة ص ١٠٦ .

(٤) طبع س . لانداوَر ، ليدن سنة ١٨٨٠ . - وقد طبعت ترجمة يهودا بن طبون العبرية مراراً (انظر : هـ . مالتر Malter ، سعديه جاون ، حياته ومؤلفاته ، فلادلفيا سنة ١٩٢١ ص ٣٧٠ وما يليها) — وأنا أستخدم طبعة إسرائيل هاليفى ، يوزيفوف سنة ١٨٨٥ .

البراهمة ، كما لاحظ من قبل جوتمان محيلا إلى الشهرستانى[1] . وهو يذكرهم صراحة (ص ١٣٩) بمناسبة مهاجمته لمذهب « نسخ الشريعة » الإسلامى . وبعد أن يذكر سعديه طائفة من المذاهب ، اليهودية أيضا ، التى تقول بإمكان نسخ شريعة التوراة ، يقول : « ورأيت منهم من يقول : « إن قالت البراهمة إنا نقلنا عن آدم الأمرَ بلباس ملحم من صوف وكتّان وبأكل المضيرة من لحم ولبن وبضمد الثور والحمار ، فليس لكم أن تنقلوا خبر رسول يحظرها لأن آدم قال لنا إنها لاتنسخ » . وهذه ، أرشدك الله ، دعاوى لا أصل لها ، وإنما هم الذين ادعوها للبراهمة . وإنما يدعون للبراهمة إباحة هذه الأشياء فقط ؛ ونحن أيضاً مقرون بإباحتها حيث كانت وتقريب حظرها فى العقول إذا كان الإنسان يجوز يمتنع منها من تلقاء نفسه لنفع يلحقه . ولو ذهب برهمى أن يدّعى مستأنفا ما ادعوه له لم يسغ له ذلك ، لأن الناقل إنما يقول فى كل يوم كمثل ما قاله به فى أمسه وليس هو مثل المرتئى الذى يجوز له أن يقرأ : انكشف لى اليوم ما لم أقف عليه بالأمس » .

وليس لنا طبعاً أن نستنتج من هذا النص أن براهمةَ كتاب « الزمرذ » كانوا يقولون بمذهب النسخ هذا . وسعديه نفسه يقول بعد أن ذكر أن خصوم اليهودية هم الذين وضعوا هذا المذهب على لسان البراهمة ، الذين اشتهروا منذ مؤلَّف ابن الراوندى بجاحدى النبوات ، أقول إن سعديا يذكر فى صراحة أنه بصدد حجة اخترعت من أجل نصرة مذهبهم . ومع هذا فقد كان كتاب « الزمرذ » موجهاً أولا وبالذات ضد عقائد الإسلام ولم يكن من داع لابن الراوندى لتأييد مذهب المسلمين فى نسخ الشريعة ببراهين جديدة ،

---

(١) يعقوب جوتمان : « فلسفة الدين عند سعديه » ، جيتنمن سنة ١٨٨٢ ، ص ١٤٠ J. Guttmann : *Die Religionsphilosophie des Saadia*

والأرجح أنه هاجم هذا المذهب بعينه . يؤيد ذلك ما ذكره اليافعى[١] من أن ابن الراوندى دافع عن مذهب اليهود فى عدم إمكان نسخ الشريعة ضد مذهب المسلمين فى نسخها . وعلى الرغم من هذا كله فإن فقرة سعديه ذات أهمية كبرى فيما يتعلق بحياه براهمة كتاب «الزمرذ» من بعده . إذ تريننا كيف اعتقد الناس فى خرافة ابن الراوندى عن البراهمة وكيف توسع الناس فى مذهب البراهمة المزعوم[٢] .

وليس من شك فى أن ابن الراوندى ، حينما يدع البراهمة يطعنون فى الأديان المنزلة إنما يخفى تحت هذا القناع عقيدته الخاصة . غير أن هذا لا يفسر لنا اختيار ابن الراوندى للبراهمة كممثلين للعقليين وأحرار الفكر . أهو يمزج بهذا الذى يقوله عنهم أمشاجاً من معرفته لبعض المدارس الفلسفية الهندية ، أم هو تبع سُنَّةً قديمة تضع على لسان حكماء الهند أقوالا مثل هاتيك ؟ هنا يلاحظ الأستاذ شيدر أن المسألة هنا مسألة أدبية ترجع إلى

---

(١) انظر بعد ص ١٧٧ تعليق ٨ عند نهاية التعليق . وتبعاً لهذا الموضع فإن ابن الراوندى قد « لقن اليهود الاحتجاج على عدم جواز النسخ ... بأن قال لهم : قولوا إن موسى عليه السلام أمرنا أن نتمسك بالسبت ما دامت السموات والأرض ولا يجوز أن يأمر الأنبياء إلا بما هو حق » . ومن الشيق أن هذا البرهان بعينه نجده لدى سعديه (ص ١٢٨ وما بعدها ، ص ١٣١) — انظر كذلك أجناتس جولدتسيهر ، « شريعة السبت فى الإسلام » ، فى : « كتاب لذكرى داڤد كوفمان (برسلاو سنة ١٩٠٠) ص ٩٩ وما يليها .

(٢) لا أنسى أن أؤكد مقدار الثمرة التى نجنيها من مقارنة كتاب سعديا بالكتب الإسلامية . ولقد اقتصر جوتمان فى كتابه المذكور آنفا على الشهرستانى فى ترجمة هاربريكر . وما نعثر من نصوص فى العشر سنوات الأخيرة يعين كثيراً على البحث فى مصادر سعديا الإسلامية . ولقد كتب مقالة فى هذا الباب منذ زمن قصير ج . ڤايدا وعنوان هذه المقالة هو : « مصدر عربى لسعديا ، كتاب الزهرة لأبى بكر بن داود » (« مجلة الدراسات اليهودية » REJ ، المجلد الثانى والتسعون سنة ١٩٣٢ ص ١٤٧ وما يليها) .

العصور الأولى للهلّينية . وأقدم شاهد على هذا محاورة الإسكندر مع زهاد الهند العراة المعروفين باسم جمنوسوفسط والمذاهب التي تمثلها هنا حكماء الهند لاشأن لها بالواقع لدى الهنود وإنما مصدرها تبعاً للأستاذ ڤلكن تهكم الكلبيين اللاذع[١] . ولقد كان فلاسفة الهند يُعَدُّون فى الإسلام تحت اسم السُّمَنية (والأصح : السَّمَنية = Σαμαναῖοι) كممثلين للشك المليني ضد المعتزلة[٢] . ومع هذا أرى أن البراهمة لا يذكرون فى هذا المقام فيما خلا الكتب المتأخرة التي اعتمدت على ابن الراوندى . فلعل ابن

---

(١) انظر ى . ڤلكن S. U. Wilcken : الإسكندر الأكبر وسفسطائية الهنود ، في : محاضر جلسات الأكاديمية البروسية للعلوم (Phil. Hist. Kl., 1923, XXIII, 150 f) والأستاذ هـ . هـ . شيدر سيتحدث بتفصيل عن هذه المسألة فى مقالته : السمنية فى الكتب المتقدمة الإسلامية والمسيحية (تظهر فى مجلة ZNTW) .

(٢) انظر توماس أرنولد ، المعتزلة (ليبتك سنة ١٩٠٢) ص ٢١ و ص ٣١ — ٣٣ ؛ فيما يتعلق بالسُّمَنى جرير بن حازم الأزدى ، انظر لوى ماسينيون ، «رسالة فى أصل المعجم الفنى للتصوف الإسلامى» ص ٦٥ — أما أنا بصدد سنة قديمة نسبيا ، فذلك يتضح من كتاب . الهليلجة (أو الاهليلجة) عن أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق (مطبوع فى كتاب «بحار الأنوار» المجلسى — طبع حجر بطهران سنة ١٣٠١ — ج ٢ ص ٤٧ — ٦٢) . وقد ذكر هذا الكتاب ابن النديم («الفهرست» ص ٣١٧ س ٢٦) وألفه فى زعم النجاشى (كتاب الرجال ، بمباى سنة ١٣١٧ ص ١٠٠) [انظر كنتورى : «كشف الحجوب» ، دار الكتب الهندية بكلكتا سنة ١٩١٤ ص ٤٣٠] حمدان بن معاف (المتوفى سنة ٢٦٥) . فى هذا الكتاب يذكر كخصم لجعفر «طبيب من بلاد الهند» . وفى مخطوطة لكتاب الأهليلجة المذكور فى حوزة الأستاذ ج . س . كولن ، فيها يذكر النص باختصار شديد ، يذكر : «طبيب من سمنية الهند» ؛ ومن المؤكد أن هذا هو الأصل — انظر كذلك ماكس هورتن : «شك السمنية تبعاً للرازى» فى مجلة : «محفوظات فى تاريخ الفلسفة» ، المجلد الرابع والعشرون ص ١٥١ وما بعدها ؛ أما كتاب جولدتسيهر *A buddhismus Hatasa az iszlamra* (بودابست سنة ١٩٠٢) [قارن ب . هلر ، فهرست كتب اجناتس جولدتسيهر ، باريس سنة ١٩٢٧ ، رقم ٢٤٢] فلم أستطع الوقوف عليه .

الراوندى استعاض عن السمنية بأختها البراهمة لأن المبدأ الذى اعتمد عليه فى طعنه العقلى على الأديان ، وهو العقل الإنسانى ، لا يتفق ومذهب السمنية الشكي الحسّي

وليس لهذه المسألة بالنسبة إلى ما نحن بصدده إلا أهمية ثانوية . والمهم حقاً هو أن الروايات التى نجدها لدى المؤلفين الإسلاميين عن البراهمة بحسبانهم منكرى النبوة ، إنما ترجع إلى كتاب « الزمرذ » لابن الراوندى[1] . وعلى الأقل كان ردُّ الجبائى الوسيط لأقوال ابن الجوزى (ابن عقيل) . وهذا بعينه ينطبق على المؤلفين الآخرين[2]

٨ — تأريخ الرد

لم نحاول حتى الآن أن نصفَ الكتاب الذى فيه حُفِظَتْ لنا قطعٌ من كتاب «الزمرذ» وصفاً شاملا . أما اسم المؤلف فلا يذكر ، وإنما يقتصر المؤيد فى الدين الشيرازى على ذكر أنه داع إسماعيلى (أحد دعاتنا)[3] ولعل

---

(١) لا يحق لنا أن نندهش لاستخدام كتاب « الزمرذ » كمصدر لآراء البراهمة دون إمعان كبير . فإن الكتاب من أهل السنة قد اعتمدوا فى عرضهم لأخطاء المعتزلة على كتاب « فضيحة المعتزلة » لابن الراوندى ، وعلى العكس من هذا يجب علينا أن نذكر أن المؤلف الإسماعيلى للرد قد أدرك اختراع ابن الراوندى (قطعة رقم ١٤) .

(٢) يذهب البغدادى (« الفرق » ص ١١٤) إلى حد القول بأن النظام قد تأثر بمذهب البراهمة فى إبطال النبوات ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفاً من السيف . فأنكر إعجاز القرآن وأنكر ما روى فى معجزات نبينا صلم من انشقاق القمر وتسبيح الحصى فى يده ونبوع الماء من بين أصابعه ليتوصل بإنكار معجزات نبينا عليه السلام إلى إنكار نبوته . انظر كذلك « الفرق » ص ٢٢٤ ؛ وبخاصة تور أندريه : « شخصية محمد » ص ١٠٨ — وفى موضع آخر (الفرق ص ٣٤٨) يقول البغدادى إن الشافعيين حرموا الزواج من البراهمة بحسبانهم منكرى الأنبياء .

(٣) ص ٧٩ س ١٢ .

طريقة مؤيد فى التأليف تدل على أن هذا الكتاب من تأليفه هو . وهو يقول عن نفسه فى ديوانه :

رَضِيتُ التَّسَتُّرَ لى مذهباً وما أَبْتَغى عنه من مَعْدِلِ[(١)]

وفى « مجالسه » بالقاهرة أدخل كثيراً من الكتب على النحو الذى أدخل فيها الرد على كتاب «الزمرذ»[(٢)] . ولا يذكر لهذه الكتب مؤلفا إلا باسم « أحد دعاتنا » أو « بعض دعاتنا فى الشرق » . ومن الراجح أن مؤيداً إنما يقرأ على سامعيه كتباً ألفها أثناء قيامه من قبل بالدعوة فى بلاد

---

(١) انظر حسين الهمدانى ، « تاريخ الدعوة الإسماعيلية وأدبها خلال العهد الأخير من الدولة الفاطمية » ، مجلة الجمعية الأسيوية الملكية سنة ١٩٣٢ ص ١٣٤ .

(٢) هنا أورد تقديماته لهذه الكتب :

ا — المجلد الثالث ص ١٦٠ (مجلس رقم ٢٣٨) : وإن بعض دعاتنا فى الشرق وشى به الواشون إلى السلطان فقال بعض : إنه يقول بقدم العالم ، وقال البعض إنه يغلو فى على صلع ، وقال بعض إنه يرى رأى الفلاسفة ويأخذ كلامه ويدسيه فى الكلام الشرعى ؛ فعمل رسالة نحن نقرؤها عليكم سوقا لفوائد علومها إليكم ؛ وفاتحتها بسم الله الرحمن الرحيم الخ .

ب — المجلد الثالث ص ٣٠٢ (مجلس رقم ٢٤٧) : « قد كان أحد دعاتنا فى الشرق أخذ العهد على رجل من ذوى الأقدار كان استحوذ عليه شياطين المعتزلة » ويكتب الداعى إلى هذا الرجل رسالة لينقذه من شبهات المعتزلة .

حـ — المجلد الثالث ص ٣٣٣ (مجلس رقم ٢٥٥) : قد سمعتم ما قرئ عليكم من الفصول الحكمية المقصودة بالبراهين العقلية ونحن نشفعها بخطبة عملها أحد دعاتنا بالشرق فى هذا الأسلوب وأودعها من الحكمة ما فيه حياة القلوب . قال الخ .

د — المجلد الرابع ص ٢٠٨ (مجلس رقم ٣٤٦) : إن بعض دعاتنا ناظر بعض علماء المخالفين فى أمر فدك وخروج فاطمة من خدرها الخ .

هـ — المجلد الخامس ص ٢ (مجلس رقم ٤٠١) : وقد وقع إلى أحد دعاتنا كتاب مترجم «بالاسترشاد» للثغورى ذكر فيه شبهاً على اليهود والنصارى والمسلمين ... فأجاب عنه بما تتلوه عليكم بفصّه وينتفع به من وفقه الله للخير . قال الخ ... (فيما يتعلق بالرد على الثغورى الملحد انظر قبل ص ١٠٢ تعليق ١ ؛ قارن كذلك بعد ص ١٧٦) .

فارس[١] . غير أنه فى بعض الأحيان يعين المؤلف . فمثلا فى هذه «المجالس» قد حفظت لنا مكاتبة أحد الدعاة مع أبى العلاء المعرى الشاعر[٢] وهى مكاتبة معروفة جيداً من مصدر آخر . وذلك المصدر هو ياقوت الذى حفظ لنا كل هذه المكاتبة (التى تحتوى على رسالتين للمعرى وثلاث رسائل للداعى الإسماعيلى) ، فى كتابه إرشاد الأريب[٣] وذكر لنا صراحة اسم الداعى ألا وهو أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبى عمران ، داعى الدعاة بمصر[٤] . ومصدر ياقوت هو ، من جهةٍ ، موضع فى كتاب «فلك المعانى» لابن الهَبَّارِيّة[٥] ،

---

(١) انظر هذه المسألة بالتفصيل عند حسين الهمدانى ، المقالة المذكورة ص ١٢٩ وما بعدها ، ونفس المؤلف فى «دائرة المعارف الإسلامية» تحت هذا الاسم .

(٢) المجلد السادس ص ٣٨ (مجلس رقم ١٣ وما يليه) ومقدمة مؤيد هكذا : «انتهى إليكم خبر الضرير الذى نبغ بمعرة النعمان وما كان يعزى إليه من الكفر والطغيان ... حتى توجه من وجهناه من داعينا للقاء التركمانية فانعقد بينه وبينه من مناظرة مكاتبة غير مشافهة ما نورده بنصه فينفع الله به السامعين . قال داعينا الخ ... ولقد أبان حسين الهمدانى فى مقالته المذكورة ص ١٣٣ وما بعدها أن هذه المكاتبة هى بعينها المكاتبة الموجودة لدى ياقوت) .

(٣) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، طبعة مرجليوث ، (سلسلة جب ، المجلد السادس) لندن سنة ١٩٠٨ — ٢٧ ، جـ ١ ص ١٩٤ وما يليها . وقد طبع النص وترجم للمرة الأولى ر . س . مرجليوث ، « مكاتبة أبى العلاء على النباتية » ، مجلة الجمعية الأسيوية الملكية سنة ١٩٠٢ ص ٢٩٨ — ٣٢٢ ؛ وطبع ثانياً فى طبعة كامل كيلانى لرسالة الغفران (القاهرة سنة ١٩٢٥) جـ ٣ ص ٩٣ — ١١٠ ؛ وكذلك : خمس رسائل مفيدة دارت بين حكيم الشعراء أبى العلاء المعرى والمؤيد فى الدين أبى نصر بن أبى عمران ، القاهرة بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ — انظر أيضاً مجلة الزهراء سنة ١٣٤٢ ص ٢١٩ وما بعدها ؛ ايفانوف ، دليل كتب الأسماعيلية ، رقم ١٦٠ ، ثم مجلة الدراسات الإسلامية REI سنة ١٩٣٢ ص ٤٨٨ .

(٤) فى المكاتبة نفسها يسمى أبو العلاء مكاتبه باسم : سيدنا الرئيسى الأجل المؤيد فى الدين .

(٥) انظر بروكلمان : المجلد الأول ص ٢٥٣ .

ومن جهة أخـرى « مجلد لطيف » فى رسائل أبى نصر هبة الله بن عمران إلى المعرى ، وعن هذا الأخير اقتطفها . فكأن ياقوت إذاً لم يأخذ الـكاتبة عن « المجالس » مباشرة ، لـكنه عرف اسم مؤلف الرسائل إلى أبى العلاء عن مصدر آخر مستقل عن « المجالس » . ويدل لفظ « داعينا » فى هـذه الحالة وربما فى كل الحالات الأخرى على مؤلف المجالس نفسه .

والدليل القاطع على أن مؤلف الرد على ابن الراوندى هو مؤيد حقاً يمكن سوقه طبعاً على أساس علامات لغوية ومعنوية . وآمل أن أقوم بتحليل لـكل هذه المجالس يؤدى إلى إثبات أن كل الآراء الواردة رداً على كتاب « الزمرذ » تتعلق تعلقاً تاماً بمذهب مؤيد . وسأقتصر هنا على إيراد دليل على آخر تاريخ يمكن أن يوضع لهذا الرد ، وعلى البحث فى تحديد العلاقة بينه وبين الردود الأخرى على ابن الراوندى .

أما أن كتاب الداعى لا يمكن أن يكون قد ألف قبل النصف الثانى من القرن الرابع فذلك يتضح تمام الوضوح من بيت الشعر المذكور ص ٩١ س ١١ . وهذا البيت ، كما أبنَّا فى تعليقنا على هذا الموضع ، من قصيدة للمتنبي يمكن تأريخها من سنة ٣٣٩ — سـنة ٣٤٦[١] . لذلك كان لزاماً علينا أن ننظر إلى هذا الرد من ناحية أخرى غير الناحية التى ننظر منها إلى الردود العديدة على ابن الراوندى التى ألفت بعد موته بزمان قصير . ولم تكن كتب ابن الراوندى نفسها نقطةَ ابتـداء مناظرته والرد عليه إلا فى الجيل التالى له ، فندرت قراءتها فى نصوصها الأصلية فى منتصف القرن الرابع ولم

(١) فى هذه الأثناء كان المتنبي فى بلاط سيف الدولة [انظر بروكلمان ج ١ ص ٨٧ ؛ محمد صدر الدين ، سيف الدولة وعصره *Saifuddaulat and His Times* (لاهور سنة ١٩٣٠) ص ٤٩ وما بعدها] . ويقول الشراح إن هذه القصيدة ألفت حينما كبست أنطاكية ، فهلا يمكن تحديد هذه الحادثة بدقة أكثر ؟

تعرفُ بعد إلا عن طريق الردود الأولى عليها . ولعلنا نُبيِّن فيما بعد أن مؤلف الرد على كتاب « الزمرذ » قد عرفه لا عن طريق النص الأصلى و إنما عن طريق اقتباسات الردود الأخرى منه .

وهأنذا أورد فيما يلى ما حفظ لنا من أقوال عن الردود على ابن الراوندى على حسب الترتيب التاريخى[١]

١ — يقال إن أول من ناظر ابن الراوندى هو الفيلسوفُ يعقوب ابن اسحق الكندى (المتوفى حوالى سنة ٢٦٠) . ويذكر ابن أبى أصيبعة[٢] له كتاباً عنوانه : كلام له مع ابن الراوندى فى التوحيد[٣] . لكن هذا العنوان والثلاثة الأخرى التى تليه لا توجد فى فهارس كتب الكندى لدى ابن النديم أو ابن القفطى . ويدل على عدم صحة كلام ابن أبى أصيبعة من جهة أخرى ما هو معروف من أن المتأخرين قد نسبوا إلى الكندى ، بحسبانه أول فيلسوف عربى ، كتبا كثيرة كتبها غالبا تلاميذه[٤]

٢ — وقد رد على كتاب «التاج» (رقم ١١ لدى نيبرج) لابن الراوندى أبو سهل إسماعيل بن على النوبختى[٥] ، أحد شيوخ الإمامية المشهورين

---

(١) ذكر نيبرج (الكتاب السالف الذكر ص ٣٢ وما يليها) حين سرده لكتب ابن الراوندى بعض هؤلاء المؤلفين . وما نذكره فيما يلى من أرقام بعد عناوين كتب ابن الراوندى يناظر فهرست نيبرج لها .

(٢) عيون الأنباء (طبعة ملر ، القاهرة سنة ١٨٨٢) ج ١ ص ٢١٢ س ٢٣ .

(٣) لعله يناظر رقم ١٧ لدى نيبرج .

(٤) قارن دى بور ، حول الكندى ومدرسته ، فى : محفوظات فى تاريخ الفلسفة *Archiv foir Gesch. 6. Philos.* ، المجلد الثالث عشر (سنة ١٩٠٠) ص ١٥٣ وما يليها ؛ وانظر خاصة ص ١٧٥

(٥) كتب عنه بالتفصيل لوى ماسينيون فى كتابه : «عذاب الحلاج» ، ص ١٤٦ وما يليها .

(توفى سنة ٣١١) فى كتاب « السَّبْك[١] » وكذلك رد على كتابيه « لغة الحكمة[٢] » و « اجتهاد الرأى[٣] » ، (رقم ١٩ لدى نيبرج) .

٣ — ويذكر النجاشى لابن أخت أبى سهل النوبختى وهو أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى الذى كتب فى حوالى نهاية القرن الثالث[٤]، أقول ذكر له كتابا هو : « النُّكَت على ابن الراوندى[٥] » .

٤ — ونقض أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى خمس كتب على ابن الراوندى ، كما يقول ابن الجوزى[٦]، ومن بين هذه الكتب كتاب الزمرذ[٧] وكتاب الدامغ[٨] وكتاب التاج[٩] .

(١) لدى الطوسى (فهرست كتب الشيعة ، طبعة اشبرنجر) ص ٢٨ : « كتاب السبك » ؛ ويدل هذا العنوان على أن « تاج » ابن الراوندى سيذوب فى هذا الكتاب .

(٢) يحيل نيبرج إلى قراءته : عبث الحكمة ، تبعا للطوسى — قارن لوى ماسينيون ، « عذاب الحلاج » ص ٦١٧

(٣) « الفهرست » (طبعة فلوجل) ص ١٧٧ ؛ الطوسى ، الكتاب المذكور ص ٨٥ — ماسينيون ، نفس الكتاب ص ١٤٨

(٤) ألف كتابه « فرق الشيعة » (طبع رتر ، دار الكتب الإسلامية المجلد الرابع استامبول سنة ١٩٣١) بين سنة ٢٦٦ و سنة ٢٩٧ . ويقول فى ص ٦٤ إن للقرامطة آنذاك أتباعاً كثيرين باليمن وجنوب العراق ولكن لم تكن حركتهم على العموم قوية كل القوة ولا ذات خطر . ومن المعروف أن حركة القرامطة كانت فى اليمن منذ سنة ٢٦٦ ، هذا إلى أن النوبختى لا يعرف شيئا عن نجاح القرامطة العظيم فى أوائل القرن الرابع .

(٥) انظر مقدمة كتاب « فرق الشيعة » ص ك XX .

(٦) مجلة : « الإسلام » المجلد التاسع عشر « سنة ١٩٣٠ » ص ٣ س ٢ وما يليه .

(٧) انظر بعد ص ١٦٨ وما يليها .

(٨) وكذلك يذكره البلخى فى قطعة كتاب « الفهرست » لابن النديم ، « مجلة فينا لمعرفة الشرق » ، المجلد الرابع ص ٢٢٤ س ١ [ص ٥ س ٦ من الطبعة المصرية « للفهرست »]

(٩) مذكور أيضاً لدى أبى رشيد فى كتاب « المسائل فى الخلاف بين =

٥ — كذلك كرّس معاصرُ الجبائى وهو أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط جزءاً من حياته التأليفية فى نقض كتب ابن الراوندى ، عليه . فإلى جانب كتاب « الانتصار» وهو رد على كتاب « فضيحة المعتزلة » ، نقض أيضا كتاب : «القضيب» (رقم ١٠ فى فهرست نيبرج لكتب ابن الراوندى ص٣٢) ، « نعت الحكمة» ، (رقم١٢) ، «الزمرذ» (رقم ١٣ ؛ انظر كذلك ابن الجوزى ، الكتاب المذكور ص٣ س ٤) ، « الفريد » (رقم ١٤) ، « الدامغ » (رقم ١٥) وأخيرا كتاب « إمامة المفضول » (ابن الجوزى ، الكتاب المذكور ص ٣ س ٥)

٦ — ونقض أبو بكر محمد بن إبراهيم الزبيرى ، وهو معتزلى من الطبقة الثامنة ، على ابن الراوندى أربعة كتب ، كما يقول ابن المرتضى[١]

٧ — وتحدث عن ابن الراوندى فى كتابه « محاسن خراسان »[٢] أبو القاسم أحمد بن عبد الله البلخى الكعبى (المتوفى سنة ٣١٩) المعتزلى المشهور . وقد حفظ لنا « الفهرستُ » وكتابُ « معاهد التنصيص»[٣] هذا الكلام فى اختصار . وهو قد نقض على ابن الراوندى مذهبه فى

= البصريين والبغداديين » (ا . بيرام ، الجوهر الفرد : برلين سنة ١٩٠٢ (A. Biram : *Die atomistische Substanzlehre* ص ٦٩ من النص : فيما أملاه من نقض التاج — انظر كذلك لوى ماسينيون ، نفس الكتاب ص ٦٣١

(١) انظر س . ت . و . أرنولد ، « المعتزلة » (طبعة ليبتسك سنة ١٩٠٢) ص ٥٢ س ٨

(٢) لعل هذا الكتاب يحتوى تراجم مشاهير الرجال من خراسان .

(٣) انظر نيبرج ، نفس الكتاب ص ٢٦ — وكذلك يرجع الجزء الموجود فى رسالة ابن القارح (انظر بعد ص ١٧٧ ، تعليق ٨) إلى نفس المصدر ، كما أبان ذلك كراكوفسكى (انظر بعد ص ١٧٧) ص ٧٢

الجدل فى كتاب خاص[(١)]

٨ — وتبعا لابن المرتضى (انظر نيبرج ، الـكتاب المذكور ، رقم١٤) وابن الجوزى (نفس الـكتاب ص ٣ س ٨) نقض أبو هاشم عبد السلام الجبائى (المتوفى سنة ٣٢١) « كتاب الفريد » على ابن الراوندى[(٢)] .

٩ — ولقد رد أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى مؤسس فرقة الأشعرية (توفى سنة ٣٢٤) على ابن الراوندى فى كتب كثيرة ، فى زعم الفهرست الموجود بكتاب « تبيين كذب المفترى » لابن عساكر[(٣)] ؛ انظر اشپتّا رقم ٢ ، رقم ٥ ورقم ٣٠ (على كتاب «التاج») ، رقم٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ . والمهم خصوصاً هو رقم ٧٢ الذى فيه يجعل الأشعرى نقطة الابتداء فى الرد على ابن الراوندى رداً للبلخى (انظر قبل)[(٤)] . ومن هنا يتبين أن الأشعرى لم يرجع إلى الأصل على الأقل فى هذه الحالة ، وإنما إلى الرد .

١٠ — ولعل نفس كتاب ابن الراوندى هذا هو ما رد عليه أبو نصر الفارابى (توفى سنة ٣٣٩) ، تبعا لابن أبى أصيبعة (طبعة ا . مُـلر ، جـ ٢ ص ١٣٩ س ٧) ، فى كتابه : « كتاب الرد على ابن الراوندى فى أدب الجدل» . — أما ابن القفطى (« تاريخ الحـكماء » ، طبع لِـپَّرْت ص ٢٧٩)

---

(١) انظر بعد رقم ٩ ، ١٠ ؛ كذلك مكس هورتن : «المذاهب الفلسفية ... ، ص ٣٨٤ ، غير أن هذه الرواية لا توضح لنا أى كتاب يقصد؛ قارن لوى ماسينيون : نفس الـكتاب ص ٥٧٨

(٢) انظر بعد ص ١٦٧

(٣) س . ف . اشپتا ، «من تاريخ أبى الحسن الأشعرى» (ليپتسك سنة١٨٧٦) ص ٦٣ وما يليها — وقد طبع كتاب ابن عساكر فى دمشق منذ سنوات (دمشق سنة ١٣٤٧) . وفيه يرد فهرست كتب الأشعرى ص ١٢٨ وما بعدها .

(٤) العنوان الصحيح هو تبعا لاشپتا ، الـكتاب المذكور ص ٧٦ : «كتاب نقضنا به على البلخى كتابا ذكر أنه أصلح به غلط ابن الراوندى فى الجدل» .

فيميز فى الموضع المُناظِر عنوانى كتابين : كتاب أدب الجدل ، وكتاب الرد على راوندى (هكذا)[١] .

١١ — وتبعاً لكتاب «الفهرست» (ص ٦٣ س ١٢) كتب أبو محمد ابن عبد الله بن جعفر بن درستويه (توفى بعد سنة ٤٣٠) النحوى البصرى المشهور كتاباً عنوانه : « نقض كتاب ابن الراوندى على النحويين[٢] » .

١٢ — وأبو بكر محمد بن عبد الله البردعى الخارجى المعتزلى الذى تقابل مع ابن النديم سنة ٣٤٠ ألف من بين ماألف كتابا اسمه : نقض كتاب ابن الراوندى فى الإمامة[٣] .

١٣ — ويقول الفهرست ص ١٧٤ عن أبى عبد الله الحسين بن على ابن إبراهيم المعروف بالكاغدى (توفى سنة ٣٩٩) : وله من الكتب كتاب نقض كلام الراوندى (هكذا !) فى أن الجسم لا يجوز أن يكون مخترعا لا من شىء — ولعل المقصود هو الكتاب رقم ٥ لدى نيبرج (ص ٣٢) تحت عنوان : لا شىء إلا موجود[٤] . وفى الجزء الثانى من نفس هذا الكتاب (أو فى كتاب آخر مستقل منه ؟) نقض المؤلف نقض الرازى لكلام البلخى على الرازى .

١٤ — ويذكر ابن أبى أصيبعة (جـ ٢ ص ٩٧ س ١٠) من بين كتب أبى على محمد بن الحسن بن الهيثم (المتوفى سنة ٤٣٠) كتاباً اسمه : «مقالة لمحمد بن الحسن (بن الهيثم) فى إيضاح تقصير أبى على الجبّائى فى نقضه

(١) انظر أيضا اشتينشنيدر ، « الفارابى » (بطرسبرج سنة ١٨٦٩ ص ١١٦ وما يليها .

(٢) انظر فيما يتعلق بهذا لوى ماسينيون ، «عذاب الحلاج» ص ٥٧٠ تعليق ٤

(٣) « الفهرست » (طبعة فليجل) ص ٢٣٧

(٤) انظر لوى ماسينيون ، «عذاب الحلاج» ص ٥٦٠ تعليق ٥ .

بعض كتب ابن الراوندى ولزومه ما ألزمه إياه ابن الراوندى بحسب أصوله وإيضاح الرأى الذى لا يلزمه معه اعتراضات ابن الراوندى » — ومن الطبيعى أنه لا بد من قراءة « الجبائى » بدل « الحيانى » . ولو أن اسم كتاب ابن الراوندى الذى بدا لابن الهيثم فى رد الجبائى غير مذكور صراحة ، فإننا نستطيع استنتاجه : ففى فهرست كتب ابن الهيثم لدى بن أبى أصيبعة الذى يرجع إلى فهرست لابن الهيثم نفسه ، عنوان كتاب آخر يوضح لنا مركز ابن الهيثم بإزاء ابن الراوندى . فيقال فى س ٦ : « نقض محمد بن الحسن على أبى بكر الرازى المتطبب رأيه فى الإلهيات والنبوات » ؛ وفى س ٨ « كتاب له فى إثبات النبوات وإيضاح فساد رأى الذين يعتقدون بطلانها وذكر فرق النبى والمتنبى » . فكأن ابن الهيثم قام بإثبات النبوات هو الآخر ، ومن وجهة نظر فلسفية من غير شك . وليس كتاب الرازى الذى لا بد أنه قد طعن فيه فى النبوات إلا الكتاب الذى ذكرناه له آنفاً والذى رد عليه أبو حاتم الرازى(١) وكذلك الحال فى كتاب ابن الراوندى الذى يذكر فى هذا المقام ما هو إلا كتاب الزمرذ ، والمعروف عنه أن الجبائى نقضه .

فكأن معرفة المتأخرين لا لكتب ابن الراوندى فحسب بل لكل ما يتعلق به كذلك إنما ترجع إلى الردود التى ألفت عليه فى عشية القرن الثالث الهجرى . وما يعرف عنه من ناحية حياته ومؤلفاته يرجع فى الجزء الأكبر إلى البلخى(٢) الذى يحتمل أن يكون قد تلقاه عن أستاذيه الخياط والجبائى . والفصل المطول الذى كتبه ابن الجوزى(٣) والذى كان مرجع المتأخرين أجمعين إنما أخذ جميعه تقريبا عن الكتب المتقدمة . حقاً إن ابن

---

(١) انظر قبل ص ١٢٧ . (٢) انظر ص ٦٣ ؛ .

(٣) مجلة : « الاسلام » المجلد التاسع عشر (سنة ١٩٣٠) ص ٢ وما يليه .

الجوزى يذكر أنه قرأ بعض كتب ابن الراوندى فى أصولها (نفس الموضع ص ٢ س ٨ من النص العربى) ولكن ذكره بعد ذلك (ص ٣ س ٢) للردود على كتب ابن الراوندى هاتيك يكشف لنا عن مصادره التى استقى منها والتى نستطيع تعيينها فى شىء من الدقة : فهو يعتمد على رواية الجبائى كثيراً إذ ينسب إليه أقوالا عن محتوى ثلاثة كتب لابن الراوندى (ص ٤ س ٢٠ إلى ص ٥ س ٥)[١] . ولعلها كانت مذكورة فى مقدمة إحدى ردود الجبائى[٢] . وكذلك تبتدئ القطعة ص ٥ س ١٨ وما يليه بقوله : « قال أبو على الجبائى » . وهذه القطعة تتعلق بعلاقة ابن الراوندى بأبى عيسى الوراق[٣] وبالظرف الذى كَتَبَ فيه كتاب «الدامغ» . ولا نحتسبنا مخطئين إن قلنا إن ابن الجوزى أخذها عن رد الجبائى على كتاب «الدامغ» . ومع أن ابن الجوزى من أول مقالته إلى آخرها يورد مختصرات عديدة من كتاب «الدامغ» ، فإنه لا يمكن أن تكون هذه مأخوذة عن مصدر آخر غير كتاب الجبائى[٤] .

(١) المذكور صراحة هو كتاب الزمرذ . والكتابان الآخران هما حقاً كتاب « التاج » الذى فيه يتكلم عن قدم العالم (انظر كتاب «الانتصار» ص ٢ ، ص ١٧٢ فى أسفلها ، وقارن كذلك قبل ١٠٧ من كتابنا هذا) ؛ وكتاب « الدامغ » الذى عمله ابن الراوندى فى زعم الجبائى نفسه لليهود (ابن الجوزى ، نفس الكتاب ص ٥ س ١٨ وما بعده) .

(٢) وكذلك يورد الخياط فى رده على « فضيحة المعتزلة » كتباً أخرى لابن الراوندى : انظر الانتصار ص ٢ وما يليها ، ص ١٥٥ ، ص ١٧٢ وما يليها ، لذلك يحتمل أن تكون شذرة الجبائى قد وجدت فى الرد على كتاب آخر غير كتب ابن الراوندى الثلاثة المذكورة .

(٣) وعلى هذا فربما كانت الفقرة ص ٣ س ٦ للجبائى — فيما يتعلق بالوراق انظر بعد ص ١٨١ تعليق ٢ .

(٤) وكذلك يورد ابن الجوزى « ص ٣ س ٢ » رداً للجبائى على كتاب « نعت الحكمة » ، ولهذا فربما كان الاقتباس المذكور ص ٥ س ١٤ وما يليه ، مأخوذاً عن هذا الكتاب .

أما عن أبى هاشم الجبائى فيقول ابن الجوزى (ص ٣ س ٨) إنه نقض كتاب «الفريد» على بن الراوندى. وعلى هذا فحينما تروى عن أبى هاشم (ص ٥ س ٦ وما بعده) فقرة من هذا الكتاب فإنا نكون هنا بإزاء شذرة مأخوذة عن رد. ومن المحقق أن الرد على زعم ابن الراوندى له أيضا (س ١١ وما بعده).

والشائق خاصةً ما يقال عن كتاب «الزمرذ» نفسه. وليس من شك فى أن هذه الأقوال لا ترجع إلى النص الأصلى لكتاب ابن الراوندى، وإنما هى مأخوذة عن رد الجبائى الذى يروى عنه كثيراً. والملاحظة الأخيرة (ص ٤ س ٢٠) التى قام بها الجبائى تؤدى بنا إلى القول بأن الاقتباسات الثلاثة السابقة من كتاب «الزمرذ» مع الردود عليها[1] هى أيضا له — ويذكر ابن الجوزى أن مصدر القطعة الكبيرة (ص ٣ س ٩ وما بعده) المتعلقة بمعنى عنوان كتاب «الزمرذ» (انظر شذرة رقم ٢١)، هو ابن عقيل الحنبلى الذى صادفنا من قبل بمناسبة أخرى[2]. ولذا يعتمد بدوره على رد الجبائى مناقشاً لرأيه فى سبب تسمية كتاب «الزمرذ» بهذا الاسم.

لم يبق علينا الآن إلا مقدمة ابن الجوزى (ص ٢ س ١ — ٧). وللمرء أن يشك فى أنها تقوم على حقائق تاريخية صحيحة. يدلنا على ذلك رواية عن أبى على التنوخى (توفى سنة ٣٨٤) الأديب. وما يُذْكر عن

(١) تأمل تقدير العلوم الدنيوية «العقاقير، المغناطيس، الطلسمات» وخصوصاً ص ٤ س ١٢: «فكيف وقع هؤلاء الأنبياء بما خفى عن من كان أنظر منهم!»، ومثل هذا القول لا يمكن أن يصدر عن حنبلى متأخر، وإنما يفهم على لسان معتزلى.

(٢) انظر قبل ص ١٤٤.

(٣) انظر كذلك نيبرج، الكتاب المذكور ص ٣٧؛ فيما يتعلق بخصائص أبى على التنوخى، انظر لوى ماسينيون، مجموعة من النصوص غير المنشورة *Recueil de Textes inédits*، ص ٢١٧، وعلى الرغم من هذا فليس لنا أن نرفض إمكان كون =

أصل ابن الراوندى اليهودى نشعر فيه من الأثر بما نشعر به فيما نتكلم عنه فيما بعد من اجتماع الجبائى مع ابن الراوندى على جسر بغداد : فكلاهما يتصل بالأدب لا بالتاريخ .

وقد آن لنا الآن أن نرجع بعد هذا الاستطراد إلى الرد الاسماعيلى على كتاب «الزمرذ» . ويميل المرء إلى الاعتقاد باستخدام المؤلف لردود سابقة بوصفها وسطاء من حيث النص ، كميله للاعتقاد بصحة ما زعمناه من أن مؤيداً نفسه هو مؤلف الرد . غير أن البرهان على هذا أصعب من دى قبل . فبينما لدى ابن عقيل نستطيع أن نبين ولو مرة فى حالة واحدة أنه بإيراده اقتباسات من كتاب « الزمرذ » قد أراد كذلك نقض النص الذى أمامه (وأعنى به فيما يظهر كتاب الجبائى)[1] ، نجد على العكس من ذلك أن الرد على ابن الراوندى فى الكتاب الإسماعيلى قائم بذاته ولا يكاد يرجع إلى مثال سابق عليه .

غير أنى أرى فى الشذرة رقم ١٠ مؤيداً لما زعمته . « فالخصم » الذى نحن بصدده هنا لا يمكن أن يكون إلا خصما أدبياً متوهَّماً قد حاول الرد على كتاب «الزمرذ» قبل مؤلف كتابنا هذا . وليس من المحتمل أن يكون مثبتى النبوة

= والد ابن الراوندى يهودياً ملحداً ، لكن من الغريب أن الروايات التى لدينا عن حياة ابن الراوندى تقول بأنه كان صديقاً لليهود ، وإليهم التجأ حينما طلبه السلطان ، ولهم كتب مصنفات ضد الاسلام (انظر ما أوردناه عن اليافعى ص ١٧٨ تعليق) وقد كان اليهود الذين طعنوا فى العهد القديم كما فعل ابن الراوندى فى القرآن ، كثيرين فى ذلك العصر ، أشهرهم حيوى (والأصح : حيويه) البلخى وكان معاصراً لابن الراوندى (كتب بين سنة ٨٥٠ — سنة ٨٧٥ ميلادية) ومتأثراً بالمانوية . وعليه نقض سعديا كتابه ضد العهد القديم الذى ألفه بالعربية — انظر ا . داڤدسون ، مناظرة سعديا لحيوى البلخى (نيويورك سنة ١٩١٥) ؛ هـ . مالتر : سعديا ، حياته ومؤلفاته (فلادلفيا سنة ١٩٢١) ص ٢٦٧ وما بعدها ، ص ٣٨٤ وما بعدها .

(١) انظر قبل .

الذين يظهرون فى الشذرة رقم ٢ من كتاب الزمرذ كَرَادِّين على البراهمة . فقد كان هؤلاء حقاً فى عَرْض ابن الراوندى أولئك الذين هاجمهم البراهمة ودحضوا أقوالهم[١] . ولم يقم هؤلاء الخصوم المزعومون برد هجمات البراهمة ونقض مذاهبهم حقاً . إلا أن المؤلف الإسماعيلى يعيب على « خصم » ابن الراوندى أنه فهم آيات القرآن على النحو الذى فهمه هو فكانت الحجج المسوقة ضده من أجل ذلك ضعيفة[٢] « فمن حرص الخصم على الرد ساق تأويل المقامات القرآنية فى جملته غيرَ معتَبر ؛ وموضع العيب فى ذلك ظاهر » . ولا نحسبنا مخطئين إن حاولنا أن نرى فى « خصم » ابن الراوندى هذا معتزليا متقدما على المؤلف الإسماعيلى الذى حاول أن يصحح أدلته وبراهينه . ومعنى هذا أن مؤلف الرد لابد أن يكون قد عاش بعد ابن الراوندى بأجيال كثيرة .

٩ — تحليل الرد

أما أن أصلَ الرد إسماعيلى ، فذلك يتبين جيدا من أنه محفوظ فى كتاب مؤيد وأنه مذكورٌ صراحةً أن المؤلف أحد دعاة الإسماعيلية . إلا أن الذى يسترعى النظر حقا هو أن طابعه الإسماعيلى لا يتضح تمام الوضوح . إذ لا يبدو الداعى إلا كمسلم يدافع عن الإسلام ضد غارات الملحد غير كاشف عن ميل خاص واتجاه معين ، بل إنه ليتحدث عن الفرق الإسلامية المختلفة فى الدين بقوله : « إخواننا فى الدين » (ص ٨٠ س ٦) . ولا يشير إلى المذاهب الإسماعيلية إلا بطريق غير مباشر . والقارئ الذى لا يعرف

(١) انظر على وجه الخصوص قوله فى مبتدأ الشذرة رقم ٣ : « عندنا وعند خصومنا » .

(٢) وكذلك يقول ابن الهيثم ؛ انظر قبل ص ١٦٥ .

المؤلف من قبل سيدهش لما يجده لديه من تحفظ ملحوظ ولن يرى فيه إسماعيليا بسهولة . وليس الكتاب موجهاً إلى الذين دخلوا فى مذهب الإسماعيلة السرى وإنما قصد به إلى الجمهور ويراد به إدخال القارئ بلباقة فى التصوير الإسماعيلى للإسلام .

وهأنذا أورد فيما يلى تحليلا قصيراً لهذا الجزء من الكتاب المتعلق بالرد على ابن الراوندى مَعْنِياً بطابعه الإسماعيلى على وجه الخصوص :

لا يستطيع الإنسان أن يمارس بنفسه قوى العقل . فكما أن النار تظل كامنة فى الزناد أو الحجر أو الحديد حتى تجد لها من يقدحها[١] ، فكذلك الحال فى العقل الإنسانى يظل عديم الفعل (أى بالقوة) بالجسم حتى يوقظه إنسان . وهذا ما يفعله النبى . فهو يخرجه أولاً من القوة إلى الفعل . فإذا قيل إن العقل أعظم نعم الله على عباده فإن اسم العقل أولى بأن يكون للنبى[٢] . فهو العقل بالفعل ، بينما العقل الإنسانى بالقوة فحسب . (ص ٨٠ س ١٥ وما يليه)

---

(١) انظر ماكس هورتن ، مذهب الكمون لدى النظام ، « مجلة الجمعية الشرقية الألمانية » ZDMG ، المجلد الثالث والستون « سنة ١٩٠٩ » ص ٧٧٤ ، غير أنه لم يبق هنا من معنى هذه الفكرة المحدود لدى النظام شىء ، ويرى المرء هذا خصوصاً وأن مؤسس مذهب « الكمون » (و « الظهور ») لم يرد به أكثر من تمثيله بفكرتى أرسطو فى القوة والفعل .

(٢) ص ٤ س ٤ : « فهم أولى بأن يسموا عقلا » ، وهنا يضع المؤلف فكرة العقل المعتزلية كلها لابن الراوندى فى مقابل توحيد الإسماعيلية للعقل مع فكرة العقل (νοῦς) لدى الأفلاطونية المحدثة ، والمعنى المعتزلى لكلمة عقل هو العقل الإنسانى العادى الذى يهاب به فى المسائل الدينية كمعيار ومقياس ، وهذا التقابل نفسه نجده لدى الفارابى فى مقالته « فى معانى العقل » (طبعة ديتريسى ، « مقالات الفارابى الفلسفية » ص ٣٩) : « اسم العقل يقال على أشياء كثيرة ... ... الثانى العقل الذى يردده المتكلمون على ألسنتهم ، يقولون : هذا مما يوجبه العقل وينفيه العقل الخ » . قارن كذلك الموضع المهم فى « رسائل إخوان الصفا » (طبعة بمباى) ج ٤ ص ١٦٤ .

والقول بأن الأنبياء هم عقل (العالم) قديم قدم الإسماعيلية نفسها . فمن هنا يراعى أن المؤلف يلمح إلى هـذا التشبيه دون أن يصرح به . كما يتبيَّن طابع الـكتاب العلمى لا السرى .

والآلة الموسيقية تظل مادة ميتة حتى يستخرج منها المرء الأنغام . وعلى هذا النحو يحتاج الإنسان إلى الرسول كدليل وهادٍ إلى الإيمان بوحدانية الله (ص ٨١ س ٧ وما بعده) — وكذلك البصر لا يكون إلا بمساعد عليه (من ضوء شمس أو قمر أو مصباح الخ) . والرسول يمثل ضوء الأجرام السماوية فى هداية الناس إلى المعرفة . فهو « ذلك النور الخارج الحامل للعقل والمريش لسهمه والمنفذ له فى أقطار السموات والأرض» . (ص ٨١ س ١٨ وما يليه)

ومثل هذه التمثيلات بين الآراء الطبيعية العلمية وبين حقائق النبوة كثير فى كتب الإسماعيلية . وهى تقوم على القول بأن ظواهر الحياة الدينية تنعكس على ظواهر الطبيعة . وفى هذا الموضوع وضعت مؤلفات كثيرة[١] تدل على الدور الذى لعبه العلم والفلسفة فى تأسيس الإسماعيلية[٢] . ولـكن مؤلفنا يدع تفصيل القول فى هذا .

ونفس الرسول أسمى النفوس وجسمه أنبل الأجسام . لذا لم يكن غريبا أن يكون فى مقدوره إحداث المعجزات (ص ٨٧ س ١١ وما يليه) . ونفسه تزن الخليقة كلها وبها كان فوق البشر أجمعين (ص ٨٨ س ٤ وما يليه)

---

(١) مثلا أبو يعقوب السجستانى ، كتاب « إثبات النبوة » ؛ أحمد حميد الدين الـكرمانى ، كتاب « راحة العقل » وغيره ؛ انظر كذلك مجلة : « الاسلام » ، المجلد التاسع عشر (سنة ١٩٣١) ص ٢٦١ .

(٢) كتب جابر ابن حيان ومقالات إخوان الصفا مؤلفات إسماعيلية ، فيما يتعلق بالأول انظر ى ، رسكا و ب . كراوس : « تهافت اسطورة جابر » ، فى « النشرة السنوية الثالثة لمعهد البحث فى تاريخ العلوم الطبيعية » ، برلين سنة ١٩٣٠

« وإن جسد الإنسان أكثره لحم معظمه لحم يجانس جملة جسده باللحمية . غير أنه بيت الحياة والفضل ، ومنه تنتشر الحياة فى الجسد كله » . (ص ٩٤ س ١٨ وما يليه) .

وللأنبياء فى سلم البشر الدرجةُ العليا . وفى الدرجة السفلى « قوم نسناس لهم من الإنسانية صورتها » فقط[1] — وفوق هؤلاء « قوم سكان جبال ومواضع غامضة ورعاة بقر وغنم ، وهم أصلح حالا فى قربهم من سِكة العقل » — ثم « قوم هم عامة البلدان وهم أقرب حالا وقوم خواص — وقوم علماء وأخيار . فلا يزال الشيء يُخَلَّص ويَنْسَبِك حتى ينتهى إلى الصفوة التى لا يشوبها الكدر وهم الأنبياء عليهم السلام الذين ... يقبلون على تابعيهم فى استخلاصهم من الكدر وإحالتهم إلى جوهر الصفاء ويؤثرون فيهم تأثير الجمر فى الفحم الأسود بإحالته إلى جوهره وإفادته من نوره وتخليصه من سواده » . (ص ٨٣ س ١٧ وما يليه) — وطابع هذه الأقوال الإسماعيلى غير منكور .

وأوامر الشريعة التى تبدو مناقضة للعقل يجد تفسيرها فيما قصد الله إليه من تنشئة الناس . فكما أن الآباء يعملون على تنشئة أبنائهم النشأة الأولى « لقطع الأولاد عن العادة البهيمية وكسبها الأخلاق الإنسانية » ، يحاول الأنبياء أن يسلكوا « بتابعيهم الذين ينشئونهم النشأة الثانية[2] للدار <الآخرة> مسلك الآباء والأمهات بأولادهم : فيخرقون عليهم العادات الطبيعية ويعلمونهم الأخلاق الملكوتية » . وعلى هذا فليس لأوامر الشرع

---

(١) انظر : « رسائل إخوان الصفا » جـ ٤ ص ١٢٣ .

(٢) انظر سورة ٢٩ : ١٩ ؛ ٥٣ : ٤٨ ؛ ٥٦ : ٦٢ ؛ وكذلك « رسائل إخوان الصفا » جـ ١ ص ٣٨ ، ٧٠ ؛ جـ ٢ ص ٣٦ ؛ جـ ٤ ص ١٣٠ .

معنى آخر غير خرق عادات الإنسان الطبيعية وتذكيره دائما بصلته بالله والراسخون فى العلم يدركون معناها ويمارسونها عن معرفة وبصيرة . (ص ٩٩ س ٢٤ وما يليه) .

كذلك يقف مؤلف الرد موقفاً نقدياً بإزاء المعجزات ، ولكن ليس ذلك لقوله بعدم إمكانية صدور المعجزات عن نفوس ممتازة كنفوس الأنبياء ، بل لأنه يرفض إثبات صحة النبوة عن طريقها . إذ لا يحتاج إلى مثل هذه المعجزات إلا ضعاف الإيمان . أما من هم على شاكلة سلمان الفارسى[1] وخديجة الخ ، فيؤمنون بالأنبياء دون حاجة إليها . ويجب علينا أن نفرق تفريقاً تاماً بين هذه المعجزات وبين « المعجزات العلمية » ، فهذه الأخيرة أسمى بكثير من الأولى ، وبها تعتبر صحة النبوة . مثل هذه المعجزات ما قاله المسيح عن محمد . (ص ٨٧ س ١ وما يتلوه ؛ كذلك ص ٩١ س ١ وما يليه) .

وعلى هذا النحو جاءت فكرته الخاصة عن عقيدة إعجاز القرآن[1]، تلك الفكرة التى لا نجد لها مثيلا فى كتب الكلام الكثيرة عن هذا الموضوع[2] فلقد اقتصر معنى إعجاز القرآن من قبل على إعجازه من ناحية نظمه وتأليفه . وهذا ما طعن فيه ابن الراوندى . أما مؤلف الرد فيتخذ نغمة أخرى : أما أن نظم القرآن لا يمكن مخلوقاً أن يبلغه ، فقد يكون ذلك صحيحاً (ص ٨٨

---

(١) ما يقال من أن سلمان ، ولو أنه غير عربى ، لم يخف الهجرة من بعيد الى الرسول وإنه أقر به قبل غيره من الناس (ص ٨٧ س ٦ وما يليه ؛ ص ٩١ س١) ، من المحتمل أن يكون مأخوذاً فى غالبيته من الشيعة ؛ انظر الآن لوى ماسينيون ، سلمان الفارسى (« نشريات جماعة الدراسات الايرانية » ، المجلد السابع ، تور سنة ١٩٣٤) .

(٢) انظر قبل ص ١٢١ وما يليها .

(٣) أشير هنا بنوع خاص الى بحث عبد العليم المشار إليه ص ١٢١ تعليق ١ .

س ١٣) ، ولكن « الكلام ألفاظ مقدّرة على معان[١] ملائمة لها . والكلام كالجسد والمعنى فيه روحه . ومعلوم أن الأجساد من حيث كونها أجساداً لا تتفاوت تفاوتاً كثيراً ؛ فإنها وإن رجح بعضها على بعض من حيث استقامة النظم وحسن الهندام فهو أمر قريب ؛ وليس كذلك التفاوت من جهة النفوس التي هى المعانى . فإن نفساً واحدة تقع بوزان الخلق كلهم من حيث افتقار النفوس إليها ، والحاجة إلى الامتياز منها . والقرآن فهو كلام بمثابة الجسد ، ومعناه روحه الذى كنى الله سبحانه <عنه> بالحكمة » (ص ٨٧ س ١٩ وما يليه) — وأساس هذه النظرية الذى لا يصرح به المؤلف هو مذهب الإسماعيلية فى « الظاهر » و « الباطن » أى التفريق بين معنى القرآن الظاهرى ومعناه الباطن (« أو الحقيقة » ، المسماة هنا بالحكمة) . والأول يتم « بالتفسير » والثانى « بالتأويل »[٢] . « وهذا من جلالة النبوة والنبي صلى الله عليه وآله : بأن يتكلم بلسان واحد فيأخذ منه العقل بنصيبه » (ص ٩٣ س ١٧ — ١٨) .

وفى التفاصيل يعرض لنا المؤلف فى صورة واضحة تحفظاً واحتياطاً ذوا طابع إسماعيلى خاص . فهو يدع عن قصد المعنى الخاص الذى يعطيه للآية ٨٨ من سورة البقرة ، ويرفض نقض تفسير ابن الراوندى عليه نقضاً صريحا . وهو ، ولو أنه يرفض القول بأن للملائكة أجساداً (ص ٩٤ س ١ وما بعده) فإنه يقول إن فى ذكر الملائكة أسراراً للحكمة (الإلهية) ممنوعة عن العوام (فى مقابل الخواص ، ص ٩٣ س ١٢) . وكل ما يقال عنها إنما هو « رموز » فحسب .

---

(١) قارن « رسائل إخوان الصفا » (بمباى) جـ ١ ب ص ١١١ .

(٢) ونصادف هذا التفريق بين الظاهر والباطن ص ٨١ س ١٨ وما يتلوه .

وليس مصادفة أن نرى الرد على الملحدين الذين يجحدون الإسلام خاصة والأديان المنزلة عامة ، يلعب دورا هاما هكذا فى الكتب الإسماعيلية الفاطمية التى تبعث اليوم . فإلى جانب هذا الكتاب الموضوع ضد ابن الراوندى يوجد ردٌّ على كتاب إلحادى لمحمد بن ذكريا الرازى الطبيب الفيلسوف[1] الذى أشرنا إليه مراراً من قبل ، وكذلك رد آخر على كتاب «الاسترشاد» لملحد لم يكن معروفا من قبل هو الثغورى[2] . وهذا لأن الإسماعيلية التى نشأت عن حركة القرامطة المضادة ، وجدت نفسها مضطرة ، حينما كانت عماد الإسلام فى الدولة الفاطمية ، إلى محاربة هذه التيارات التى كانت على صلة بها قريبة فيما قبل

١٠ — من حياة ابن الراوندى

لم تظهر شخصية من شخصيات التاريخ الروحى الإسلامى المتقدم تحت ضوء جديد بتأثير اكتشافات السنين الأخيرة كما ظهرت شخصية ابن الراوندى . لذا كان من الواجب تقدير قيمته وتعيين صلته بمعاصريه وتبيان تطوره الروحى وبواعث تفكيره على ضوء المواد الغزيرة التى اكتشفت عنه . وما سنذكره فيما يلى ليس إلا مقدمة لدراسة تفصيلية لابن الراوندى لابد أن تبتدأ من تحليل دقيق لكتاب «فضيحة المعتزلة» لابن الراوندى[3]

---

(١) انظر قبل ص ١٢٧ .

(٢) نص هذا الكتاب موجود أيضاً فى المجلد الخامس من المجالس المؤيدية (مجلس رقم ٤٠١ — ٤١٤) ؛ انظر قبل ص ٢٨ ، ونشتغل ، حسين الهمدانى وأنا ، بنشر هذا الكتاب .

(٣) ما أورده ماكس هورتن فى كتابه : «المذاهب الفلسفية لأهل النظر من المتكلمين فى الإسلام» (بون سنة ١٩١٢) ص ٣٥٠ ، مشكوك فيه كل الشك ، (انظر على العموم أقوال ﻫ . ﻫ . شيدر فى مجلة المستشرقين لنقد الكتب OLZ سنة ١٩٢٧ ، ٨٣٤ وما يتلوها) . فهو يزعم ، من بين مايزعم ، أن الكتاب الذين ردوا على ابن الراوندى هم هؤلاء الذين كتب ابن الراوندى ضدهم .

ولقد أورد نيبرج فى مقدمته لكتاب « الانتصار » روايات متعلقة بابن الراوندى مأخوذة عن « الفهرست » لابن النديم [١]، و« وفيات الأعيان » لابن خلكان [٢]، و« معاهد التنصيص » لعبد الرحيم العباسى [٣]، وكتاب « المُنْية والأمل » لابن المرتضى [٤]، و« مروج الذهب للمسعودى » [٥]. لكن ظهرت بعد ذلك مصادر أخرى: أولها الفصل الطويل الذى كتبه ابن الجوزى فى كتابه « المنتظم فى التاريخ » [٦]؛ وثانياً ملاحظات عرضية لنفس المؤلف فى كتابه « تلبيس إبليس » [٧]؛ وثالثاً جزء فى « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى بحثه ا. كرا كوفسكى فى تفصيل [٨]. وقد وصل نيبرج فى عرضه النقدى

---

(١) أعنى قطعة « الفهرست » التى نشرها م. ت. هوتسما فى: « مجلة فينا لمعرفة الشرق WZKM » ص ٢١٧ ومابعدها. [وقد نشرت فى الطبعة المصرية « الفهرست »، ص ٤ — ص ٥ ؛ القاهرة سنة ١٩٢٩]

(٢) طبعة بولاق سنة ١٢٧٥ جـ ١ ص ٣٨ وما بعدها.

(٣) طبعة بولاق سنة ١٢٧٤ جـ ١ ص ٧٦.

(٤) « المعتزلة: فصل من كتاب الملل والنحل للمهدى لدين أحمد بن يحيى بن المرتضى »، طبع توماس أرنولد، ليبتسك سنة ١٩٠٢.

(٥) « مروج الذهب » للمسعودى، طبع وترجمة باربييه دى مينار « باريس سنة ١٨٧٣ » جـ ٧ ص ٢٣٧.

(٦) نشره رتر، بمجلة « الاسلام » المجلد التاسع عشر سنة ١٩٣٠ ص ١ وما بعدها.

(٧) القاهرة سنة ١٣٤٠ ص ٧٢، ١١٨ وما بعدها، حيث يشار صراحة إلى كتاب « المنتظم فى التاريخ » لابن الجوزى؛ انظر قبل ص ١٤٦.

(٨) وثيقة منسية عن كتب ابن الراوندى *(Comptes rendus de l'Académie des Sciences de U. R. S. S.*, 1926, B. p. 71—74) انظر طبعات رسالة الغفران لإبراهيم اليازجى (القاهرة سنة ١٩٠٣)، ص ١٥٧ ومابعدها؛ لكامل كيلانى (القاهرة سنة ١٩٢٥) جـ ٢ ص ٧٠ وما بعدها. (وفى هذا الأخير النص مختصر)؛ غير أن رسالة ابن القارح مطبوعة فى الجزء الثالث (انظر « المقتبس »، المجلد الخامس ص ٥٥٢) وهى التى ترد عليها رسالة الغفران. وفى رسالة ابن القارح جزء متعلق بابن الراوندى، (طبعة كامل كيلانى جـ ٣ ص ١٥). ولقد أشار إلى هذا الموضع المرة الأولى ر. ا. نكلسون فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية سنة ١٩٠٢ ص ٢٥٥، =

(١٢)

لهذه الروايات إلى هـذه النتيجة ، وهى أن موت ابن الراوندى كان حوالى

= انظر كذلك ص ٨٣ . وكذلك انظر اجناتس جولدتسيهر : اتجاهات تفسير القرآن » (ليدن سنة ١٩٢٠) ص ١٢٠ تعليق ١ ؛ لوى ماسينيون ، عذاب الحلاج ص ١٤٨ تعليق ٥ — ولقد بحث هـ . جوتشالك فى مجلة : الإسلام ، المجلد التاسع عشر (سنة ١٩٣١) ص ٢٨٢ وما بعدها ما رواه المؤرخون المتأخرون عن ابن الراوندى وهو لا يكاد يحتوى على شىء جديد . انظر كذلك جولدتسيهر ، شريعة السبت فى الإسلام فى : «كتاب تذكارى مقدم لداقد كوفمان» (برسلاو سنة ١٩٠٠) ص ١٠١ تعليق ١ [إشارة إلى الهمذانى، «رسائل»، استامبول سنة ١٢٩٨ ص ٨ ؛ وفخر الدين الرازى «نهاية الإيجاز» ، طبعة القاهرة سنة ١٣١٧ ص ١٦٤ — ١٦٦] ؛ ك . أ . نلينو ، فى «مجلة الدراسات الشرقية» المجلد السابع ص ٤٢١ وما بعدها ؛ هـ . رتر ، مجلة : «الإسلام» المجلد الثامن عشر (سنة ١٩٢٩) ص ٣٧ وما بعدها — ولم أر الموضع الموجود لدى ابن شاكر الكتبي عن ابن الراوندى فى كتابه «عيون التواريخ» (طبعة ليدن سنة ١٩٢٧) [انظر هوتسما ، مجلة ڤينا لمعرفة الشرق المجلد الرابع ص ٢٢٩] . وهأنذا أورد فيما يلى الفصل الذى كتبه اليافعى عن ابن الراوندى فى كتابه «مرآة الجنان» الذى له أهمية خاصة لأنه يضع تاريخ موته سنة ٢٤٣ (وهذا شاهد آخر على أن موت ابن الراوندى كان متقدماً) ولأنه يحتوى على شذرات من كتاب ألفه ابن الراوندى لليهود من غير شك (انظر قبل ص ١٥٧) [مخطوطة برلين رقم 4952, fol. 159ª (= B) ؛ مخطوطة باريس 1589, fol. 196ᵇ (= P)] : وفى السنة المذكورة (سنة ٢٤٣) توفى ابن الراوندى أحمد بن يحيى بن إسحق الراوندى ، وله مقالة فى علم الكلام وينسب إلى الزيغ والإلحاد ، وله مائة وبضع عشرة (حذف من : B) كتاباً ، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام قال ابن خلكان بعد ما أثنى على فضله : وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه أهل الكلام فى كتبهم . قال : وكان من فضلاء عصره ومن تصانيفه كتاب «فضيحة المعتزلة» . قلت : وهو إن رد على المعتزلة وأصحابنا ينسبونه إلى ما هو أضل وأفضح من مذهب المعتزلة ! عاش نحواً من (نحو : B) أربعين سنة ونسبته إلى راوند قرية من قرى قاسان ... . قلت : وذكر أصحابنا فى باب النسخ (الشنع فى مواضع متفرقة من B) من كتب الأصول أنه هو الذى لقن اليهود الاحتجاج على عدم جواز النسخ بزعمهم بنقل مفرى (مقرى : B) بأن قال لهم : قولوا إن موسى عليه السلام أمرنا أن نتمسك بالسبت ما دامت السموات والأرض ، ولا يجوز أن يأمر الأنبياء إلا بما هو حق . وهذا القول بهت وافتراء على موسى صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى جميع النبيين والمرسلين » . وفى هامش مخطوطة باريس : =

سنة ٣٠٠ هـ . ولـكنا سندلى فيما بعد بدليل على أن نشاط ابن الراوندى لم يتعد منتصف القرن الثالث .

وليست الإجابة على السؤال عن تاريخ موت ابن الراوندى عديمة الأهمية . ولو كانت المسألة متعلقة بمؤلف من عصر متأخر عن ذلك بكثير إذاً لـكان سواء أن نضع تاريخ موته ثلاثين أو أربعين سنة قبل أو بعد . ولـكن ابن الراوندى عاش فى ذلك القرن الحاسم من تاريخ الإسلام الذى فيه تحدث كلُّ عشر سنوات تغيراً هائلا فى الموقف الروحى . فإن كان كتاب «الزمرذ» كُتب قبل سنة ٢٥٠ ، فمكانته فى تاريخ الإلحاد فى الإسلام هى تلك التى يتطلبها تبعاً لشكله وأسلوبه ، فلن يكون لمثل هذا الـكتاب — الذى كان أثره من الناحية الخطابية أكثر منه من الناحية البرهانية ، فى نهاية القرن الثالث ، حينما اتسعت دائرة مقاومة مبادئ الإسلام ، وقامت حركة التنوير على أيدى القرامطة والفلاسفة والصوفية — ذلك الأثرُ الذى كان له فى الواقع ، ولن يكون له ذلك الصدى الذى أثاره فى دوائر الإسلام السُّنى . وهأنذا أقتصر فيما يلى على إيراد آراء نيبرج فى اختصار مشيراً فى كل جزئية إلى كتابه .

يذكر المسعودى[1] أن تاريخ وفاة ابن الراوندى هو سنة ٢٤٥ هـ ويتفق معه ابن خلـكان الذى يقول عنه إنه مات حوالى سنة ٢٥٠ وهو فى سن الأربعين . أما ابن عقيل، وهو مصدر ابن الجوزى، وكذلك عبد الرحيم

= « سيأتى ذكر ابن الراوندى وأنه مات فى حدود الثلثمائة ، وهذا اضطراب عجيب فليحرز » . وتحت سنة ٣٠٠ فى نهايتها (P. fol. 227b) مقال قصير عن ابن الراوندى لا يأتى بجديد (وهو مختصرات عن ابن الجوزى) .

(١) « مروج الذهب » ، الجزء السابع ص ٢٣٧ — وكذلك اليافعى ، انظر التعليق السابق .

العباسى بوساطة الأخير ، فيجدد عمره بمقدار ٣٦ سنة[١] . كذلك يُذكر فى كتاب « تلبيس إبليس » صراحة : « وأُخِذَ وهو فى الشباب »[٢] .

وعلى العكس من ذلك يذكر باقى المؤلفين تاريخ موته المتأخر : فابن الجوزى نفسه يضعه فى كتاب « المنتظم فى التاريخ » تحت سنة ٢٩٨ ؛ ويوجد هذا التاريخ نفسه فى « معاهد التنصيص » الذى يعتمد على ابن الجوزى ، وتبعا لذلك يكون عمر ابن الراوندى قد نيف على الثمانين ؛ وحاجى خَلفه[٣] يذكر أنه مات سنة ٣٠١ . وكذلك تقول الروايات لدى أبى الفداء وأبى المحاسن بن تغرى بردى[٤] . والقول الحاسم عند نيبرج فى تأخير موته يبدو أنه ما فعله ابن المرتضى من وضع ابن الراوندى فى الطبقة الثامنة من بين المعتزلة ، أعنى بجعله معاصراً للجبائى (المتوفى سنة ٣٠٣) وللخياط ولأبى القاسم البلخى (المتوفى سنة ٣١٩)[٥] .

ونجد مثل هذا التناقض كذلك فى الروايات المتصلة بعلاقته بالجبائى . فمن جهة يقول كتاب « المنتظم »[٦] (وتبعاً له كتاب « معاهد التنصيص »[٧]) رواية عن أبى على الجبائى ، إن ابن الراوندى وأبا عيسى الوراق قد طلبهما السلطان ولكنه مات بعد ذلك بقليل . ومن جهة أخرى يذكر صاحب

---

(١) واختلاف القراءة الذى يثبته رتر وهو رقم ٦٦ (نفس الموضع ص ٩) يجب أن يلغى .

(٢) ص ١١٨

(٣) انظر نيبرج ، الكتاب المذكور ص ٤٠

(٤) س . ه . جوتشالك Gottschalk ، مجلة : الإسلام ، المجلد التاسع عشر (سنة ١٩٣١) ص ٢٨٢

(٥) نيبرج ، مقدمة « الانتصار » ص ٢٩

(٦) مجلة : الإسلام ، المجلد التاسع عشر (سنة ١٩٣٠) ص ٥ س ١٨ .

(٧) نيبرج : الكتاب المذكور ص ٣٩

كتاب « معاهد التنصيص » ، الذى لا نعرف له مصدراً فى ذلك ، أن ابن الراوندى اجتمع هو وأبو على الجبائى يوماً على جسر بغداد وتناظرا فى إعجاز القرآن[١] . فإذا كان أبو عيسى الوراق ، وذلك ما تؤيده روايات كثيرة ، قد مات سنة ٢٤٧[٢] ، فإن كلام الجبائى عن موت ابن الراوندى

---

(١) نيبرج : الكتاب المذكور ص ٣٧

(٢) « مروج الذهب » ، ج ٧ ص ٢٣٦ — فيما يتعلق بأبى عيسى الوراق، انظر مجلة : الإسلام ، المجلد الثامن عشر (سنة ١٩٢٩) ص ٣٥ وما بعدها ؛ نيبرج الكتاب المذكور ص٢٠٥ . ويورد لوى ماسينيون فى كتابه : «مجموعة من النصوص غير المنشورة متعلقة بتاريخ التصوف فى الإسلام» (باريس سنة ١٩٢٩) ص ١٨٢ وما بعدها ، شذرات من نقض المسيحية لأبى عيسى ، وهى محفوظة فى رد يحيى بن عدى عليها (انظر ، ا . بريبه Périer ، يحيى بن عدى ، فيلسوف عربى نصرانى فى القرن العاشر ، باريس سنة ١٩٢٠ ص ١٥٠ وما بعدها) وتاريخ وفاته المذكور هناك وهو سنة ٢٩٧ هـ ناشىء عن خطأ من غير شك (كذلك بريبه ، الموضع المذكور) . ولقد ساق هـ . هـ . شيدر الدليل على أن اليعقوبى المؤرخ (كتب حوالى سنة ٢٧٠) اعتمد على أبى عيسى الوراق فى عرضه لمذهب المانوية ، فكأنه كان قبل اليعقوبى [حاشية : نبهنى الأستاذ ماسينيون إلى الفصل القيم الذى كتبه عن أبى عيسى الوراق محمد بن محمد داماد الحسينى فى كتابه « الرواشح السماوية فى شرح الأحاديث الإمامية » (طبع حجر ، طهران سنة ١٣١١ هـ ؛ قارن بروكلمان ج ١ ص ١٨٧) ص ٥٥ وما بعدها] وهنا كذلك (عن فخر الدين الرازى والسيد المرتضى) يذكر ابن الراوندى بجانب أبى عيسى الوراق : «وقال السيد المرتضى فى كتاب «الشافى» . إنه رماه المعتزلة مثل ما رموا ابن الراوندى القاضى » . وهذا خلط بابن الراوندى القاضى (انظر السمعانى ، كتاب «الأنساب» ، سلسلة جب التذكارية، المجلد العشرون ، ورقة ٢٤٥ أ). ومن المهم أن يذكر النجاشى (« كتاب الرجال » ، بمباى سنة ١٣١٧ ص ٨٤) أن أبا عيسى الوراق كان معاصراً لرواى ثبيت بن محمد أبى محمد العسكرى الإمامى . وهذا ينسب إلى النصف الأول من القرن الثالث . ومن الشائق أيضا أن أبا عيسى كان يعد شخصاً مرضياً عنه عند الإمامية — قارن أيضا ابن تيمية ، كتاب « منهاج السنة النبوية» (بولاق سنة١٣٢٢) ج ٣ ص٢٠٧ . وقد تكلم حديثا عن أبى عيسى فى تفصيل عباس إقبال فى كتابه : « آل نوبخت » Les Nawbakht (طهران سنة١٩٣٣) ص ٨٥ وما بعدها . وهناك كذلك (ص ٨٧ وما يليها) ترجمة لابن الراوندى .

برهان على تقدم موت ابن الراوندى ، بينما تستدعى الرواية الأخرى عن اجتماع ابن الراوندى مع الجبائى أن يكون ابن الراوندى قد مات متأخراً .

والبحث فى تاريخ وفاة ابن الراوندى لا بد أن يبتدأ من شخصية أبى عيسى الوراق الذى لا يذكر عبثاً إلى جوار ابن الراوندى فى روايتى الجبائى والمسعودى[١] . وأبو عيسى الوراق هو الملحد المبطن للمانوية المشهور كما يقول الخياط بذلك صراحة فى مواضع كثيرة (ص ٩٧ ، ١٥٢ ، ١٥٥) . وكان أستاذاً لابن الراوندى والدافع له على الإلحاد الصريح ؛ وكما سنبين فيما بعد ، ابتدأ ابن الراوندى تآليفه الإلحادية فى السنين الأخيرة من حياته ، تلك التآليف التى لها يدين بأهميته وخطورة شأنه . ولا يمكن أن يقع موت أحدهما بعيداً عن موت الآخر بمقدار ٥٠ سنة ، وعلى ذلك فإن القول المروى عن الجبائى متعلقا بموتهما يستحق كل تصديق . ولعل الرواية الآتية ترجع إلى الجبائى أيضا وهى : « وقد كان ابن الريوندى وأبو عيسى محمد بن هارون الملحد أيضا يتراميان بكتاب الزمرذ ويدعى كل واحد منهما على الآخر أنه تصنيفه . وكانا يتوافقان على الطعن فى القرآن »[٢] والرواية القائلة بأن عمره نيف على الثمانين تبدو ثانوية بإزاء الرواية الصحيحة غير المطعون فيها التى تقول إن عمره كان ٤٠ سنة تقريبا . أما تاريخ مولده (حوالى سنة ٢١٠) فثابت لدى جميع المؤلفين . والذين يقولون إنه مات حوالى سنة ٣٠٠ يضطرون ، تحاشيا للتناقض ، إلى جعل سنه ثمانين سنة أو أكثر[٣]

(١) يذكر المسعودى موتهما الواحد تلو الآخر .

(٢) انظر شذرة رقم ٢٦ — ولقد أبنا من قبل (ص١٦٨) أن جزءاً كبيراً مما ذكره ابن الجوزى عن ابن الراوندى يرجع إلى ردود الجبائى التى كان ابن عقيل وسيطا لها . وهذا صحيح خصوصا فيما يتعلق بما يذكر عن كتاب الزمرذ .

(٣) ويقول أبو المحاسن إنه عاش ٨٦ سنة . انظر *Der Islam*, XIX, p. 222

فإذا كان ابن الراوندى قد مات سنة ٣٠٠ وهو ابن أربعين ربيما ، إذاً لما عاصر أبا عيسى الوراق . من أجل هذا كله كان موت ابن الراوندى سنة ٢٥٠ تقريبا ، وليس علينا بعد إلا أن نفسر كيف وُضِع تاريخ موته المتأخر.

هناك ثلاثة براهين يسوقها نيبرج[1] لإثبات صحة التاريخ المتأخر :

١ — « إن صح أن ابن الراوندى اجتمع مع أبى على الجبائى فلا بد أن نقطع بأنه عاش فى النصف الأخير من القرن الرابع ، ومستحيل أنه قد مات حول سنة ٢٥٠ هـ ، إذ الجبائى توفى سنة ٣٠٣ هـ ؛

٢ — عده ابن المرتضى من الطبقة الثامنة وهى طبقة الجبائى والخياط والكعبى ؛

٣ — ثبت من كتاب « الانتصار » أن ابن الراوندى ذكر أبا زفر وأبا مجالد فى كتابه « فضيحة المعتزلة » ونقض كلامهما (راجع ص ٦١ و ص ١٠٢ — ١٠٣) ؛ وأبو زفر وأبو مجالد من الطبقة الثامنة أيضا ، فكيف يمكن ذلك لو مات ابن الراوندى حول سنة ٢٥٠ هـ أى قبل الجاحظ بقليل ، أى فى زمان أهل الطبقة السابعة ؟ » .

ولنبدأ بالبرهان الأخير . إن هذين الشخصين بعينهما اللذين يذكرهما نيبرج يدلان دلالة واضحة إلى أى حد كان تقسيم ابن المرتضى لطبقاته غير موثوق به تمام الوثوق ولو أن كتابه لا غنى عنه فى تاريخ المعتزلة . فنحن هنا بصدد متكلمين غير معروفين تماما فى كلتا الحالتين . أما أبو زفر فقد روى (تبعا لكتاب « الانتصار » ص ٦١) عن هشام الفُوَطى المذكور فى الطبقة السادسة ، وكان معاصراً للمأمون (١٩٨ — ٢٩٨) . وفى كتاب « المنية والأمل » ص ٥٤ يضع ابن المرتضى أبا زفر فى الطبقة الثامنة حقا ،

(١) الكتاب المذكور ، ص ٤٠

ولكنه فى ص ٤٤ يقول صراحة إن أبا زفر رأى الهذيل (العلاف) وأبا موسى (المردار) وصالح الإسوارى شخصيا . أما ثالث هؤلاء فغير معروف[١] . وأما المردار فيذكره ابن المرتضى فى الطبقة السابعة وهو تلميذ بشر بن المعتمر (المتوفى سنة ٢١٠) ومات أبو هذيل سنة ٢٢٥ أو سنة ٢٣٥ وقد أشرف على المائة . فلا يمكن أن يعد فى الطبقة الثامنة إذاً ، إلا إذا كان قد مات فى نهاية القرن الثالث . غير أن الروايات لا تقول لنا شيئا عن عمره وإلى أى زمن امتد نشاطه كأستاذ وكاتب . فطريقة ابن المرتضى هى أن يرتب المعتزلة تبعا لتاريخ موتهم لا تبعا لعصر ازدهارهم .

وهكذا الحال فيما يختص بأبى مجالد . فهو كذلك منسوب إلى الطبقة الثامنة[٢] كما ذكر نيبرج[٣] ، وقد أخذ عنه الخياط . ولكن يذكر من جهة أن أبا مجالد كان صاحبا (لا تلميذاً ؟) لجعفر بن حرب وجعفر بن مبشر وأبى موسى المردار ، ومن جهة أخرى يذكر ، بعد أن قال إن الخياط قد أخذ عنه ، ما يأتى صراحة : «وأخذ عنه أبو الحسين الخياط وإن < كان > من أصحاب من تقدم » ، أى من الطبقة السابقة (ص ٤٠ س ٥) . ولا تفهم هذه العبارة إلا على أن الخياط كان تلميذاً له وهو صغير . وعلى هذا فإذا ما ذكر أبو زفر وأبو مجالد فى « فضيحة المعتزلة » فلا يدل ذلك على أن تأليف هذا الكتاب كان متأخراً . ويقول الخياط نفسه[١] إن ابن الراوندى كان يكذب على الأحياء من المعتزلة .

وبهذا النقد لتقسيم ابن المرتضى للطبقات تسقط حجة نيبرج الثانية

---

(١) ويجب أن يُفرق بينه وبين أبى على الأسوارى المعتزلى المشهور .
(٢) الكتاب المذكور ص ٤٩ فى أعلاها .
(٣) ص ٢٠٧

أيضاً . ولقد عاش ابن المرتضى (المتوفى سنة ٨٤٠ هـ) فى عصر ساد فيه التاريخ المتأخر لموت ابن الراوندى ، ذلك التاريخ الذى يمثله ابن الجوزى أعظم تمثيل (توفى ابن الجوزى سنة ٥٩٧هـ) . ولهذا السبب عد ابن الراوندى فى الطبقة الثامنة التى هى طبقة الخياط والجبائى .

أما الأخذ بالرواية التى تقول بأن الجبائى اجتمع مع ابن الراوندى على جسر بغداد والتى لا تقوم على مصدر قويم موثوق به[١] ، كما أنها ما يقوله ابن الجوزى عن موت ابن الراوندى ، الذى يعتمد على رواية الجبائى (برهان نيبرج الأول) — فلا محل له . ومحاولة نيبرج[٢] إثبات أن العبارة الأخيرة من هذه الرواية مضافة وليست أصلية ، قليلة الاحتمال والقبول . إذ يظهر جليا من كتاب «المنتظم فى التاريخ» أن ابن الجوزى كانت لديه حقا كتب الجبائى أو ما كتبه ابن عقيل[٣] ، وأنه اقتبس منها حرفيا .

ولنتأمل قليلا ما يقال من اجتماع ابن الراوندى مع الجبائى على جسر بغداد . وهى رواية يذكرها صاحب كتاب « معاهد التنصيص » دون أن يذكر الراوى أو المصدر الذى عنه أخذ . وكان الحديث بينهما دائراً على مسألة إعجاز القرآن من الناحية اللفظية ، تلك المسألة التى هاجمها ابن الراوندى كثيراً . ولكن ابن الراوندى يبدو هنا متقهقراً أمام حجج الجبائى مخلياً له الميدان . وأسلوب هذه الرواية يدل صراحة على عدم صحتها . فهى أدب[٤] بحت . وإنا لنعرف جيداً كم اخترع أدباء القرن الرابع الهجرى[٥] . ولا بد

(١) كتاب الانتصار ص ٩٧

(٢) الكتاب المذكور ص ٤٢

(٣) انظر قبل ص ١٦٨

(٤) فيما يتعلق بمخترعها الذى زعمناه انظر قبل ص ١٦٨ — ١٦٩

(٥) انظر على الخصوص زكى مبارك : «النثر الفنى فى القرن الرابع» ، طبعة باريس سنة ١٩٣١ ص ١١٨ وما يليها .

أن تكون قد نشأت عما هو معروف من أن الجبائى كان خصما لدوداً لابن الراوندى وأنه نقض عليه كتاب « الدامغ » الذى يطعن فيه ابن الراوندى على القرآن . ولهذا وضعت هذه الطرفة كلا منهما ضد الآخر .

ومعظم ما عرفه المتأخرون عن ابن الراوندى مأخوذ مما كتبه الجبائى ضده . ومن هنا نشأ الاستنتاج الخاطىء أن ابن الراوندى كان معاصراً ومن سنّه . ولعل هذا هو السبب فى وضعهم وفاة ابن الراوندى قريبة من وفاة الجبائى (٣٠٣ هـ) .

ولنقارن الآن فى إيجاز صورة ابن الراوندى كما تظهر فى كتاب « الزمرذ» بتلك الصورة التى تعطينا إياها الروايات المذكورة عنه وخصوصا كتاباه اللذان حفظا لنا على الأقل جزئيا ، وأعنى بهما كتابى « فضيحة المعتزلة » وكتاب « الدامغ » أما الأخير ومجموعة أخرى من الكتب الإلحادية ذكرها نيبرج (ص ٣٣ وما بعدها) فيتصلان اتصالا وثيقاً بكتاب « الزمرذ » ، بينما يبدو ابن الراوندى فى كتاب « فضيحة المعتزلة » خصما للمعتزلة ولكنه مازال مُسلماً بعد . ولقد شوه الخياط فى رده على هذا الكتاب صورة تطور ابن الراوندى الروحى ، حينما — عن حق بالطبع فى بعض الأحيان — استخدم كتبه الإلحادية ضد كتاب «فضيحة المعتزلة» فى مواضع كثيرة[1] . ومع هذا كله ففى مقدورنا تحديد الخطوات الرئيسية على الأقل.

تتفق كل الروايات على أن ابن الراوندى كان فى الأصل معتزليا . والبلخى يمدح[2] حذقه ومعرفته بدقيق الكلام وجليله . ويورد لنا الخياط،

---

(١) « كتاب الانتصار » ص ٢ ، ١٥٥ وغير ذلك .

(٢) فى شذرة « الفهرست » [ص ٤ س ٢٠ وما يليه من الطبعة المصرية] : انظر WZKM جـ ٤ ص ٢٢٫٣ ، كذلك ابن خلكان ، انظر نيبرج : مقدمة كتاب « الانتصار » ص ٣١ وما يليها .

وهو أعظم مصادرنا ، آراءه أيام أن كان معتزليا ببغداد[١] . وكان عم ابن الراوندى وأخوه معتزليين[٢] . ويورد البلخى ثبتا بالكتب التى ألفها ابن الراوندى فى حداثته[٣] . ثم كان انشقاقه على المعتزلة . ويشير الخياط إلى الأسباب التى من أجلها طردته المعتزلة من حظيرتها[٤] فمال ابن الراوندى إلى الشيعة وأصبح خصم المعتزلة اللدود . وحمله غيظ الصابىء[٥] عن مذهب إلى مذهب آخر على نقض مذهب أصحابه الأولين . وإلى هذا القصد ينتمى كتاب « فضيحة المعتزلة » الذى دعا إلى تأليفه كتابُ « فضيلة المعتزلة »[٦] للجاحظ والذى فيه هاجم المعتزلة . وهنا يصبح ابن الراوندى شيعيا بمعني الكلمة يدافع فى الجزء الثانى عن آرائهم ومقالاتهم . وفى هذا الزمن ألف كذلك كتاب « الإمامة »[٧] . ويعزوه البلخى[٨] بحق إلى « كتب صلاحه » . إذ لم يترك ابن الراوندى أسس الإسلام بعد .

إلا أن هذه الفترة لم تدم طويلا . إذ نراه بعد ذلك فى زمرة هؤلاء الذين يبطنون الزندقة ويبغون هدم قواعد الإسلام ، وقد كانوا فيما يظهر من الشيعة[٩] . وقد أثر فيه على الخصوص أبو عيسى الوراق الملحد الذى أدى

---

(١) كتاب الانتصار ص ١٠٢ س ٢ وما يليه .

(٢) نفس الكتاب السابق ص ١٤٩

(٣) نيبرج ص ٣٢

(٤) كتاب الانتصار ص ١ ، ٢ ، ١٠٢ ، ١٤٩ ، ١٧٣ وغير ذلك كثير .

(٥) الكتاب السابق ص ١٠٣ س ١٥ : « فحمله الغيظ الذى دخله على أن مال إلى الرافضة » ؛ كذلك ص ٢٣ س ٥

(٦) الكتاب السابق ص ١٠٣ وما يليه .

(٧) نيبرج ص ٣٣

(٨) WZKM, p. 274 [« الفهرست » ص ٥ س ١١ س ١٢ من الطبعة المصرية]

(٩) انظر قبل ص ١٢٦ س ١٤

به إلى أن يدير للشيعة ظهره[1] . ولدينا وثيقة قيمة فيها يتحدث ابن الراوندى عن هذا التغير الذى طرأ عليه . وفى كتاب « فضيحة المعتزلة » فضل – ضد الجاحظ – عَلِيًّا على جميع الصحابة[2] . ويذكر لنا الخياط عكس هذا حين يقول إن ابن الراوندى حكى أن أبا عيسى الوراق قال له : « تكتب بِنُصرة أبغض الخلق إلىّ ؟ » يريد على بن أبى طالب[3] . كان ابن الراوندى إلى ذلك الحين شيعياً ولكن أبا عيسى الوراق أداه إلى هجر الإسلام هجراً نهائيا . وفى أثناء اتصاله بأبى عيسى الوراق كان يرشق سهامه الحادّة فى الإسلام . وإلى هذا العصر ينتمى كتابا « الزمرذ » و « الدامغ » . ولقد تحدثنا من قبل عنهما .

ولو كنا حاولنا تحديد أهمية هذه الشخصية العجيبة ومكانتها فى تاريخ الإسلام الدينى والتنوير الإسلامى ، إذاً لخرج ذلك عن نطاق البحث . وإنما نحن اقتصرنا على تفسير كتاب « الزمرذ » من الناحية اللغوية آملين أن يكون فى استطاعتنا العودُ إليه فى فرصة أخرى .

(١) كتاب «الانتصار» ص ٩٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥

(٢) نفس الكتاب ص ١٥٤

(٣) نفس الكتاب ص ١٥٥ س ١٢

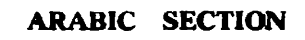
محتويات المجلد الأول

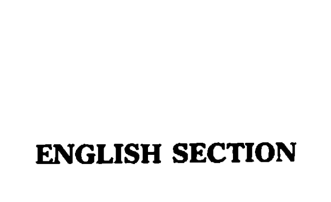
صفحة

صفحة

صفحة

ARABIC SECTION





ENGLISH SECTION

Contents of Volume I

idea that he knows all about Ibn ar-Rîwandî's life and activities. or thought and works, or creed and philosophy, etc. ... The reader should emerge with a spurious sense that he knows what in fact he does not know; rather he should come, if possible, to more understanding of Ibn ar-Rîwandî : if Ibn ar-Rîwandî had been beaten by the proffessional biographers, after his death, he certainly was the master of rationalists in the Third (9th.) Century who had beaten the proffessional polemicists at their own ground!



There remains to mention that in making my collections for these two volumes, I have had the invaluable advice from my colleagues; but my particular thanks go to professor K.M. Ash-Shaibî and Dr. K. Mattâ. Also, I have been encouraged by many scholars, Arabs and Orientalists; but I would like to show my gratitude to Dr. M.C. Lyons, Fellow of Pembroke College, University of Cambridge, to whom the second volume of this work has been dedicated; and to Professor 'Abdurrahmân Badawî, to whom the present volume has been dedicated - for their very important role and encouragement towards the idea of achieving these collections.

Acknowledgements are due to the authors and publishers who have kindly given me permissions to reprint different materials in these two volumes. Mr. Zuhayr Ba'labakkî, the Publisher, may accept my thanks for the patience and care with which he performed an exacting task.

January 11th., 1978 A. AL-A ASAM.

Cambridge

conclusion that the majority of these references follow no category in particular in preference to any other, and therefore that is why they are generally confused. The following table shows the modern references:

	Book	Introduction	Edition	Article
Volume I :	32	3	4	7
Volume II :	26	5	2	4
Totals	58	8	6	11

To make an inventory of the whole incorporated modern-references shown above (83 references), I would give an illustration of the original language as follows:

	Arabic	**Translation**
Volume I :	43	3
Volume II :	31	6
Totals	74	9

F.)

To do justice to Ibn ar-Rîwandî and his real character, an attempt should be made to clear up the picture gathered from the **Sources** (i.e. the **History of Ibn ar-Rîwandî, the Heretic** and **Supplements I & II** of these two volumes). On the other hand, all the modern authors who referred to, or concerned themselves with, Ibn ar-Rîwandî are found to have been confused whenever they tried to distiguish his true biographical information from those which were ascribed to him by his biographers in the old and middle sources. Therefore, no serious reader will be convinced of the authenticity of all these old and middle sources and all modern references, if he reads them separately; and most scholars, who are concerned with the rational movement in Medieval Islam, will want to review all these different materials in their contribution to Islamic studies. Otherwise, no reader of these two volumes, with the **History of Ibn ar-Rîwandî, the Heretic,** would accept the

3. **ANNEXATIONS** in which some bibliographies, indices of proper names, works and particular points of interest appear in the end of next volume. (7)

D.)

We can conclude from the above statements that the two Supplements to the **History of Ibn ar-Rîwandî, the Heretic,** in these two volumes are to be read in comparison with the original work. The following table shows the relationship between these three volumes:

Century	History	Suppl. I	Suppl. II
3rd.	2	—	—
4th.	10	—	1
5th.	12	3	8
6th.	7	1	1
7th.	11	—	1
8th.	6	5	—
9th.	6	—	—
10th.	2	1	—
11th.	2	3	—
12th.	2	—	—
13th.	2	—	—
14th.	—	5	—
Totals	62	18	11

E.)

The incorporation of Ibn ar-Rîwandî's biographical texts in the **Modern-Arabic References,** in **Part I** and **Part II** of these two volumes, are to be considered chronologically. Publications. which are written originally in arabic or transleted into Arabic, vary in referring to Ibn ar-Rîwandî; and thus the reader may come to the

(7) It will be published in 1979.

1. **SUPPLEMENT I** to my previous book, **History of Ibn ar-Rîwandî, the Heretic.** with 18 sources giving some new information about Ibn ar-Rîwandî. These sources have been organisd according to the same system adopted in the original book.

2. **PART I** of the main work on Ibn ar-Rîwandî's modern biographical survey in Arabic references, with 45 texts quoted from a number of modern - Arabic publications between 1904 and 1975.

3. **ADDENDUM** to the present volume has been included. It is P. Kraus' contribution on Ibn ar-Rîwandî, written originally in German(4), and translated into Arabic by 'Abdurrahmân Badawî. (5)

C.)

The second volume of the present work will give an account of all biographical texts collected after the publication of the first volume. It will contain:

1. **SUPPLEMENT II** to the **History of Ibn ar-Rîwandî, the Heretic,** with new 11 sources showing some different material which has not been found in the first Supplement.

2. **PART II** of the main work on Ibn ar-Rîwandî's biographical survey in the modern - Arabic references, with 37 texts quoted from similar number of Arabic publications which appeared between 1908 and 1976. (63)

---

(4) Beiträge zur islamischen Ketzergeschichte: das Kitâb az-Zumurrud des Ibn ar-Râwandî; in: **Rivista degli Studi Orientali,** (Roma 1934), vol. XIV, pp. 93 ff., 335 ff,

(5) **Min târîkh al-ilhâd fî 'l-islâm,** Cairo 1945- pp. 75-188.

(6) During which the second volume had been prepeared.

INTRODUCTION

A.)

The favorable reception given to my first work on Ibn ar-Rîwandî (1) has encouraged me to bring out not only the accumulative **Supplement** to the original book(2), but the whole suggested work on Ibn ar-Rîwandî's biographycal survey in the **Modern-Arabic References** (3) also. But, when the manuscript of the present volume had been handed over to **Publisher** in Spring of 1976, I came to a conclusion that books on biographical surveys very often give the impression that there is much new material as there is unknown material in manuscripts or unedited printed matters. Thus, the present volume, which is an incomplete biographical survey, is followed by a second volume in which I have collected the rest of Ibn ar-Rîwandî's biographical texts and notes in the **Modern-Arabic References** that have not been consulted in the firest volume,

B.)

To show the objective of the present volume, I give below a brief account of its contents:

---

(1) **Ibn ar-Rîwandî's Kitâb Fadîhat al-Mu'tazilah,** [Analytical Study of Ibn ar-Rîwandî's Method in his criticism of the Rational Foundation of Polemics in Islâm], Ouiedat Editions, Beirut-Paris, 1975.

(2) **History of Ibn ar-Rîwandî, the Heretic,** Beirut 1975.

(3) **Ibidem,** pp. 12,314.

هــذا المجلّد مهدى إلى

الاستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي ....

This Volume is dedicated to

Professor Abdurrahmân Badawi ....

IBN AR-RIWANDI

IN THE MODERN-ARABIC REFERENCES

[A biographical survey, joined with a cumulative **Supplement I** to the **HISTORY OF IBN AR-RIWANDI, THE HERETIC**]

VOLUME I : 1904 - 1975

Collected and edited with an introduction by :

ABDUL-AMIR AL-A'ASAM

(Ph. D., Cantab.)

Asst. Professor of Islamic Philosophy,

University of Baghdad.

Published by :

DAR AL-AFAQ AL-JADIDAH

BEIRUT

1978

* First Published by Dar Al-Afaq Al-Jadidah, P. O. Box: 7302, Beirut.

* Printed in Lebanon, 1978.

IBN AR-RIWANDI

IN THE MODREN - ARABIC

REFERENCES

(Volume I)